

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة أحمد دراية - أدرار -

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الإسلامية

قسم: العلوم الإنسانية

الخُطُط العسكرية للمقاومات النوميديّة للاحتلال الروماني (146ق.م-430م)

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ القديم

إشراف:

أ.د محفوظ رموم

إعداد الطالبة:

حسيبة باحمان

أعضاء لجنة المناقشة

اللقب والاسم	الرتبة	المؤسسة	الصفة
بعثمان عبد الرحمن	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	رئيساً
رموم محفوظ	أستاذ التعليم العالي	جامعة ادرار	مشرفاً ومقرراً
ذراع الطاهر	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	عضواً مناقشاً
حموم توفيق	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضواً مناقشاً
رحماني بلقاسم	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضواً مناقشاً
بن عطياالله عبد الرحمن	أستاذ محاضر أ	جامعة تيسة	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 2021/2020م

نوقشت يوم: الخميس 16 ديسمبر 2021م الموافق لـ 12 جمادى الأولى 1443هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ

مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ

تُرْهِيبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

وَعَدُوَّكُمْ ﴾ صدق الله العظيم

سورة الأنفال، الآية 60

إهداء

أهدي باكورة هذا العمل إلى:

روح والدي طيب الله ثراه.

إلى التي صبرت وقاست وخاضت معترك الحياة وقساوتها لإسعادي أنا

وأختي، أُمي الغالية حفظها الله.

إلى رفيق الدرب على صبره ودعمه لي طيلة انجاز هذا البحث

إلى فلذات كبدي إِياد تقي الدين وأسيل، والصغيرة ربهام على أمل أن يكبروا

ويكبر حب العلم معهم.

إلى اختي الغالية التي انتظرت هذه اللحظة بشوق كبير

شكر وعرفان

يطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من أمد لي يد العون في انجاز هذا العمل وأولهم المشرف الأستاذ الدكتور: " محفوظ رموم "الذي علمني أن العمل الجيد وحده أساس النجاح، وأن الحياة عامة كد واجتهاد، فله مني كل الاحترام.

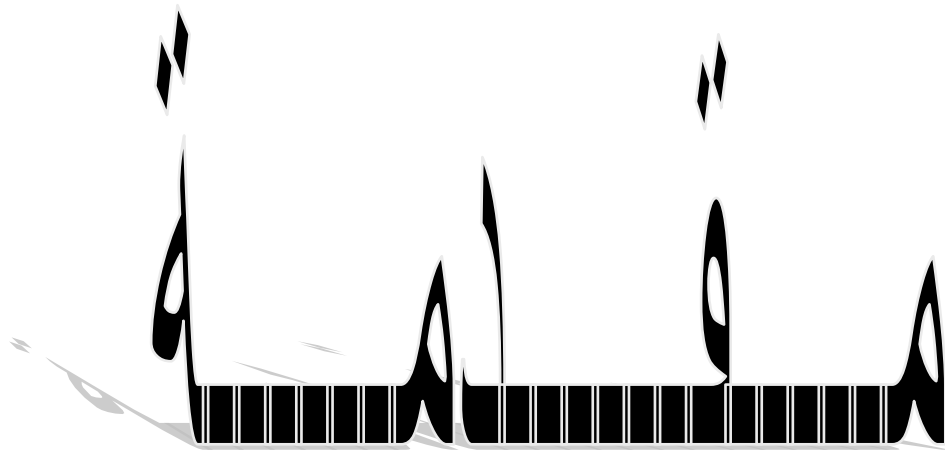
كما أتقدم بموفور الشكر إلى الأستاذ الدكتور العربي عقون استاذ التاريخ القديم بجامعة غرداية، على ما جاد به علي من توجيه وتدقيق وتمحيص لمصطلحات البحث ومحتواه، وكذا الدكتور ناجي الحربي استاذ التاريخ القديم بجامعة عمر المختار بليبيا على ما أمدني به من مساعدات وخدمات فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذ الدكتور بن عطياالله عبد الرحمن أستاذ التاريخ القديم بجامعة تبسة على قراءته وتصويبه لفصول البحث، وإلى الدكتور الفاضل الطاهر ذراع والدكتور بعثمان عبد الرحمن على دعمهما.

دون أن أنسى الأستاذ الحبيب بشاري رحمه الله الذي كان سيشارك في تصويب هذا العمل لولا أن الله تعالى قد اختاره ليكون بجواره قبل الإعلان عن تاريخ المناقشة بأيام فقط فاللهم اغفر له وارحمه إننا لله وإننا إليه راجعون.

إلى من نهلت منهم العلم، في سنوات التدرج وما بعد التدرج، أساتذة قسم التاريخ بجامعة أدرار. وعمال مكتبة جامعة منتوري بقسنطينة، وجامعة الجزائر 2 وعمال متحف سيرتا الأثري على حسن استقبالهم.

فلهم جميعاً مني جزيل الشكر، وأرجو من الله عز وجل أن يجعل عملهم في موازين حسناتهم يوم القيامة.



التعريف بالموضوع: شكّل حوض البحر الأبيض المتوسط مجالاً حيويّاً وحضاريّاً هاماً في العالم القديم، إذ شهدت ضفتيه الشمالية والجنوبية قيام العديد من الحضارات، والإمبراطوريات المتنافسة فيما بينها على السيادة، ومجال تدافع سياسي وعسكري، وساحة تبادل اقتصادي وتجاري وثقافي حيث تداخلت الحضارات فيما بينها.

كانت منطقة المغرب القديم كجزء من ذلك الفضاء مهداً لقيام العديد من حضارات ما قبل التاريخ كالحضارة العاترية والقفصية والايبيرومغربية، كما شهدت، ومنذ العصور القديمة، تطوراً في التنظيم الاجتماعي والسياسي وتأسيس الممالك والنظم، حيث انتقلت من القبيلة إلى تأسيس الكونفدراليات الكبرى والنظام الملكي، وقد أدت ممالكها دوراً اقليمياً ودولياً متعاضداً خاصة مع تأسيس الممالك النوميديّة والمورية.

لعبت مملكة نوميديا دوراً بارزاً في عالم البحر الأبيض المتوسط اقتصادياً وسياسياً، ففي المجال الاقتصادي ازدهرت بها الحياة زراعياً وصناعياً، بل وتعاملت تجارياً مع مختلف بلدان المتوسط، كرووس وأثينا، بدليل التماثيل التي اقيمت هناك لتكريم أقاليد نوميديا وعلى رأسهم ماسينيسا، وفي المجال السياسي تفاعلت مملكة نوميديا مع مختلف الأحداث التي شهدتها المنطقة، بداية من تأسيس قرطاجنة بشمال إفريقيا، والتي أخذت في التوسع على حساب الممالك الليبية خلال القرن السادس قبل الميلاد، ومع تحولها إلى امبراطورية بدأ الصراع القرطاجي الليبي وثورات الجند المأجور، كما تضاربت مصالح الامبراطورية القرطاجية مع كل من الإغريق والرومان، وكان ذلك سبباً في اندلاع الصراع العالمي الذي لعبت فيه ممالك نوميديا دوراً كبيراً سواء في الحروب القرطاجية-الإغريقية حول جزيرتي صقلية وكورسيكا، أو الحروب القرطاجية-الرومانية (الحروب البونية) الثلاثة التي امتدت من 264 ق.م إلى 146 ق.م، والتي انتهت بسيطرة الرومان على الأراضي القرطاجية.

بسقوط قرطاج زال الحصن المنيع الذي كان يقف حاجزاً أمام الرومان نحو شمال إفريقيا، خاصة نوميديا، وصارت بقية المناطق مكشوفة أمامهما، لاستغلال خيراتها وثرواتها ولسد العجز الزراعي في شبه الجزيرة الإيطالية، والتخلص من الفئات الاجتماعية المنبوذة في روما. وهكذا وجد النوميديون أنفسهم أمام قوة عسكرية كبيرة، كان عليهم مقاومتها والوقوف في وجه مخططاتها بالمنطقة.

ولما كان النوميديّ متعطشون للحرية، و متمسكون بأرضهم ووطنهم؛ فإنهم لم يرضوا بالسياسة الاحتلالية لروما التي استهدفت أرضهم وهويتهم، فراحوا ينظمون أنفسهم تحت قيادة موحدة، معلنين اندلاع المقاومات النوميديّة ضد روما، ومن هنا جاءت اشكالية موضوع الدراسة المعنونة بـ: " **الخطط العسكرية للمقاومات النوميديّة للاحتلال الروماني (146 ق.م-430م)**، وأبرزها: مقاومة يوغرطة، يوبا الأول، تاكفاريناس، وأراييون، وايدمون، وفيرموس، ودوناتوس، وجيلدون، وهي المقاومات التي تنوعت أساليبها، وخططها، ووسائلها وتناجها العسكريّة، والاستراتيجيّة.

المجال الجغرافي والزمني للدراسة: يتضح من خلال العنوان أن المسرح الجغرافي للبحث هو نوميديا، التي يصعب تحديد حدودها بدقة لارتباطها بالأوضاع السياسيّة التي شهدتها المنطقة التي تكالبت عليها القوى الخارجيّة، والمتغيّرات السياسيّة التي كانت تطرأ على جيرانها خصوصاً في الجهة الغربيّة (مملكة المور)، غير أننا يمكن أن نُعلّم حدودها ضمن بلاد ليبيا، التي تمتد من غربي مصر شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً، على أن الحدود الأخيرة هي الأخرى غير مضبوطة بدقة لارتباطها بتقلبات قبائل الجيتول.

بالعودة للفترة التاريخيّة محل الدراسة، فإن أقرب تحديد لها، هو مملكة نوميديا الموحدة على يد ماسينيسا، التي تأسست في فترة ما بين الحريين البونيتين الثانية والثالثة (202-149 ق.م)، والتي امتدت من السيرت الكبير شرقاً إلى نهر ملوشة (ملوية) غرباً حيث تبدأ حدود المملكة الماورية إلى الغرب. على أن أطراف تلك المملكة أخذت في التآكل والتغير بعد ذلك، ومن ثمّ الفترة الزمنيّة المحددة في عنوان الدراسة، لارتباط الحدود الشرقيّة والغربيّة بإدارة روما، ففي مرحلة لاحقة نجد أن القسم الغربي من نوميديا مثلاً يلحق بالمملكة الموريطنانية وعليه يصبح التفريق بينهما صعباً. على أنني اعتمدت جغرافياً اسم نوميديا في العنوان للدلالة على حدود نوميديا الماسينييسية الموحدة رغم اختلاف التسميات التي أطلقت على المنطقة والتقسيمات التي طرأت على ذلك المجال.

أما عن المجال الزمنيّ فتمتد حدود البحث من سقوط قرطاج على يد روما عام 146 ق.م إلى نهاية الاحتلال الروماني بالمغرب القديم، مع التركيز على أهمّ المقاومات النوميديّة، بدءاً من يوغرطة، وانتهاءً بجيلدون بن نوبيل، وحلفائه من اتباع النحلة الدوناتية.

أهمية الموضوع : تكمن أهمية الموضوع في كونه يتناول عنصراً أساسياً في التاريخ العسكري للليبيين القدامى بشكل عام، والنوميد بشكل خاص، وهو موضوع جديد من حيث الطرح كونه يتناول بالدراسة تكوين الجيوش النوميديّة من حيث التنظيم، والعدة والعتاد، وأهميتها في مواجهة التوسع الروماني، ويتعدها بالبحث في الاستراتيجيات العسكرية التي انتهجها أبرز القادة النوميدي في حروبهم ضد الرومان، وبالتالي دراسة تطور الفكر العسكري عند القادة العسكريين النوميديين، ودراسة استراتيجياتهم العسكرية التي طبقوها ضد أعدائهم بهدف انهاء الوجود الروماني بالمنطقة، ودراسة مدى فعالية تلك الخطط، وتجسيدها في أرض المعركة، ثم نتائجها على المغرب القديم، ودورها سياسياً واستراتيجياً، حيث تشكلت خريطة سياسية جديدة، وأدخلت شمال إفريقيا في عصر جديد لعبت خلاله ممالك شمال إفريقيا دوراً محورياً في السياسة والصراع العالمي في حوض البحر الأبيض المتوسط.

دوافع اختيار الموضوع: تضافرت مجموعة من الأسباب والدوافع حول اختياري لهذا الموضوع بالدراسة والتحليل، أورد أهمها فيما يأتي:

1- أن معظم الدراسات العسكرية لبلاد المغرب القديم، على قلتها تناولت المقاومات العسكرية للنوميد بطريقة كلاسيكية، أي بذكر الأسباب والتطورات، مع غياب الدراسات المتخصصة التي تلقي الضوء على جزء من التاريخ العسكري للنوميد، وهو الاستراتيجية العسكرية المسطرة لمواجهة جيوش العدو، والخطط القتالية كفكر عسكري تراكم لدى قادة الحرب.

2- المساهمة في إبراز حضارة المغرب القديم بصفة عامة، والنشاط العسكري لممالكها بصفة خاصة، ودحض فكرة أن الليبيين القدامى والنوميد لم يكونوا قادرين على تجهيز الجيوش، وقيادة الحروب، وصناعة العتاد الحربي محلياً.

3- اتضح لي من خلال قراءتي لبعض المراجع الخاصة بالجانب السياسي، والعسكري لتاريخ المغرب القديم أن الإشارة لليبيين والنوميديين كمحاربين تحت قيادة موحدة، وكفرق مساعدة في الجيوش الأجنبية كانت متعددة، وأن دورهم كان محل اشادة من طرف بعض المؤرخين، بالمقابل لا توجد دراسات معمقة حول هذا الجيش كجيش محلي، وكقوة إقليمية ودولية، ما من شأنه أن يضعنا في صورة قوة التنظيم والفكر العسكري الذي قاوم الاحتلال الروماني على مدى قرون.

إشكالية موضوع الدراسة: يأتي موضوع الدراسة كجزء مهم من موضوع أساسي هو: المقاومات العسكرية للاحتلال الروماني في المغرب القديم، إذ يُسلط الضوء على تلك الخطط العسكرية التي اعتمدها النوميدي في حروبهم ضد الاحتلال الروماني، وعليه فالإشكالية المحورية للبحث تدور حول الاستراتيجيات العسكرية المختلفة، والمتعددة التي اعتمدها الجيوش النوميديّة في حروبها ضد روما، وتتفرع عنها مجموعة من الإشكاليات الفرعية منها:

- 1- ما السياسة التي اتبعتها الرومان في المغرب القديم، والتي كانت سبباً في اندلاع مختلف المقاومات النوميديّة؟
- 2- ماهي مميزات الجيش الليبي القديم كما ورد في المخلفات والنقوش الأثرية الفرعونية والبطلمية، والقرطاجية؟
- 3- مما كان يتكون الجيش النوميدي؟ وما هي تنظيماته؟ ووسائل تجهيزه وأنواع أسلحته؟
- 4- ما الأساليب والخطط العسكرية التي اعتمدها النوميدي ضد الرومان، وماهي التكلفة التي دفعتها روما عسكرياً واستراتيجياً في صدها لتلك الثورات؟
- 5- ما مدى نجاعة الخطط العسكرية للمقاومات النوميديّة؟ وهل كان لها وقعٌ على سمعة الإمبراطورية الرومانية وانحلالها وتدهورها؟

المناهج المعتمدة: اعتمدت في إنجاز هذا العمل على منهجين، بحسب طبيعة فصول ونوع الموضوع المدروس، هما:

- 1- **المنهج التاريخي الوصفي:** الذي اعتمده في تتبع سير الأحداث التاريخية، ووصفها وتحليلها، وجمع مادتها من مصادرها ومراجعتها وتنسيقها وفق تساؤلات الدراسة والخطّة المعتمدة.
- 2- **المنهج المقارن:** الذي يقوم على أساس المقارنة في دراسة الظاهرة التاريخية، من حيث أوجه الشبه والاختلاف، وهو المنهج الذي يغلب على الفصل الثالث، الذي حاولت فيه مقارنة الاستراتيجيات العسكرية المعتمدة من طرف النوميدي في مقاوماتهم ضد الاحتلال

الروماني، وتصنيفها وترتيبها وفق قالب علمي، ودراسة تطور الفكر العسكري عند قادة الجيوش النوميديّة كيوغرطة ويوبا الأول، وتاكفاريناس وفيرموس وجيلدون وقادة ثورة الريفين.

صعوبات البحث: اعترضتني في طريق هذا البحث مجموعة من العراقيل أهمها:

1- شح المادة الخبيرة خاصة فيما يتعلق ببعض الجزئيات، وغياب بعض التفاصيل المتعلقة ببعض الأحداث التاريخية، مما يجعل الجزم فيها شيء أشبه بالمستحيل، ولو أن الاعتماد على بعض المعطيات الأثرية المادية المشار إليها في متن الأوعية المرجعية المختلفة قد حلّ بعض هذه الصعوبات.

2- صعوبة الفصل في أصل بعض المقتنيات الأثرية المستخدمة كعتاد حربي للنوميد، خصوصاً أن المغرب القديم مثل نقطة التقاء حضاري لبيي نوميدي قرطاجي، وإغريقي وروماني، وما صعب المهمة أكثر، هو أن الليبيين على فتراتٍ شاركوا كفرق مساعدة في تلك الجيوش، وذلك ما اقتضى مني الدقة والحذر.

الدراسات السابقة حول الموضوع: تتميز هذه الدراسة بكونها أول عمل أكاديمي يتناول الخطط الاستراتيجية للمقاومات النوميديّة كموضوع وكإشكالية، بحيث لم أعثر -حسب اطلاعي- على دراسة متخصصة حوله، وأن ما عثرت عليه من مواضيع كانت له علاقة ببعض جزئياته، ومنها: مذكرة ماجستير للطالب فتحي دردار الموسومة بـ "الثورات النوميديّة في مواجهة التدخل الروماني (111-46 ق.م)" تحت إشراف الأستاذة ويزة آيت عمارة، ورسالة الماجستير للطالب بولخلوخ محمد وعنوانها "التنظيم العسكري لمملكة نوميديا من سنة 220 ق.م إلى 4 ق.م" تحت إشراف الأستاذ بشي محمد العيد، حيث يشترك العمل الأول مع موضوع الدراسة في الفصل الرابع، الذي تناول فيه الطالب عنصر تحت عنوان التنظيم العسكري، والأساليب العسكرية للنوميديين، ومنها: الاستعانة بالطبيعة، وحرب العصابات، وتطويق العدو، كما تحدث في جزئية عن الفن الحربي للنوميديين، وفيها أشار الطالب إلى التدريب العسكري، وتنظيم القيادة، والتجهيزات العسكرية، وهذه الأخيرة هي نقطة الالتقاء مع العمل الثاني، الذي فصل فيه الطالب ما يتعلق بالمعدات الحربية، إضافة إلى التنظيمات العسكرية للنوميديين، وبعض خططهم العسكرية، غير أن كلا العاملين أشارا

إلى الخطط العسكرية، والأساليب الحربية بشكل عام ومقتضب، وهذا هو وجه الخلاف بين العاملين وموضوع دراستنا.

نقد أهم مصادر البحث ومراجعته: جاءت بيلوغرافيا هذا البحث متنوعة حسب طبيعة الموضوع، لما له من علاقة بالجانبين السياسي والعسكري المعروف بحركيته، وقد تنوعت بين:

1- **المصادر:** ومنها المصادر المادية: ونعني بها المادة الأثرية المتحفية من نقوش، ونُصب نذرية أو جنائزية ومعالم أثرية، بالإضافة إلى النصوص الكتابية المصدرية المتاحة للتحميل في بعض المواقع الإلكترونية، ولعل أبرزها:

- النصوص المصدرية الإغريقية والرومانية: ونذكر منها:

- سالوستيوس " حرب يوغرطة "، والذي اعتمدت على نسخته بالفرنسية المتاحة على موقع مكتبة المصادر الأدبية الفرنسية، وكذا المترجمة للعربية للدكتور الليبي محمد المبروك الذويب، ويُعد المؤلفُ كتاباً مصدرياً هاماً، حيث اعتمدته في تتبع سير حرب يوغرطة، واستنباط أهم الخطط العسكرية التي اعتمدها في حربه ضد روما، رغم ما يحتويه الكتاب من مغالطات توجب عليّ الحيطه والحذر في نقلها، والاطلاع على بعض الدراسات المفندة لها.

- تاكيتوس (Tacit) مؤرخ الإمبراطورية الرومانية وكتابه "الحوليات" (Annales)، ويحوي معلومات قيمة عن مقاومة تاكفاريناس، رغم ما فيها من تحيز يستوجب الدقة أيضاً.

- المؤرخ الإغريقي هيرودوت، وكتابه التواريخ (Histoire d'Hérodote)، وهو كتاب مترجم للغة الفرنسية متاح على مكتبة المصادر الأدبية الفرنسية، والعربية مترجم من قبل الأستاذ عبد الإله الملاح، وقد عُدت إليه في البحث عن الأخبار المتعلقة بالقبائل الليبية وعاداتها وتقاليدها، خصوصاً ما يتعلق بمواضعها وعاداتها الحربية.

- بلوتارك وكتابه " تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق"، وفيه مادة خبرية دسمة خاصة فيما يتعلق بتراجم وسير بعض الشخصيات السياسية الرومانية.

- قيصر وكتابه " حرب افريقيا" (Guerre d'Afrique)، ويتضمن تفاصيل حرب يوليوس قيصر ضد البومبيين، وحليفهم النوميدي يوبا الأول، وما تبعها من اصلاحات إدارية قيصرية، خاصة ما يتعلق بالمنطقة، والكتاب مترجم للعربية من قبل الأستاذ محمد الهادي حارش.

- أميان مارسليان (AmienMarcellien) وكتابه "تاريخ الرومان"، ولعل ما فيه من مادة معرفية عن ثورة فيرموس جعلته عمدة مادتي في هذا العنصر.

هذا بالإضافة إلى ما كتبه الإغريقي ديودور الصقلي "المكتبة التاريخية" (Historique)، وبيان حول "الحرب المدنية" (Guerre Civiles)، وقد عدت إليها في تتبع الوقائع التاريخية للحرب الأهلية بين قيصر وبومبي، وهما متوفران باللغتين الفرنسية والعربية، حيث ترجمت بعض نصوصهما من طرف الأستاذ الليبي علي فهمي خشيم.

2-المراجع: وتشمل ما توفر لدي من كتب ورقية أو مصورة، بالإضافة إلى المجلات، وأعمال الندوات، والقواميس والمقالات الالكترونية، وتأتي على رأسها:

- مجموعة المؤرخ الفرنسي ستيفان غزال المعنونة بـ " التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية"، والتي درس فيها تاريخ شمال إفريقيا القديم في شتى الحقب التاريخية، ومنها التي خصصها لفترة الاحتلال الرومانية في الجزء 7 و8، والتي عدت إليها في أكثر من عنصر وفصل.

- شارل أندري جوليان وكتابه " تاريخ افريقيا الشمالية" ترجمة محمد مزالي، والبشير بن سلامة، وفيه درس تاريخ المنطقة عبر حقبها التاريخية القديمة، خاصة منها الفترة الرومانية والمسيحية.

- محمد حسين فنطر وكتابة " يوغرطة": وهي دراسة قيمة، لما تحتويه من تعليقات وشروحات، ونقد للأحكام الرومانية المتصّفة باللاموضوعية التي وردت في مؤلّف سالوستيوس.

- مجموعة كتب ومقالات قيمة للأستاذة ويزة آيت عمارة حول الجيش النوميدي، من حيث نظامه ومعداته الحربية أبرزها:

- Le Cheval et le Cavalier Numides; Numides et Maures au Combatétats et Armées en Afrique du Nord jusqu'a l'époque de Juba1.

- مؤلفات المؤرخ الجزائري محمد البشير شنيّتي، ومنها: "الجزائر في ظل الاحتلال الروماني" و"التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني"، وقد أفادني في تحليل السياسة الاحتلالية للرومان بالمغرب القديم، خاصة في مجالها العسكري والاقتصادي.

- الباحثة الجزائرية في تاريخ الليبيين بمصر أم الخير العقون، وكتابتها الموسوم بـ"دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية"، وقد رجعت إليه في بحثي عن تاريخ الجيش الليبي في مصر.

- كتاب "الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات" للأستاذ محمد بوكبوط، وهو كتاب ورقي غير متاح على الانترنت، وقد أفادني في بحث السياسة التوسعية لروما بالمغرب القديم.

- روني كاني (M.René. Cagnat)، وكتابه حول الجيش الروماني بأفريقيا (L'Armée Roman d'Afrique)، وقد رجعت إليه عند البحث عن التنظيم العسكري للرومان في المغرب القديم.

ولا يقل عنهما أهمية في نفس المجال مؤلف الأستاذ محمد الهادي حارش الموسوم بـ: "التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش حتى وفاة يوبا الأول"، وقد تميزت كتاباته بمفاهيمها الجديدة ونظرتها البعيدة عن المدرسة الغربية.

بالإضافة إلى المشاريع البحثية التي نشرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر 1954 منها: "الاحتلال الاستطاني وسياسة الرومنة" الذي ترأسته الأستاذة شافية شارن، وكتاب "المقاومة والتاريخ العسكري المغربي القديم" الذي ترأسه الأستاذ محمد الصغير غانم-رحمه الله- بمشاركة الأستاذ محمد العربي عقون ومحمد الصالح بوعناقة، وهما كتابان قيমান لما يحتويان عليه من معلومات ومفاهيم تخص المغرب القديم.

هذا إضافة إلى مجموعة من المقالات ومنها:

- مقال "ثورة فيرموس" للأستاذ محمد الهادي حارش، الذي نشر في مجلة الدراسات التاريخية التي تصدرها جامعة الجزائر.

- مجموعة مقالات للأستاذ محمد الحبيب بشاري، ومنها " ثورة جيلدون " التي أفادتني في معرفة بعض التفاصيل حول مقاومة جيلدون التي لم تتناولها الكتابات التاريخية عموماً، والمكتوبه باللغة العربية خصوصاً إلا نادراً وبشكل مختصر.
- زيادة على ذلك مجموعة من المواقع الالكترونية، وأهمها:

- مكتبة المصادر الأدبية الفرنسية: <http://remacle.org/index1.htm>

- موقع مؤسسة تاوالت الثقافية: [/http://www.tawalt.com](http://www.tawalt.com)

- المكتبة الالكترونية برسي: [/https://www.persee.fr](https://www.persee.fr)

- المكتبة الالكترونية " الجزائر القديمة " [/https://www.algerie-ancienne.com](https://www.algerie-ancienne.com)

- المنصة الالكترونية للمجلات العلمية الجزائرية: <https://www.asjp.cerist.dz/en>

وقد حاولت جاهدة التنويع في بيبلوغرافيا البحث، للوصول إلى المعلومات التي من شأنها أن تفيديني في تحليل وتركيب مادة البحث.

خطة البحث: نظراً لطبيعة الموضوع المدروس، والاشكاليات التي تضمنها، وتسهيلاً لدراستها قمت بتوزيع المادة العلمية وفق خطة منهجية، تتكون من مقدمة احتوت على العناصر الأساسية للبحث العلمي، وأربعة فصول عاجلت فيها الاشكالات المطروحة آنفاً، وخاتمة تضمنت مجموعة من الاستنتاجات التي استقيتها من دراستي للخطط العسكرية للمقاومات النوميديّة، وملاحق وقائمة المصادر والمراجع المعتمدة وفهارس الأعلام والأماكن والقبائل والشعوب، وفهرس الأشكال والخرائط والجداول والموضوعات.

تطرت في **الفصل الأول** إلى " استراتيجية التوسع الروماني بالمغرب القديم " باعتبارها ضرورية قبل الغوص في العناصر الأساسية الخاصة بلب البحث، حيث تناولت في مباحثه الخمس سياسة التدرج والابتلاع، ثم النظام الإداري الذي اتبعه الرومان بالمغرب القديم، فسياسة الاستيطان الزراعي، وما تبعها من تشريعات وقوانين استهدفت الأرض والإنسان معاً، بالإضافة إلى التنظيم العسكري وإقامة الخطوط الدفاعية، وسياسة الرومنة التي سلكت روما في سبيل تكريسها كل الطرق

المتاحة، وقد خلقت تلك السياسة مجتمعة ردود فعلية سلبية داخل المجتمع النوميدي، الذي ذاق مرارة الاستغلال والاستعباد والقهر، ومحاوله سلخه عن هويته وثقافته، ومكونه الحضاري.

أما **الفصل الثاني**، فتناولت فيه الجيش النوميدي من حيث تنظيماته وتجهيزاته، وبما أن نوميديا هي جزء من بلاد المغرب القديم أو ليبيا فإنني فضلت الحديث في المبحث الأول عن تاريخ الجيش الليبي، من خلال المصادر المصرية في العهدين الفرعوني والبطلمي، حيث تركت لنا النقائش المصرية مادة خصبة تستدعي التصنيف والتحليل، وتطرق بعدها للجيش الليبي في المصادر الإغريقية من خلال البحث في جزئية بعنوان: الأمازونات والغرغونات كأمموزج عن المرأة الليبية المحاربة، وتمت الإشارة في مضمونه إلى الروايات الأسطورية التي تحدثت عن وجود أمة من الناس تقودها النسوة، وهن من يتكفلن بالأمر السياسي، وقيادة الحروب الداخلية والخارجية في سبيل الدفاع عن وطنهن، وقد وجدت لها إسقاطات من العصر النوميدي، حيث كان للعنصر النسوي حضور في الأمور السياسية والعسكرية.

كما تمّ التطرق لدور الليبيين في الجيش القرطاجي كحلفاء ومجندين، أو مرتزقة باعتبارهم قوة عسكرية هامة، كانت حاضرة وبقوة في معظم الحروب القرطاجية الخارجية، وهنا أشرنا إلى تمردات الجند المأجور على قرطاج، والذي كان جله من الليبيين، وكيف استطاع الليبيين تنظيم أنفسهم للحرب ضد القرطاجيين.

بشيء من التفصيل حاولت الإشارة إلى الجيش النوميدي من حيث بنيته ومكوناته، وما يتعلق بالتنظيم الداخلي له كالمرتبات، والرتب والتدريب، وأماكن الإقامة، محاولة في ذلك، رغم شح المعلومات، الاعتماد على ما توفر لدي من إشارات أثرية مادية، أو ضمنية في مصادر متعلقة بالجانب السياسي أو الاجتماعي، أو حتى الثقافي، كما اختتمت هذا الفصل بتعداد التجهيزات العسكرية للجندي النوميدي، حسب أنواع العتاد الحربي بدءاً باللباس والأحذية، والأسلحة بأنواعها (المهجومية، الدفاعية، أسلحة الرمي)، ثم الحيوانات المساعدة، والآلات الحربية التي استعملها النوميديون لخوض حروبهم ضد القوات الأجنبية.

عاجت في **الفصل الثالث** "الاستراتيجيات العسكرية للمقاومات النوميديّة"، حيث حاولت بعد تتبع أحداث تلك المقاومات أن أوزع وأصنف ما عثرت عليه من مادة معرفية على أهم

الاستراتيجيات المعتمدة، رغم صعوبة الأمر في بعض الأحيان، بسبب بعض الفجوات وندرة المادة التاريخية، غير أني حاولت جاهدة رصد بعضها، للتوصل إلى حقيقة أنها كانت متنوعة حسب الظروف ومقتضيات الحال، بين الأهداف القريبة المدى والبعيدة المدى كسلاح المال والدبلوماسية، واستراتيجية التحالف التي انتهجها كلٌّ من هيرباص ويوبا الأول وأرييون، ثم استراتيجية نصب الكمائن، وسياسة الكر والفر، وكذا سياسة ردم الآبار واستهداف ممتلكات العدو، ثم أسلوب الحصار العسكري والسلاح الاقتصادي، وانتهاءً بالمقاومة الدينية بأشكالها المختلفة، وهي المادة التي وزعتها على خمسة مباحث هذا الفصل .

وارتأيت منهجياً أن أخصص **الفصل الرابع** لدراسة النتائج الاستراتيجية للمقاومات النوميديّة، ابتداءً من أوضاع نوميديا بعد القضاء على يوغرطة، ونتائج انهزام يوبا الأول عسكرياً في معركة تابسوس، ثم تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بعد القضاء على تاكفاريناس وايدمون، وصولاً إلى نتائج التحالف الدوناتي مع الدوارين، وثورات العائلة النوبيلية.

وفي الأخير، فإني لا أدعي أنني أجبت على كل الإشكاليات التي طرحتها في موضوع معقد ومتشعب كهذا، غير أنني أحسب أن أكون قد وفقت في التقيد بمنهجية البحث العلمي الأكاديمي، وأبرزت الدور السياسي والعسكري للحضارة الليبية(اللوية) والنوميديّة، والذي شهد تاريخهم تحيز وتزوير مُمنهج تحت تسميات وأغطية مختلفة.

كما أعتقد أنني فتحت مجالاً واسعاً للباحثين في تاريخنا القديم للاهتمام بالاستراتيجية العسكرية التي ميزت فترة ليست بالقصيرة من تاريخنا، ظلت فيه حضارة الأحرار تقاوم وترفض كل أساليب الرومنة، حيث قارعت الممالك النوميديّة والمورية أكبر إمبراطوريات العالم بعقلية استراتيجية تنوعت بين الدهاء السياسي والتخطيط والتنويع العسكري، وهو المجال الخصب للباحثين مستقبلاً لإكمال مشروع كتابة تاريخنا القديم بمفاهيم ومصطلحات وتحليلات جديدة بعيداً عن القوالب التي وضعنا فيها المدرسة التاريخية الغربية، التي لا ننكر دورها الأساسي في جمع وتحليل المادة التاريخية لحضارات المتوسط واكتشاف المعالم والأماكن الأثرية، ومخلفات الحضارات القديمة.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأعضاء لجنة المناقشة على صبرهم في تدقيق وتصويب الأخطاء الواردة في البحث، فلهم مني كل الاحترام والتقدير.

الفصل الأول

استراتيجية التوسع الروماني بالمغرب القديم

الفصل الأول: استراتيجية التوسع الروماني بالمغرب القديم

. المبحث الأول: التوسع التدريجي ثم الابتلاع

. المبحث الثاني: التنظيم الإداري لروما بشمال إفريقيا القديم

. المبحث الثالث: الاستيطان الزراعي

. المبحث الرابع: التنظيم العسكري

. المبحث الخامس: سياسة الرومنة

تنتمي منطقة المغرب القديم إلى أرومة البحر الأبيض المتوسط، الذي مثّل مجالاً جغرافياً هاماً لاستقرار الجماعات، وأولهم الليبيين (اللوبيين)¹ الذين استوطنت قبائلهم المختلفة على طول المنطقة الممتدة من شرقي مصر حتى المحيط الأطلسي، ثم عرفت المنطقة هجرات لشعوب مختلفة، ومنهم الفينيقيين الذين أسسوا في القرن الثاني عشر قبل الميلاد محطات تجارية لهم على طول الساحل الشمالي لإفريقيا، ثم مستوطنات فينيقية قارة أهمها مستوطنة قرطاج عام 814 ق.م² التي ربطت علاقاتها تجارياً مع السكان المحليين، واستمرت تلك العلاقات سلمية في معظم فتراتهما، حيث كانت العلاقات التجارية والعسكرية والاجتماعية، ما نتج عنه ميلاد حضارة جديدة جمعت في سِماتها خصائص الحضارتين الليبية المحلية والقرطاجية الوافدة أسماها المؤرخون الحضارة البونية³.

مع مرور الوقت تطورت قرطاج البونية سياسياً واقتصادياً، فاهتمت بالزراعة والصناعة وسنت القوانين لذلك الغرض، كما سيطرت تجارياً على الأسواق في مناطق عديدة في حوض البحر الأبيض المتوسط وخارجه؛ فكان لا بد لذلك التطور من انعكاسات على المستوى العالمي آنذاك، حيث

¹ الليبيين: اسم ليبيا مشتق من كلمة ليو، ويختلف في نطق هذه الكلمة فهناك من يذكر ليو وهناك من يستبدل اللام بالراء فيقول ريبو (Rebu)، والأصح عند اليونانيين أنها ليو، ومدلولها عندهم واحد وهو شمال إفريقيا عند المصريين القدامى، وفي المصادر العبرية نجدتها باسم لوييم. لمزيد من التفاصيل أنظر: محمد مصطفى بازامة، ليبيا، هذا الاسم في جذوره التاريخية، ط2، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، ليبيا، د.ت، ص28. علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، مج2، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1990، ص84.

² لمزيد من التفاصيل أنظر :

Justinus Marcus Junianus, Histoires philippiques de trogue pompée, trad: Marie Pierre Arnaud-Linder, liv: XVIII,(p, p)(20,25).

³ الحضارة البونية: وهي الحضارة التي تشكلت نتيجة الامتزاج الحضاري بين المجموعتين الفينيقية الوافدة، والليبية المحلية، وتسمى أيضاً بالبونيقية. أنظر: بورونية الشاذلي، محمد طاهر، قرطاج البونية تاريخ حضارة، مركز النشر الجامعي، مكتبة الاسكندرية، 1999، ص - ص120-126.

دخلت في صراع مرير مع كل من الإغريق والرومان، وسنحاول في هذا الفصل أن نبين أهم السياسات التي انتهجها الرومان للسيطرة على قرطاجنة خاصة، وشمال إفريقيا القديم عامة.

المبحث الأول : سياسة التوسع التدريجي ثم الابتلاع :

في الوقت الذي كانت تسيطر فيه قرطاج على أهم المحطات التجارية بحوض البحر الأبيض المتوسط، بما فيها صقلية التي اشتهرت بإنتاجها لأجود أنواع الحبوب، كانت هنالك أمة أخرى تنمو في شبه الجزيرة الإيطالية وهي روما التي استولت على سهل كمبانيا الواسع، ثم أخضعت لسلطتها كل القبائل الإيطالية فعدت القوة الثانية في حوض البحر المتوسط. وعلى المستوى الخارجي، ضببت روما علاقاتها سياسياً مع قرطاجنة عن طريق إبرام المعاهدات العسكرية والسياسية في سنوات 509 ق.م، 348 ق.م، 278 ق.م¹، وربما كان القصد من ذلك هو كسب صداقة عدو لا تقدر هي على مجابهته، وانتظار فرصة مناسبة للتخلص منه.

وقد جاءت تلك الفرصة باندلاع ثورة الجنود المأجور، وجلهم من الليبيين، الذين ثاروا ضد السلطة في قرطاجنة سنة 241 ق.م²، التي كلفت قرطاجنة الكثير وأنهكتها مادياً وبشرياً، ولإصلاح الأوضاع سلّط الساسة القرطاجيون أحد قادتهم، وهو هميلكار برقة على إسبانيا الغنية بمناجم الفضة، غير أنه مات في حصار إحدى مدنها، فأرسلوا صهره أزريل لمواصل المهمة التي نجح فيها فصارت إسبانيا قرطاجية (قرطاجنة)³.

¹ شافية شارن وآخرون، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 54، الجزائر، 2007م، ص، ص14، 13 (بتصرف).

² Polybe, Histoire Générale, trad: Theuillier, Cherpentier, Libraire-éditeur, Paris, 1847, liv: I, p XVII, <http://remacle.org/bloodwolf/historiens/polybe/un.htm>

³ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983م، ص83.

انتاب روما القلق من ذلك التقدم الذي أحرزه القرطاجيون بإسبانيا، وخاصة بعد سيطرة قائدهم العسكري حنبعل على مدينة "ساغونت" الإسبانية وتحطيم أسوارها؛ فاستغل الرومان ذلك الحدث، فأعلنوا الحرب على قرطاج مستندين إلى قناعتهم بتفوقهم العسكري، ومواردهم البشرية، وثروتهم الاقتصادية والمالية¹ لتُدشن بذلك سلسلة من الحروب، سميت بالحروب البونية (البونيقية)، وهي حروب ثلاث: الأولى (264-241 ق.م)، والثانية (218-201 ق.م)، والثالثة (149-146 ق.م) والتي انتهت بهزيمة قرطاج شر هزيمة². والثابت تاريخياً أن احتلال روما لشمال إفريقيا القديم لم يكن دفعة واحدة، بل كان وفق سياسة المراحل التي استغرقت أكثر من ثلاثة قرون، أي من سقوط قرطاجنة 146 ق.م حتى نهاية العهد السويري 235 م³.

أولاً: تأسيس مقاطعة إفريقيا 146 ق.م من قبل روما:

إن تدمير قرطاجنة كان هدفاً استراتيجياً للرومان منذ البداية، ومنذ عهد كاتو الأكبر (Cato Maior)، الذي خطب عام 149 ق.م في الشعب الروماني بحماسة " يجب تدمير قرطاج (defenda est Carthage)"⁴. وعلى إثر الانتصار الذي حققه الرومان على القرطاجيين في الحرب البونية الثانية (218-201 ق.م) راح مجلس الشيوخ يطرح بجدية كيفية التعامل مع تلك المنطقة، هل يلحقها مباشرة بالملكات العمومية للرومان؟ وذلك سيجبرها على وجود عسكري دائم، مما يعني صرف أموال طائلة. أم يقيم فيها مستوطنات؟ فأستقر الأمر بالقضاء عليها بقيادة

¹ محمد حسين فنطر، الفينيقيون وقرطاج، الموسوعة المتوسطية، منشورات المتوسط أليف، تونس، ص 43.

² محمد نجيب إبراهيم طراد، تاريخ الرومانيين (من بناء رومية إلى تلاشي الحكومة الجمهورية)، المطبعة اللبنانية، بيروت، 1886، ص- ص 111-148.

³ أحمد مشارك، إفريقيا من الاحتلال إلى الرومنة، أنظر: مجموعة مؤلفين، تونس عبر العصور، ج 1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2007م، ص 143.

⁴ محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن 1م، ط 1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 1998م، ص 124.

سكيبو الإميلي عام 146 ق.م، الذي أحرقها ودكَّ ما بها من مبانٍ، وحرث أرضها وبذرها بالملح، واعتبرت أرضٌ ملعونة عند الرومان¹.

ثم عمد سكيبو الإميلي إلى عزل قرطاجة عن الأراضي المجاورة لها بحفر خندقٍ فاصل سمي بفوسا ريجيا (Fossa Regia)، الذي ينطلق شمالاً من نقطة قريبة من طبرقة (Thabraca)، وتنتهي جنوباً إلى نقطة قريبة من طينة (Thaenae)² جنوب صفاقس، وتوحي الآثار أن ذلك الخط كان يمر غرب باجة (Vaga)، وتستور (Tichilla)، وجنوب عين فرنة (Furnos Maius) وهنشير الصوار (Abthugnos)، أي أنه يتطابق مع الحد الطبيعي الذي يفصل عبر السبخة سيدي الهاني والشريطة والكلية بين إقليم الساحل (Byzacum) من جهة، وإقليمي قمونية (Gamonnia)، وقمودة (Gamuta) من جهة ثانية.

اتخذ الرومان من أوتيكا عاصمة للمقاطعة الإفريقية (Africa Romana)، وأصبحت تابعة لهم إدارياً، وجغرافياً كانت مقاطعة افريقيا تشمل كل المجال الذي كان خاضعاً لقرطاج قبل تدميرها إثر التوسعات الكبرى التي قام بها الإقليم النوميدي ماسينيسا، ومن الواضح أن الهدف من وراء ذلك هو الحد من أطماع ماسينيسا وأبنائه الهادفة إلى استرجاع أراضي أسلافه التي ضمتها قرطاجة، وهي في أوج قوتها، وبالتالي حماية أراضي قرطاجة التي تنوي روما السيطرة عليها؛ إذاً فالخندق الملكي كان هدفاً أمنياً ووقائياً دعمته روما بالتدخل في شؤون نوميديا الداخلية، كترتيبها لوراثة العرش النوميدي بعد وفاة ماسينيسا 148 ق.م بتقسيمها بين أبنائه الثلاث: مسطنبل، وغلوسة، ومكيبسا (سياسة

¹ نبيل قلاله، المتوسط الغربي رهان الصراع القرطاجي الروماني (241-146 ق.م)، أنظر: مجموعة مؤلفين، تونس عبر العصور مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2007م، ص، ص138، 137.

²N. Ferchiou, « Fossa Regia », *Encyclopédie berbère, 19, Filage – Gastel, Aix-en-Provence, Edisud, 1998, p. 2897-2911.*

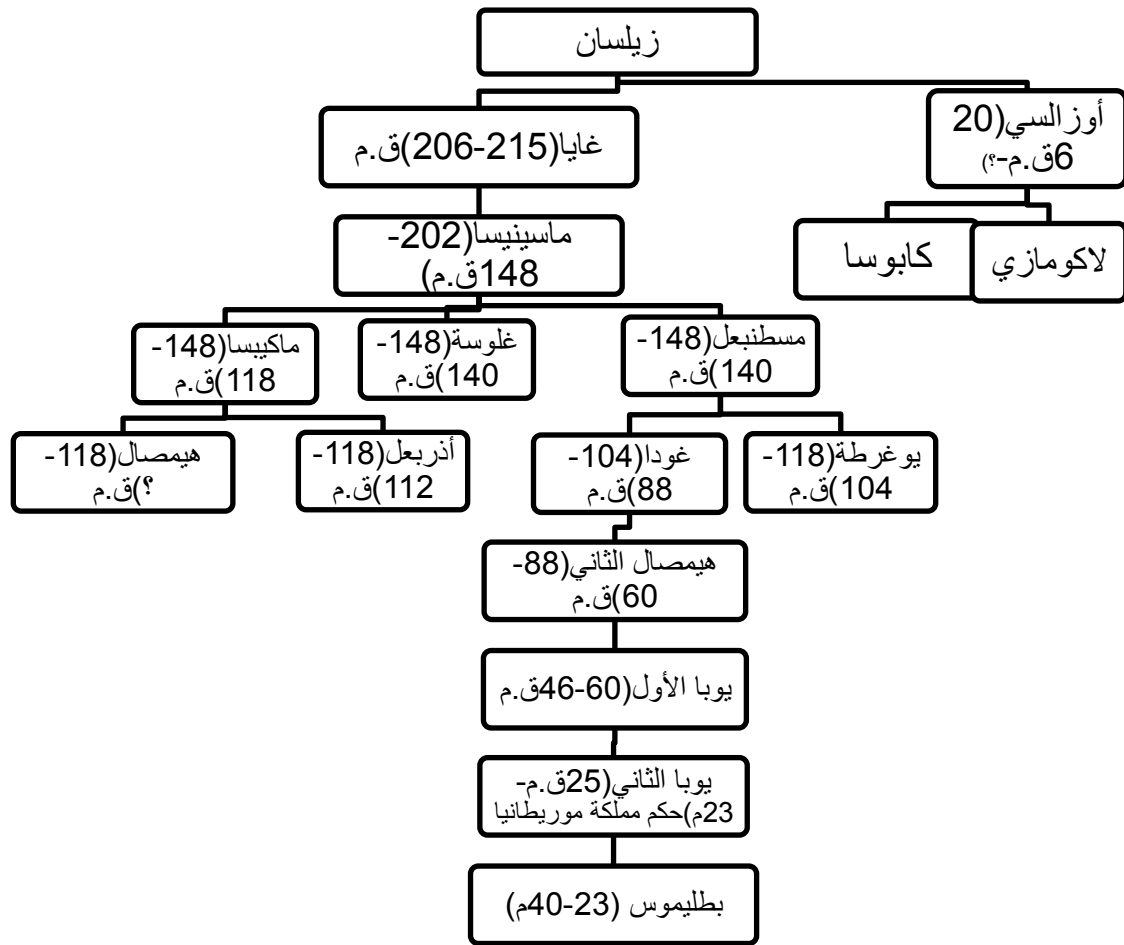
التفرقة لغرض الإضعاف) لينفرد بها مكيبسا حليف الرومان بعد وفاة أخويه في ظروفٍ غامضة¹.

عادت مشكلة وراثّة العرش النوميدي للظهور مرة أخرى بعد وفاة مكيبسا، الذي مُنح لقب الحليف من طرف الرومان، ليعود سيناريو التقسيم مرة أخرى، وبنفس الطريقة، لكن هذه المرة بين هيمصال وأذريعل ابنا مكيبسا، وأخوهم بالتبني يوغرطة² الذي سيثبّق عصا الطاعة على روما بإعلانه الحرب ضدها³، وبتلك السياسة تكون روما قد سيطرت على قرطاج وشمال إفريقيا أو بلاد المغرب القديم عامة، كما أمّنت نفسها عسكرياً وسياسياً، لتصبح بذلك جمهورية واسعة تضم عناصر بشرية مختلفة من حيث الأصل والدين واللغة. ولضبط شؤون تلك المقاطعات كان على روما خلق نُظم جديدة للتعامل معها. (أنظر المخطط (1) الصفحة 19).

¹ جهيدة مهنتل، ماسينيسا حلف روما والمحافظ الوبي للثقافة البونية، ليببكا، الع: 02، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، قسنطينة، الجزائر، 2017م، ص 46.

² يوغرطة: هو ابن مسطنبعل أصغر أبناء ماسينيسا، ولد حوالي سنة 160 ق.م، توفي والده وهو صغير في السن فكفله عمه مكيبسا وضمه إلى أبنائه، اتصف يوغرطة بالمزايا الخلقية التي كانت لجدّه ماسينيسا، فكان جميل الوجه وقوياً وشغوفاً بممارسة الفروسية والصيد، مما أكسبه شجاعة لامثيل لها، وبذلك تفوق على أبناء عصره، وقد أرسله عمه للمشاركة في الحرب إلى جانب الرومان في نومنصا، وهو ابن 20 سنة عام 134 ق.م، والتي أثبت فيها مهارته في قيادة الجيش وخوض المعارك. لمزيد من التفاصيل أنظر: أصطيفان أكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ج 7، تر: محمد التازي سعود، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007م، ص-ص 127-129، وعبد الحميد عمران، يوغرطة في حربه ضد روما 112-104 ق.م، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد: 7، الع: 13، جامعة المسيلة، 2007م، ص، ص 370، 353.

³ محمد العربي عقون، الانقسام والصراع على السلطة في إفريقيا الشمالية القديمة، أزمة وراثّة العرش النوميدي 118 ق.م، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، الع: 15، 2006م، ص، ص 262، 263.



المخطط (1): شجرة العائلة الملكية للنوميديين

نقلًا عن:

Ouiza Ait Amara, Jugurtha et la Conquête de Pouvoir en Numidie, Ikosim, N: 08, A.A.S.P.P.A, Alger, 2019, p68

ثانياً: إنشاء مقاطعة إفريقيا الجديدة (Africa Nova) 46ق.م

دخلت روما في الفترة الممتدة بين 133ق.م إلى 31ق.م في مشاكل داخلية عديدة أثرت على سياستها الخارجية، فحتى عام 140ق.م كانت الإقطاعات الزراعية منتشرة في روما، والسلطة محتكرة في مجلس الشيوخ¹، فتمحض عن ذلك قيام حروب أهلية بين ماريوس² وسيلا³، ثم بين قيصر⁴ وبومبي (49-46ق.م).

¹ حافظ أحمد غانم، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2007م، ص26.

² ماريوس: هو غايوس ماريوس (Caius Marius)، ولد عام 157ق.م، تربى في أسرة ميسورة الحال في إحدى قرى إقليم أرينوم، كان متعلماً ومثقفاً، كما كان رجل حرب وسياسة أيضاً، اكتشف سكيبيو الإفريقي شجاعته الحربية في حرب نومانصا فضمه إلى جيشه، تولى منصب القنصلية سبع مرات، كما عرف بإصلاحاته العسكرية فأعاد تنظيم الجيش الروماني وأتاح فرصة التحنيد لجميع المواطنين، وأعاد تنظيم فيالق الجيش، توفي في 13 جانفي 86ق.م. أنظر:

Plutarque, Vies des hommes illustres (Vie de Marius), trad: Alexis Pierron, T:2, charpentier libraire editeur, Paris, 1845, p, p1,2,3.

<http://remacle.org/bloodwolf/historiens/Plutarque/mariuspierron.htm>

³ سيلا: هو لوسيوس كورنيليوس سيلا (Sulla)، ولد عام 138ق.م لعائلة أرستقراطية، حيث كان أحد أجداده روفينيوس قنصلاً، غير أنه طرد من منصبه بسبب مخالفته للقانون، انتخب سيلا قنصل لمرتين، وكان ديكتاتورياً، توفي عام 78ق.م. لمزيد من التفاصيل أنظر:

Plutarque, Vies des hommes illustres (Vie Sulla), op.cit, p2,3.

<http://remacle.org/bloodwolf/historiens/Plutarque/syllapierron.htm>

⁴ يوليوس قيصر: ولد يوليوس قيصر ابن يوليوس اسكانيوس ابن اينياس (Julius Ascanius) حوالي 100ق.م أو 101ق.م، شق طريقه إلى مسرح السياسة بخطى سريعة، حيث كان ماريوس قد تزوج عمته جوليا، بينما تزوج هو من كورميلييا فدفعه هذا إلى الانحياز إلى حزب الشعبين. ترشح لرئاسة منصب الكاهن الأعظم، ونجح فيها بفضل الرشوة، وتولى حكم إسبانيا عام 61ق.م وترشح لمنصب القنصلية عام 95ق.م. بدأ الصراع بينه وبين بومبي رغم صلته المصاهرة بينهما، فزوجة بومبي هي جوليا ابنة قيصر، حين تولى بومبي منصب القنصلية منفرداً، وتأزم الوضع أكثر عندما رفض بومبي طلب قيصر عام 51ق.م القاضي بتمديد فترة البروقنصلية في ولايته ببلاد الغال كي يتم انتخابه قنصلاً في غيابه، لكن السيناتور رفض الطلب، ولم يحاول بومبي التوسط، فقرر قيصر التوجه بجيشه إلى روما؛ وهكذا اندلعت الحرب الأهلية في روما. أنظر: =

وقد كان للحرب الأهلية الأخيرة انعكاسات مباشرة على منطقة شمال إفريقيا¹، إذ شهدت المنطقة تغيرات جذرية بدأها يوليوس قيصر عقب انتصاره على البومبيين في معركة تابسوس (رأس الديماس حالياً) عام 46 ق.م²، وذلك بتغيير خارطتها السياسية وإنهاء المرحلة التمهيديّة للرومان التي كانت قائمة على التحفظ الذي أملتته التخوفات التي كانت تُساور أعضاء مجلس الشيوخ من القبائل الليبية المستوطنة على حدود الولاية الرومانية، وخاصة قبائل الجيتول (Gétules) التي استغرقت قرابة قرن من الزمن (146-46 ق.م)، كانت في نظر قيصر كافية لتطبيق القرار الحاسم بإضافة مناطق جديدة وغنية للإمبراطورية الرومانية، كمساهمة منه في توسيع أراضيها على حساب الشعوب المجاورة عكس من سبقوه (ماريوس)، والذين اكتفوا بالقضاء على الثورة في نوميديا فقط (مقاومة يوغرطة)³.

قسّم قيصر ولاية إفريقيا بمنح الجزء الشمالي الغربي من نوميديا إلى مرتزقة سيتوس لتعاونه مع قيصر في الحرب، فشكّل فيها ما يشبه الكونفدرالية، واتخذ من سيرتا عاصمة له⁴، أما الحليف الثاني بوكوس الثاني فقد برهن له قيصر على ثقته فيه، بمنحة الشطر الغربي من نوميديا لكي يوسع

=محمد عواد حسين، الثورة الرومانية الصراع بين بومي وقيصر حتى الحرب الأهلية، مجلة عالم الفكر، (د. ط)، متوفر على: hekmah.org. وحسام أبو سعده، يوليوس قيصر رجل الحرب والسياسة، ط01، العالمية للكتب والنشر، مصر، 2012م (ص-ص) (3-17). وإيريل ديورانت دايريل، قصة الحضارة، قيصر والمسيح، مج3، تر: محمد بدران، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، جامعة الدول العربية، تونس، ص-ص 341-346.

Velleius, Paterculus, Histoire Romane, trad: Garnier, ed: Pierre hainsselin et watelet, liv: II: XLIV.

¹ أبي فاضل وهيب، موسوعة عالم التاريخ والحضارة، ج2، ط2، نوبليس، 2005م، ص21.

² محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش حتى وفاة يوبا الأول، ماجستير قديم، إشراف: مصطفى الألفي، جامعة الجزائر، 1985م، ص98.

³ محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م-40م)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص65.

⁴Stephan Gsell, H.A.A.N, T: 7, librairie Hachette, Paris, 1927, p292.

مملكته إلى الوادي الكبير شرقاً، ثم كون من الأجزاء المتبقية مقاطعة جديدة سميت بإفريقيا الجديدة (Provincia Africa Nova)، وعين عليها حاكم برتبة بروقنصل¹؛ وهكذا أصبحت هذه الولاية تابعة لروما وتحت قيادة حاكم روماني .

وتبعاً لذلك أصبحت مقاطعة إفريقيا السابقة تُعرف ب"المقاطعة الإفريقية القديمة"، والتي أسس فيها الرومان عدة مستعمرات لتصبح روما بذلك سيدة البحر المتوسط الأولى بدون منازع. ومنذ ذلك الحين تعرض النوميدي إلى استغلال فاحش للأراضي الزراعية، بالإضافة إلى فرض ضرائب باهضة على سكانها ومصادرة الكثير من أملاكهم.

وقد كان التنافس على حكم الولاية الإفريقية شديد بين القادة الرومان، فكان كل حاكم يسعى لحكمهما معا (مقاطعة إفريقيا القديمة والجديدة)²، وقد حاول النوميدي استغلال ذلك الصراع لصالحهم، خاصة مع ارتفاع عدد المستوطنين في عهد يوليوس قيصر (80 ألف مُعمر)³، عن طريق التحالف مع أحد الأطراف المتصارعة، كما فعل الثائر النوميدي آرابيون.

ثالثاً: إنشاء مقاطعة إفريقيا الرومانية البروقنصلية السيناتوروية 27ق.م

أُغتيل يوليوس قيصر سنة 44ق.م من طرف أعضاء مجلس الشيوخ⁴؛ وبموته ظهر الصراع السياسي من جديد، وكالمعتاد كان لابد أن يلقي بظلاله على منطقة شمال إفريقيا، فقد ظهر هذه المرة في شكل صراع بين حكام المقاطعتين الإفريقيتين القديمة والجديدة التي أنشأها قيصر بسبب تعيين

¹Appien, Histoire Des Guerre Civiles De La République Romane, Trad: Combes-Dounous, Imprimerir Des Frères Mame,1808, liv:II,100.

²Stephan Gsell, H.A.A.A.N,T: 8, op.cit , p,p 184,185.

³شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص68.

⁴مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، درا المعرفة الجامعية، مصر، 1999م، ص67.

السلطة الرومانية لوالٍ جديد يجمع في حكمه ولاية إفريقيايتين¹. وقد استغل النوميدي بقيادة آرابيون تلك الفرصة وتحالف مع أحد طرفي الصراع، الذي انتهى بانتصار الطرف الموالي للنوميدي، ورغم ذلك تم اغتيال آرابيون.

وبعد قيام النظام الإمبراطوري بروما سنة 27 ق.م؛ قرّر الإمبراطور أغسطس توحيد الولايتين الإفريقيتين، فأنشأ بذلك مستعمرة شاسعة تحت أسم " إفريقيا البروقنصلية "امتد مجالها الترابي من الوادي الكبير (Ampasaga)، الذي يفصل بين نوميديا وموريطانيا غرباً حتى مشارف خليج السرت في البلاد الليبية شرقاً²، ومع القضاء على الثورات النوميديّة ضد روما، تم إعادة المرتزقة إلى إقطاعهم بسيرتا، وبذلك أدخلهم الرومان تحت حماية الولاية كما أرجعوا القسم الغربي من نوميديا إلى مملكة موريطانيا .

في سنة 40 ق.م تم إعادة تشييد مدينة قرطاج -الملعونة سابقاً عند الرومان - كمستوطنة رومانية يسكنها حوالي ستة آلاف معمر، وتم نقل مقر الوالي الجديد إليها، وفي ذلك يذكر المؤرخ سترابون (Strabon) " عند موت أغسطس كانت قرطاج هي المدينة الأكثر إعماراً بالسكان في شمال إفريقيا ، ويسكنها المواطنون الرومان وعدد من قدامى المحاربين ، لقد كان طبيعياً أن تصبح هي عاصمة إفريقيا البروقنصلية " ³؛ وبذلك يكون قد اكتمل الحيز الجغرافي لولاية افريقيا البروقنصلية لتضم كامل البلاد التونسية الحالية، والثلث الشرقي للجزائر ، ونواحي طرابلس التابعة للبلاد الليبية اليوم، ليكون أغسطس قد منح روما سيطرة عالمية وإمبراطورية مترامية الأطراف ⁴ .

¹Stéphane Gsell, H.A.A.A.N, T: 8, op.cit, p184.

² أحمد مشارك، المرجع السابق، ص145.

³Strabon, Géographie, trad: Amédée Tardieu, librairie de la Hachette, Paris,1867,liv: XVIII,3,15.

⁴Christophe Badel, Atlas de l'empire roman, Autrement édition , p40.

والحقيقة أن الهدف الأساسي لأغسطس من توحيد الإفرقيتين قانونياً وإدارياً هو جعلها تحت سلطة حاكم واحد، وتكوين كيان سياسي واحد للوقوف في وجه المقاومات بشمال إفريقيا القديم، ودعّم ذلك باستجلاب قوة عسكرية بما فيها الفرقة الأوغسطية الثالثة، ووضعها تحت تصرف حاكم المقاطعة، وقد خاضت تلك الفرقة حروباً ضروساً مع القبائل الليبية خاضة الموزولامي والجيتول .

رابعاً: الاستيلاء على موريطانيا سنة 40م:

لقد كانت سياسة التدرج التي سلكها الرومان بشمال إفريقيا القديم أكثر بُطاً في مملكة موريطانيا ، التي كانت محكومة من طرف حكام محليين عن طريق التحالف والولاء للرومان، فقد منحت لبوكوس الأول كمكافأة له لإلقاء القبض على يوغرطة¹، ورغم أن قيصر كان قد حسم أمر نوميديا كما مرّ بنا، إلا أنه أبقى على مملكة موريطانيا تحت حكم الموريطانيين منتهجاً نفس أسلوب سكيبيو الإميلي مع ماسينيسا، وأحفاده باعترافه ببوكوس الثاني حاكماً على الجزء الغربي من نوميديا كصمام أمان له من خطر الغزوات الليبية المحتملة الوقوع.

لا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة لخليفته أوكتافيوس الذي مهد لعملية الاستيلاء على المملكة بإنشاء المستعمرات الرومانية كبناصا² وزيلس (Zilis) التي تبعد ب40 كم عن طنجة (أصيلا حالياً)، وبوفاة بوغود³ سنة 38 ق.م أصبح بوكوس الثاني حليف أوكتافيوس ملكاً على كامل أراضي مملكة

¹Duane Wroller ,The world of Juba II and KLIOPATRA SELENE, Taylor and Francise –library,2003, p,p,93,54.

² بناصا(Valentia): هي إحدى مدن المغرب القديم تقع على الضفة اليسرى لنهر سبو ، تبعد عن المحيط الأطلسي بحوالي 30 كلم ، وتبعد بحوالي 17 كلم عن مدينة مشرع بلقصور والتي تبعد بحوالي 60 كلم شمال القنيطرة. انظر: سيدي محمد العيوض، موقع بناصا الأثري من الأصول إلى الجلاء الروماني، مجلة كان التاريخية، الع: 13، دار ناشري للنشر الإلكتروني، ص110.

³بوغود(Boghod): ورد هذا الاسم مرتين في الأسرة الموريطانية، فهناك: بوغود الأول ابن بوكوس الاول، والثاني هو بوغود الذي حكم موريطانيا الغربية في حدود 49 ق.م ، وقد عاصر بوكوس الثاني وقيصر ، فلما مات توسع بوكوس الثاني على حساب مملكته، ويرجح أنه ابن سوزوس أخ بوكوس الثاني. أنظر:

موريطانيا الممتدة من المحيط الأطلسي غرباً حتى حدود المقاطعة الرومانية شرقاً (الوادي الكبير)، وبعد موته سنة 33ق.م قام الرومان بضم مملكته ووضعها تحت الإدارة العسكرية التابعة لأوكتافيوس وبقيت على ذلك لمدة ثماني سنوات (33ق.م-25ق.م).¹

وفي سنة 25ق.م قرّر أوكتافيوس التراجع عن تلك السياسة بمنحها إلى الأمير النوميدي يوبا الثاني الذي ترعرع في كنف روما² وزوج كليوباترا سلمي، ابنة كليوباترا السابعة ملكة مصر، التي نزلت من نفس ما نزل منه، فاتخذ من طنجة أو وليلي عاصمة لمملكته، ثم عوّضها بشرشال (يول) فيما بعد³، وبذلك يكون أغسطس أوكتافيوس قد حقق نصراً مزدوجاً، إذ منح يوبا الثاني مملكة تعوضه عن مملكة أبيه يوبا الأول، وفي نفس الوقت تجنّب بذلك أي رد فعل قد يصدر من طرف السكان المحليين بمملكة موريطانيا في حالة ما إذا تم تعيين حاكم روماني عليها. (أنظر الخريطة رقم (1)، الصفحة 27)

ظلت موريطانيا تحت حكم يوبا الثاني الذي كان حليفاً لروما، فكان بمثابة موظف يؤدي مهمة أوكلت إليه من طرف سيده، وهو مسؤول أمامه (الامبراطور الروماني)، وبوفاته عام 23م آل الحكم إلى ابنه بطليموس (Ptoleme) الذي قُتل على يد ابن عمه كايوس كاليجولا (Caligula) سنة

=B.DeVerneuit et J. Bugnot ,Esquisses historiques sur la Mauritanie césarienne , Riv..Afri, Vol:14,1870, op.cit, p49.

¹عبد القادر بوعزم، اغتيال الملك بطليموس ونهاية مملكة موريطانيا، مجلة الحضارة الإسلامية، الع:13، جامعة وهران، الجزائر، ص40.

²عبد الحميد بن أشنهو، الملك العالم، يوبا الثاني، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص19.

Stéphane Gsell, Juba II savant et écrivain, Riv. Afri, Vol: 68, A. Jourdan Libraire-Editeur, A Rnolet, Challamel Ainé, Paris, 1927, p-p, 169-185.

³Duane Wiroller, op.cit, p76.

40م¹، والحقيقة أن السكان المحليين لم يكونوا راضين على سياسة الرومان ضدهم طيلة تلك المدة ، فعبروا عن رفضهم في شكل مقاومات كان أهمها مقاومة تاكفاريناس الراضة لسياسة نزع الأراضي الزراعية².

بعد اغتيال بطليموس عمدة الرومان إلى إحكام سيطرتهم المباشرة على المنطقة ، واستمرت كذلك إلى غاية اعتلاء الامبراطور كلاوديوس (Claudius) العرش الذي عمل على تقسيم موريطانيا إلى مقاطعتين رومانيتين سنة 42م هما : موريطانيا القيصرية، وتقع شرق وادي ملوية وعاصمتها قيصرية ، وموريطانيا الطنجية إلى الغرب من مملكة بوغود السابقة وعاصمتها طنجة، وكان مقر الحاكم في القيصرية؛ وبالتالي أصبحت كل مقاطعة خاضعة لحكم الوكيل مع ما يتبعها من تنظيمات إدارية أخرى³، وبذلك تكون المملكة الموريطانية النوميديّة قد زالت ولو إسمياً مباشرة بعد اغتيال بطليموس أي في حوالي 39م أو 40م.

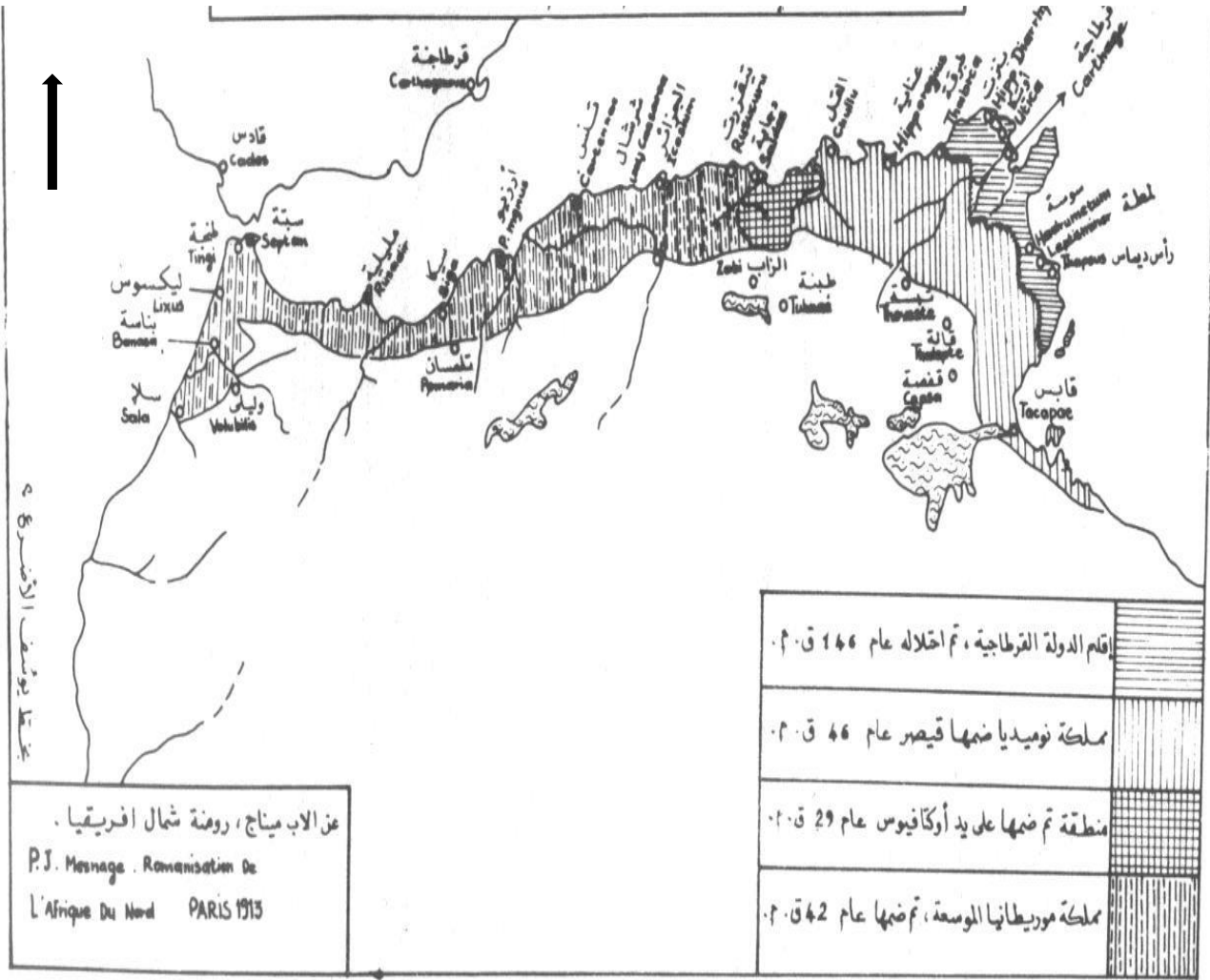
¹ كاليغولا (Caligula): هو كايوس جوليوس قيصر أغسطس جرمانيكوس ، ولد في 31 أوت عام 12م من أبوين هما: جرمانيكوس وأغريپينا (AGRIPPINA)، لقب بـ كاليغولا لارتدائه الكاليجا في صغره. تولى منصب الامبراطور بين عامي (37م-41م) كان طاغية، ووصف بالجنون في تنفيذ بعض الأوامر، كتعيين جواده عضو في مجلس الشيوخ الروماني، وذلك ما سبب له ضغينة من طرف الكثيرين الذين أجبروا على طاعته خوفاً منه، قُتل من طرف حراسه لسخريته منهم، ألفت في سيرته الكثير من المسرحيات. لمزيد من التفاصيل أنظر:

Winterling Aloys, Caligula Abiography, university of Californie press, Los Angeles London, p,p (16,17)

² أحمد صقر، مدينة المغرب العربي في التاريخ ، ج1، بوسلامة للنشر ، تونس، ص، ص 190 ، 191.

³Guy Lasserre Le Maroc antique, cahiers d'autre-mer, N: 01,1948, p-p.89-91).

WWW.Persee.fr.



الخريطة رقم (1)

خريطة مراحل التوسع الروماني (سياسة التدرج)

نقلًا عن:

محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب.....، المرجع السابق، ص 54.

وهكذا أملت الظروف العامة التي كانت تعيشها روما على الرومان انتهاج سياسة التوسع التدريجي المرحلي لشمال إفريقيا القديم، مستفيدة من أوضاع المنطقة بتعيين حكام محليين متحالفين مقابل الاستفادة من خيراتها تارةً، واستعمال سياسة التفرقة كورقة رابحة تارةً أخرى .

المبحث الثاني: النظام الإداري لروما في شمال إفريقيا القديم

اتبع الرومان سياسة الضمّ عن طريق تشكيل وحدات إدارية تسمى ولاية أو مقاطعة (Provancia)، والتي كانت تابعة لروما ويسير شؤونها مجلس الشيوخ الروماني (Senatus) عن طريق بروقنصل (Proconull)، أو الامبراطور عن طريق مندوب (Legatus)¹، وقد يعين على المقاطعة نواب بدرجة برايتور (Legati augustipro)، أونواب بدرجة بروبرايتور (Propraetorian)، ومجلس الشيوخ هو المخوّل سنوياً باختيارهم شرط التمتع بسلطة القنصلية²، وهكذا كان شأن مقاطعة إفريقيا التي تطلب من روما قرن ونصف قرن لإخضاعها (110ق.م-40م)، فكان لزاماً عليها إقامة صرح أجهزة تمكنها من السيطرة على هذه المقاطعة الصعبة.

كانت مقاطعة إفريقيا، وهي قرطاجنة التي اخضعت منذ عام 146ق.م الولاية السيناتورية الوحيدة بين الولايات الرومانية في شمال إفريقيا، حيث كان البروبرايتور (نائب القاضي) يسير شؤونها

¹ كان البروقنصل يتمتع بالسلطة المدنية والعسكرية خلال حكم أغسطس وتيبريوس، ويتولى كاليغولا الحكم انتزعت من البروقنصل المهام العسكرية، وأصبحت تابعة للامبراطورية، ولعل السبب في ذلك هو خوف كاليغولا من أن يستأثر البروقنصل بتلك الولاية فتستقيل عنه.

Tacite, Les Histoires , trad: J.L.Burnouf librairie de L.Hachette et cie, Paris, Liv :IV, PXLVIII.

² إبراهيم أيوب، التاريخ الروماني، ط1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1996م، (ص، ص)(185،188).

Joachim Marquardt, Organisation de l'empire Roman, T: 2, Ernest thorine, éditeur, Paris, p-p.70-450

ماعدًا في الحالات الاستثنائية التي تزامنت مع الحروب التي شنّها السكان المحليين ضد روما، حيث كان يُعيّن القناصل على رأسها، وقد كان هذا النظام يتماشى مع ظروف إفريقيا كولاية صغيرة فاقصرت مهمة حاكم إفريقيا على جباية الضرائب، وترتيب عملية تزويد روما باحتياجاتها من المواد الفلاحية، وتجنيد السكان المحليين في الخدمة العسكرية. وفي عهد أوكتافيوس الذي أرسى قواعد النظام الإمبراطوري تغير نظام حكم الولاية تبعاً لتحوّل النظام الروماني بأكمله، فتم تعيين بروقنصل على رأس إفريقيا التي اتسعت مساحتها بضم مقاطعة إفريقيا الجديدة سنة 25م¹.

أما نوميديا التي ضُمت سنة 46ق.م في عهد قيصر فاختلف نظامها الإداري عن جارتها الشرقية، فكان حاكمها يدعى المندوب المفوض (Légat)، ويعينه الإمبراطور مباشرة من الشخصيات العسكرية، ومن ثمة كان قائد الفرقة الثالثة، وله صلاحيات عسكرية ومدنية وقضائية يستمدّها من تمثيله للإمبراطور، وعليه فإن ما يميز النظام الإداري لنوميديا هو الطابع العسكري، لما عرفته هذه المنطقة من مقاومات شرسة جعلت المهمة الأساسية لمندوب الإمبراطور هي القضاء على الثورات المحلية، وحماية حدود المنطقة.

وفيما يخص موريطانيا القيصرية الممتدة من الوادي الكبير إلى نهر ملوية، والتي كانت جزءاً من نوميديا قبل منحها لبوخوس جراً مساعداته العسكرية لقيصر²، فإنه وبعد وفاة بوخوس الثاني، أوكل الإمبراطور أوكتافيوس إدارة المملكة إلى واليين رومانيين من سنة 33ق.م حتى 25م، واثراً اغتيال بطليموس سنة 40م أنشأ الرومان ولاية موريطانيا القيصرية، وعلى رأسها حاكم من رتبة البروكيراتور (Procurateur) أي وكيل الإمبراطور، وهي شخصية من الفرسان لها صلاحيات مدنية وعسكرية لمواجهة ظروف منطقة تميزت بكثرة الاضطرابات.

¹ محمد بوكبوت، الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات (صفحات من تاريخ الأمازيغ القديم)، مركز طارق بن زياد، الرباط، 1984، ص51.

² المرجع نفسه، ص52.

وبالنسبة لموريطانيا الطنجية التي أعلن كاليجولا ضمها إلى حظيرة الامبراطورية بعد اغتيال بطليموس، فقد عين الامبراطور كلاوديوس على رأسها شخصية من مرتبة سياتورية تحمل لقب وكيل الامبراطور مع القيام بمهام نائب الامبراطور (Légat)، حسب ما جاء في إحدى كتابات وليلي، لكن الملاحظ أن هذا التقسيم كان يتصف بالمرونة والتكيف مع الظروف؛ إذ كانت روما وفي الحالات الاستثنائية تعين حاكم إداري واحد للموريتانيتين وتزوده بصلاحيات غير محدودة.

مما سبق نستنتج أن النظام الإداري الذي انتهجته روما بشمال إفريقيا القديم كان يتغير وفقاً للتغيرات السياسية بروما وأنظمتها الحاكمة، ووفقاً لظروف المنطقة المحكومة وهي بلاد المغرب القديم، فالمناطق الخطرة غير المناطق الهادئة نسبياً أو الخاضعة كلياً.

المبحث الثالث: الاستيطان الزراعي

امتحن الليبيون القدماء الزراعة منذ عصورٍ سحيقة لتوفر الظروف الطبيعية من مياه ومناخ وتربة وأدوات زراعية، وقد تحدث هيرودوت عن صنف من أصناف الليبيون وهم الليبيون المزارعون، ووصفهم بأنهم أقوام كثيري العدد¹. وتذكر المصادر التاريخية أن القرطاجيون ساهموا في تطوير الزراعة وشجعوا على ممارستها²، كما حظيت باهتمام الملوك النوميدي فيما بعد، وخاصة في عهد العاهل ماسينيسا الذي حثّ النوميدي على استغلال الأراضي الخصبة³، والتي أشاد بها المؤرخون القدامى

¹ هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين، تر: مصطفى أعشي، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 2008م، ص 25.

² من مظاهر اهتمام القرطاجيون (ونعني بهم هنا سكان هذا الاقليم الجغرافي بما فيهم الليبيون واليونيون) بالزراعة هو تأليفهم للكتب الزراعية ومنها موسوعة ماغون من 28 جزء، أنظر:

M. Frédéric La croisc, Afrique Ancienne, Riv. Afri, vol: 14;1870,op.cit,p14.

³ أحمد السليمان، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، دار القصة، الجزائر، 2007م، ص 177.

خاصة تلك المتاخمة لنهر كنييس (Cinyps) وهو وادي كعام المناسب لزراعة الحبوب وأراضي بوهسبيري (Euhesperis)، وأراضي برقة التي تنتج أكثر من محصول في السنة¹.

أولاً: وضعية الأراضي في الفترة الرومانية :

باحتيال الرومان لشمال إفريقيا القديم تغيرت الأوضاع الزراعية بالبلاد، فقد اتبع الرومان سياسة انتزاع الأراضي من أصحابها وهم النوميدي، ومنحها للمعمرين باعتبارها حق مشروع، فالأراضي الخصبة ذات المنتج الوفير والمتنوع كانت تُسبّل لعاب روما منذ قرون عديدة، وكانت نظرهم إليها دوماً بخلفية اقتصادية لتغطية استهلاك روما من الحبوب²، ولعل أول إشارة للاستثمار الزراعي في شمال إفريقيا القديم كانت في عام 122 ق.م في عهد غايوس جراكوس، الذي وزع الأراضي الزراعية القرطاجية على ستة آلاف مواطن روماني على أن يكون نصيب كل واحد منهم حوالي 50 هكتار، غير أن قراره ذلك رفض من قبل مجلس الشيوخ الروماني، وبذلك خلا الجو لاحقاً لاستغلالها من طرف رجال المال الرومان³.

بحلول عام 46 ق.م بلغ عدد المستوطنين في المغرب القديم اثني عشرة ألف شخص يتولون مهمة الإشراف على استغلال الأراضي الزراعية وجمع المحاصيل، وتنظيم عمليات الشحن نحو روما والاستفادة من عائداتها⁴، وكانوا يمتلكون رخص لإقامة الأسواق بنوميديا، كما اقتطع قيصر لجنوده المسرحين أراضي شاسعة وخصبة لاستغلالها (Veterani)، واستفاد حراس الحدود بعد انقضاء

¹ عبد الله حسن المسلمي، العلاقات الليبية - البربرية مع مصر القديمة التحنو في المصادر المصرية، مجموعة مؤرخين، تاريخ إفريقيا العام دراسات ووثائق، تقرير ندوة نظمتها اليونيسكو، باريس،، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1984/1/16.18 ص60.

² محمد البشير شنيقي، التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية، مجلة الدراسات التاريخية، الع: 41، الجزائر، ص، 3، 2.

³ عبد القادر بوعزم، المرجع السابق، ص39.

⁴ محمد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 198، ص52.

مدة الخدمة العسكرية من أراضي زراعية لاستصلاحها وحمايتها عند الضرورة. وإلى جانب الأراضي الزراعية استفادت هذه الشريحة من إعفاء ضريبي لتشجيعهم على ممارسة التجارة، كما ساهموا في إيصال المياه لأراضيهم بعدة تقنيات¹.

وحتى يتمكن المعمرون من استغلال أراضيهم في أحسن الظروف تبنت روما سياسة أمنية تميزت بالصرامة والشدة ضد الليبيون بترحيلهم من أراضيهم إلى أراضي رعوية، أو جبلية أو صحراوية غير صالحة، ومصادرة أملاكهم، وتحديد مواطن تحركاتهم بإقامة خطوط دفاعية فاصلة مجهزة بكل ما يمكن للقضاء على أي اعتراض قد يصدر منهم ضد الرومان².

وبالنسبة للأراضي العامة فوفقاً للقانون الروماني فإنه يمنع التنازل عنها، ويُسمح للمواطنين الرومان من الأثرياء والأفارقة باستغلالها دون امتلاكها مقابل ضريبة سنوية، وهذا ما أدى إلى ظهور الضيعات الكبيرة (اللاتيفونديا) التي ظهرت في أواخر العهد الجمهوري خلال الحرب الأهلية، وما صحبها من جشع في السيطرة على الأراضي التي كوفئ بها الرأسماليون الرومان والإيطاليون، والشخصيات السامية وقدماء الجند، وُترك القسم المتبقي للنوميدي يستغلونه مقابل جزية يدفعونها لروما.

أما الأراضي البوار القليلة الخصوبة أو الصحراوية أو الجبلية وحتى الوعرة، والتي تنتشر بها المستنقعات فقد تركت للنوميدي يستغلونها أيضاً مقابل ضريبة سنوية³. ويظهر أن الرومان قد استمروا في سياستهم الاستغلالية تلك، التي تمت في فجر الامبراطورية الرومانية، من خلال ضم الأراضي

¹ شافية شارن، النشاط التجاري في نوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني، دكتوراه قدم، إشراف محمد البشير شنيقي، جامعة الجزائر، 200-2001م، ص96.

² الحبيب بشاري، السياسة الأمنية الرومانية في شرق موريطانيا القيصرية، أنظر: مجموعة مؤلفين، بحوث ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، دار أمجد للطباعة، 2013م، ص157.

³ الحبيب بشاري، دور المقاطعات الإفريقية في اقتصاد روما، دكتوراه قدم، إشراف: محمد البشير شنيقي، جامعة الجزائر، 2006، 2007، ص125.

الداخلية والجنوبية والتخوم الصحراوية في شرقي الأوراس، وهذا ما أدى إلى انتفاضة النوميدي خصوصاً أن الامبراطور دعم تلك السيطرة بإقامة التحصينات، ومد شبكة الطرقات عرفت تلك المقاومة باسم قائدها تاكفاريناس الذي نسبت إليه¹.

ثانياً: عملية المسح والكترة:

اتبع الرومان بعد سيطرتهم على الأراضي الزراعية عملية إدارية وهندسية تسمى بعملية المسح، بتقسيم الأرض إلى وحدات مساحية متساوية تدعى كنتورياتي (Centuriae)، مساحتها في المتوسط 50 هكتار، فعمدوا إلى تخطيط الأرض المراد كترتها بخطين متعامدين شرق-غرب يسمى أحدهما بخط الديكومانوس (Maximus Decumanus)، والآخر خط الكاردو² (Maximus Cardo) الذي يرجع الفضل في معرفة اتجاهه إلى مجموعة من الباحثين أمثال: ديلاتر (Delatter)، وسومان في أعمالهم الأثرية ببيرسا (Byrsa)³.

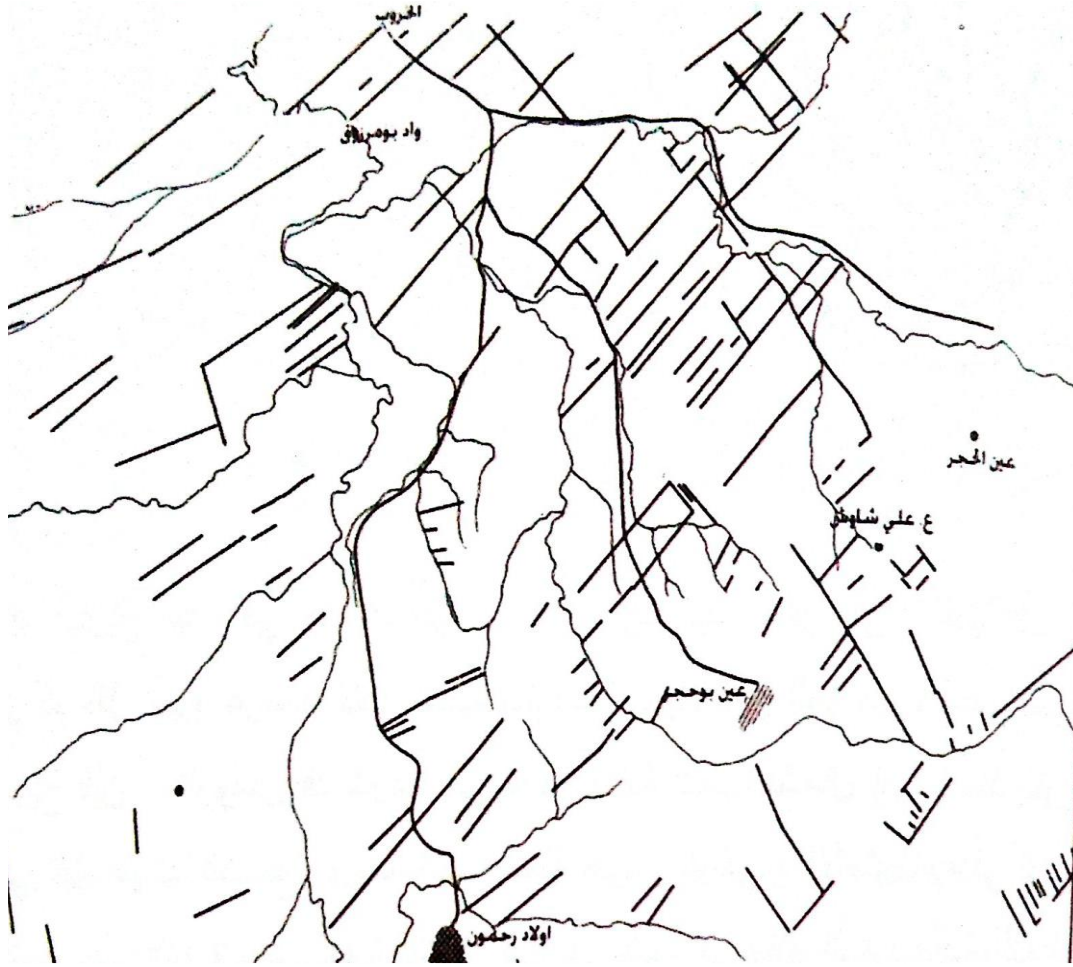
وانطلاقاً من الخطان الرئيسيان السابق ذكرهما يتم إنشاء خطوط أخرى متوازنة لتحصل على قطع مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها 710م، وتعادل 200 يوجيرة، وعن أصل الخطان الكاردو والديكومانوس يذكر الشنيتي أنهما كانا يمثلان خطان متقاطعان في مدينة روما، ويمثلان عند الرومان على أنهما خطان وهميان في شكل طريقين رئيسيين يلتقيان في قلب المدينة الرومانية⁴. (أنظر الشكل (01)، الصفحة 34)

¹Stéphan Gsell, Inscription latines de l'Algerie, T: 01, libraire Ancienne Honoré Champion, Paris, 1922, p267.

²محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، دار الهدى، الجزائر، 2008م، ص76.

³Jean Deneave, Françoise Villedieu, Le Cardo maxilus et les édifices situés à l'est de la voie, Anti. Afri, T: 11, 1977, p98.

⁴محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص، ص55، 56.



آثار مسح الأراضي وتجزئتها إلى حصص في إطار عملية الكنترة
جنوبي سيرتا

نقلاً عن:

محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما الإمبراطورية، ط1، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2012، ص75

وقد أخذ المسّاحون في نوميديا أثناء عملية الكنترة بعين الاعتبار خصوصية المنطقة خاصة عند تجزئتها إلى حصص صغيرة لتوزيعها على الفلاحين، حيث كان يتم الفصل بين الحصص بوضع الحدود بواسطة الحجارة¹، وقد تكون مجاري مائية أو تراكمات للتربة²، كما كانت عملية المسح متوازنة مع عملية الاستيلاء، إذ بمجرد السيطرة العسكرية على منطقة ما يتم مسح أراضيها، والراجح أن بداية هذه العملية كانت مرتبطة بالاحتلال الروماني لقرطاجنة منذ عام 146 ق.م، حيث اعتبرت أرضها ملكاً للرومان، ولا بد من تسيير أملاكها وأراضيها وفقاً لمنظومتهم الإدارية.

والظاهر أن أول إشارة صريحة لعملية المسح كانت سنة 122 ق.م عندما وُطنَ النائب غايوس جراكوس 600 رومانياً بقرطاج ووزع 200 يوجيرة (50 هكتار) على كل واحدٍ منهم لاستغلالها زراعياً، ومع مرور الوقت صار الإحصاء لا يقتصر على الأراضي الزراعية، بل شمل السكان والماشية والمزروعات والوظائف وغيرها³.

ثالثاً: التوسع في زراعة القمح

مثّل القمح الغذاء الرئيسي للمغاربة القدماء ولذلك اهتموا بزراعته، ولأن إنتاجه كان وفيراً فقد كان يُصدر إلى الخارج خاصة اليونان وروما، وتشير الإحصائيات أن ماسينيسا منح الرومان كميات كبيرة من الحبوب خلال حملاتهم على الشرق بلغت حوالي مائتي ألف بوشل⁴ 17508 هكتولتر

¹Pol Troussset, Nouvelles observations sur la centuriation romane à l'est d'Eljem , Anti. Afri, T:11, 1977,(p,p)(184,186).

²ابراهيم بورحلي ، علامات المسح الروماني في شمال تيمقاد، مجلة آثار ، الع: 01، الجزائر، 1998م، ص51.

³محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية.....، المرجع السابق ، ص60

⁴ بوشل (Bushel): هي أداة قياس بريطانية وأمريكية للأحجام الجافة الخاصة الزراعية (1بوشل = 27.2188 كيلو قمح. أنظر موقع تحويل الأوزان <https://www.convertworld.com/ar/volume/bushel.html> يوم 12-3-2021، على الساعة 23:00.

قمح ومثلها من الشعير¹، وفي عام 198 ق.م أرسل 17508 هكتولتر أخرى، وبلغت سنة 191 ق.م 26262 هكتولتر من القمح، و21885 هكتولتر شعير، وفي عام 170 ق.م 87540 هكتولتر من القمح (يمكن تقدير وزن الهكتولتر من القمح بـ81 كغ)².

واستطاعت مدينة برقة لوحدها أن تمول فترة القحط لثلاثة وأربعين 43 مدينة يونانية من القمح، حيث كانت قادرة على تأمين الغذاء لحوالي 240000 نسمة في السنة، تطلب نقلها وتوزيعها حوالي 480 رحلة بمتوسط 100 طن للرحلة، وقد اعتمد عليها بومي في القرن الأول لتمويل جيشه، ووصل قمح برقة في العهد الإمبراطوري إلى عدة مناطق بإيطاليا³.

من خلال الأرقام السابقة يتأكد لنا أن إنتاج القمح كان وفيراً جداً في بلاد ليبيا، وخاصة في عهد ماسينيسا، والذي يرى المؤرخون أنه استمر كذلك حتى في عهد أحفاده، وقد أشاد بجودته وتغنى به العديد من المؤرخين في العديد من المناسبات، حيث ذكر فارون (Varron) أن حبة القمح في بيزاسيوم (Bysacium) - وهي منطقة ممتدة من جنوب الحمامات إلى شمال خليج قابس بتونس - إفريقيّا تنتج مائة حبة في الغالب⁴.

رأى الرومان بعد احتلالهم لشمال إفريقيا القديم أنه لا بد عليهم من استغلال تلك الأراضي الخصبة المعروفة بإنتاجها الوفير للمادة الأساسية للغذاء وهي القمح، خاصة وأنها كانت تعيش

¹Tit-Live, Aburbe Conditia, trad: M. Nisard, Firmin-didot, Paris, 1864, liv: XXXI, XIX.

²قابرال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بداية التاريخ. تر: محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص، ص.242، 243.

³اليتور أقسبارتي، برقة القديمة واقتصادها، تر: سعاد خليل، مجلة الليبي، الع:4، مؤسسة الخدمات الاعلانية بمجلس النواب، ليبيا، أبريل 2019م، ص50.

⁴Varron, De m'agriculture, trad: M. Nisard, Firmin-didot et c. libraires, Paris, liv I, XLIV.

أوضاعاً صعبة مع تنامي القوة الديمغرافية، وبرز روما العاصمة كمدينة مليونية¹، ولا بد من توفير الغذاء لسكانها، ولذلك نجد قيصر يُصرح بعد احتلاله لأراضي نوميديا قائلاً "لقد أتيت اليوم لروما ببلد يستطيع أن يزودها بمقدار 840.000 قنطار من القمح سنة 46 ق.م"²، ويذكر في ذات السياق المؤرخ تاكيتوس بأسلوبٍ ساخر "إن الأرض الرومانية ليست عقيمة، ولكننا نفضل زراعة إفريقيا ومصر وحياة الشعب الروماني مرهونة بالسفن"³.

وقد حظيت زراعة القمح لوحدها خلال القرن الأول بتشجيعٍ خاص من الإدارة⁴، ونمى ذلك الاهتمام في عهد الإمبراطور أوكتافيوس، الذي وعد الرومان بتوزيع القمح مجاناً على شعب روما، وارتفعت قيمة القمح المشحون في عهد نيرون حتى وصلت ثلثي احتياج الدولة من القمح أي 2 مليون قنطار أو أكثر، ومع انقسام الامبراطورية وظهور القسطنطينية كعاصمة جديدة أصبحت الحاجة أكثر للقمح لأن قمح مصر الذي كان يزود روما صار مخصصاً لتزويد العاصمة الجديدة.

من أجل زيادة إنتاج القمح عمّد الرومان إلى سن مجموعة من القوانين لهذا الغرض، ومنها إجراءات الامبراطور نيرون المتعلقة بتأميم أملاك الخواص (اللاتيفونديا) التي أهملها أصحابها، وقرار دومتيانوس القاضي بمنع غرس الكروم في أراضي الولايات الإفريقية، كما أصدر تراجانوس⁵ قانوناً

¹ قدر بعض الدارسين عدد سكان روما في بداية عصر الامبراطورية بـ 800 ألف، وقدره آخرون بمليون و200 ألف ساكن، وهناك من ذكر أنها ضمت 3 مليون و600 ألف. أنظر: حسين الشيخ، الرومان، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005م، ص171.

² محمد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية.....، المرجع السابق، ص85.

³ Tacite, Annales, trad: J. L. Burnouf, Librairie de Hachette et. Cie, Paris, liv: XII, XLIII.

⁴ عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج1، ط5، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ص64.

⁵ تراجان (TRAJAN): هو ماركوس ألبينوس نيرفا ترايانوس ولد في 15 سبتمبر 53م بإيطاليكا بإسبانيا، تولى منصب الامبراطورية من (98-117م)، سعى خلال حكمه إلى توسيع حدود الامبراطورية شرقاً. أنظر:

ينص على منع غرس الكروم ماعدا ما يُعوض الكروم القديمة¹، ويذكر بولينوس الكبير أن سبب ذلك هو تأخير حصادها وإنتاجها إلى العام الموالي، وما تتطلبه تلك الشجرة من شروط مناخية كونها تتأثر بالحرارة المرتفعة والبرودة الشديدة. (أنظر الشكل (2)، الصفحة 39)

على أن زراعة الزيتون والكروم هي الأخرى شهدت توسعاً زراعياً وتطوراً كبيراً خلال القرن الثاني للميلاد، حيث سمح الأباطرة بتطوير حُرِّ للفلاحة الليبية، وتشجيع غراسة الزيتون والعنب، وهذا التحول لم يتم صدفة، بل كان مرتبطاً بمتغيرات اقتصادية وسياسية، فنتيجة الرخاء الذي بدأت تعرفه روما وانتشار حياة البذخ والترف بدأ الطلب يرتفع على منتجات أخرى غير القمح كالخمور، والزيتون المستعملة في التجميل والإنارة²، وتذكر المصادر التاريخية أن يوليوس قيصر كان قد فرض ضريبة سنوية على مدينة لبدّة الكبرى تقدر بثلاثة ملايين رطل من زيت الزيتون، وأن أهالي لبدّة ظلوا يدفعونها إلى غاية إعفائهم بقرار صدر عن الامبراطور قسطنطين بعد توليه الحكم.

وقد تنوعت الضرائب الرومانية على المنتوجات الزراعية من قمح وأشجار مثمرة، بل وشملت الحيوانات أيضاً³، كما أن القمح الذي كان يصدر لروما هو في الأساس ضرائب مفروضة على المزارعين في الريف، يتم جمعها بإشراف من محصلي الضرائب ومسؤولي المقاطعات ووكلاء الإمبراطور، وتودع في المخازن ويتم شحنها في السفن إلى روما⁴.

Mason Hammond, Trajan roman emperor, encyclopedia britannica.
WWW.britanica.com.

¹ أحمد أنديشة، الامبراطورية الرومانية والقمح الإفريقي، مجلة البحوث الأكاديمية الليبية، ليبيا، ص 441.

² محمد بوكبوط، المرجع السابق، ص 62.

³ أحمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، ط 01، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، ليبيا، 1993م، ص 182.

⁴ أ. لاروند، التنمية الزراعية في ليبيا في عهد الرومان وتأثيرها على الاقتصاد الليبي-الروماني قبل الفتح الإسلامي، أنظر: مجموعة مؤرخين، تاريخ إفريقيا العام دراسات ووثائق، مرجع سابق، ص 19.



الشكل (2)

مشهد فسيفساء لمزرعة أحد كبار المزارعين تعود لأوائل القرن الرابع ميلادي بطبرقة

http://www.inp.rnrt.tn/index.php?option=com_content&view=article&id=113&Itemid

تاريخ الزيارة : يوم 29-03-2020م، على الساعة 15:22 ليلاً

ولحاجة الزراعة للماء اتبع الرومان عدة طرق لمعالجة مشكل ندرته، أو بُعده عن الاستصلاحات الزراعية والضيعات فبنوا السدود كالتي وجدت في لبّيس ماجنا (لبدة)، والصهاريج الريفية والخزانات، وحفروا الآبار وقنوات جر المياه¹، ومن أهم الباحثين الذين اهتموا بدراسة تلك التقنيات نجد العالم برادي صاحب كتاب "فوساتوم أفريقيا"، الذي تحدث فيه عن اشكالية المناخ والنظام المائي في التخوم الصحراوية².

وهكذا سيطر الرومان على الأراضي الزراعية الخصبة بتقسيمها على مواطنيهم الرومان وحلفائهم من الليبيون، ولتدعيم ذلك سنوا القوانين حسب حاجتهم دون الأخذ بعين الاعتبار أنها ملك شرعي للسكان المحليين الذين طردوا منها مُجبرين إلى أراضي بعيدة وفقيرة؛ فاضطّر البعض منهم أن يعمل بصفة عبدٍ في أرض أصبحت ملكاً للسيد أو الوكيل الروماني.

المبحث الرابع: التنظيم العسكري:

وصلت روما لقمّة عظمتها بفضل سياستها الحكيمة وتوسعاتها العسكرية، ولذا فقد كان الجيش الروماني دائماً واحداً من العوامل الهامة لعظمة روما، وسنحاول في هذا العنصر الإشارة إلى نبذة عن الجيش الروماني في قلب العاصمة روما وفي ولاية أفريقيا.

أولاً: نبذة عن الجيش الروماني

مثّل الملك في روما رأس الحكم، فكان يعقد المعاهدات ويقرر السلم والحرب³ بموافقة مجلس الجماعات، الذي يضم رؤساء القبائل التي يتشكل منها المجتمع الروماني (مجتمع قبلي)، ومن أفراد

¹ جمال عناق ، الأنظمة والتقنيات المائية في الفترة القديمة بإقليم الزاب وجنوب الأوراس ، مجلة الآثار ، 2018، ص7.

²Baradez Jean, Fossatum Africae, center de documentation historique sur l'Algerie, <http://www.cdha.fr/note-de-lecture-fossatum-africae-de-jean-baradez> . إطلعت عليه يوم 12-5-2021م، على 22:45

³إبراهيم أيوب ، التاريخ الروماني ، ط1، الشركة العالمية للكتاب ، لبنان ، 1996، ص30.

تلك القبائل كان يتم تشكيل الجيش الذي بلغ تعداده على الأرجح ثلاثة آلاف مشاة، وثلاثمائة فارس، بحيث تساهم كل قبيلة بـ 1000 جندي، و 100 فارس¹ كلهم من الطبقة الغنية، ويجهرون أنفسهم بالسلاح من نفقتهم، أما الفقراء فكانوا معفون من الخدمة العسكرية².

كان يجتمع الجنود في معبد الكابيتول، ويختارون هناك من ينبغي لهم من الجنود لتأليف الجيش فيؤدون القسم على الولاء والطاعة للقائد، ومع تزايد عدد السكان وتوسع الرومان نمت عدد أفراد الجيش الروماني، وأنشأ الجيش المحترف الذي يقضي فيه الجندي مدة 25 سنة في التدريب والخدمة العسكرية، كما خصّصت الإمبراطورية له راتباً، وهذا ما شجع الإيطاليون وكذا الأجانب إلى الانخراط فيه، واعتبر ذلك فرصة لديهم للحصول على حقوق المواطنة الرومانية³.

ثانياً: الجيش الروماني في إفريقيا

مع ارتفاع عدد الثورات والحركات النوميديّة الراضية للاحتلال، قرّر الرومان إنشاء جيش دائم في إفريقيا يضمن لهم الحفاظ على وجودهم، وقد قسم الرومان جيشهم في شمال إفريقيا إلى ثلاثة فرق وهي:

1. جيش إفريقيا ونوميديا Armée d'Afrique et de Numidie
2. جيش موريطانيا القيصرية Armée de Mauritanie Césarienne
3. جيش موريطانيا الطنجية Armée de Mauritanie Tingitane

¹ ابراهيم أيوب، التاريخ الروماني، المرجع السابق، ص 30.

² شارل سنيوبوس، تاريخ حضارات العالم، ط1، تر: محمد كرد علي، العالمية للكتب والنشر، 2012، ص 150.

³ تشارلز ورت، الامبراطورية الرومانية، تر: عبده رمزي جرجس، مكتبة الأسرة، مصر، ص 44.

وكانت هذه الفرق مكلفة بالحفاظ على الأمن في مختلف أرجاء البلاد، وعند الحاجة كان يتم توحيد فرقتين تحت قيادة واحدة لضمان نجاح العملية العسكرية¹.

يُشكل الفيلق الأوغسطي الثالث الجيش النظامي الوحيد بإفريقيا، بالإضافة إلى القوات المساعدة (Auxilia) بمقاطعة موريطانيا، والتي كانت تضم جنوداً من أقاليم مختلفة² وليست ليلية بغرض تجنب أي صدام بينهم وبين ذويهم الثائرين ضد روما. كما ضم الفيلق الأوغسطي بالإضافة إلى الجيش النظامي المتكون أساساً من الجنود الرومان، والحاصلين على المواطنة الرومانية، ووفقاً للنظام قسّم الرومان جيشهم إلى كتائب وفرق مساعدة وهي كما أوردها المؤرخ روني كانيا :

أ-الكتائب Alas

1. كتيبة نوميديا Alam Numidica

2. كتيبة فلافيا Ala Flavia

3. كتيبة أوغسطا بانيونيا Ala Augusta Pannoniorum

وقد استنبطت أسماء تلك الفرق من أسماء المناطق التي تكونت فيها نواتها الأولى.

ب- الفرق Cohors

1. الفرقة الأولى الخلديونية للفرسان (Cohors I Cholcidenerum

Equitata)

2. الفرقة الثانية أميوروم (Cohors II Amiorum)

3. الفرقة السادسة الكمبانية للفرسان (Cohors VI Compagnorum

Equitata)

¹Cagnat .M.René, L'Armée Romaine d'Afrique et l'Occupation Militaire de l'Afrique, Imprimerie Nationale, Paris, 2013, p103.

²Gaston Boissier, Roman Afrique, G. Putnam's sons, New York, London, Paris, 1899, p108.

4. الفرقة الثالثة الفلافية للفرسان (Cohors III Flavia Equitata)
5. الفرقة الثانية الاسبانية للفرسان (Cohors II Hisparorum Aquitata)
6. الفرقة الرابعة الاسبانية (Cohors IV Hispanorum)
7. الفرقة السابعة اللويتانية للفرسان (Cohors VII Lui-Tanarum Equitata)
8. الفرقة الموريطانية (Cohors Mauritanorum)
9. الفرقة الثانية المورية (Cohors II Maurorum)
10. الفرقة الثانية جمبلي تراكون للفرسان (Cohors IIGemella Thracum Equitata)¹

زيادة على ما تقدم ضم الجيش كتيبتان من الليف غير النظامي (Numerus)، وهي كتيبة "تدمر السورية" (Numerus palmyrenum)²، والتي اشتهرت بمهارتها في رمي السهام والرمح، وقد استفاد منهم الرومان كثيراً في حراسة وحماية جنوب نوميديا والتخوم الصحراوية في لامبيز وكالكوس (القنطرة)³، كونهم معتادين على حرارة صحراء سوريا وركوب الجمال، بالإضافة إلى كتيبة "قيصرية المورية" (Escilation Militum Mourorum Caesariensium)

قدر عدد أفراد الجيش النظامي في مقاطعتي إفريقيا ونوميديا بـ 12 ألف جندي في الحالات العادية تحت رئاسة البروقنصل الذي يعين من طرف مجلس الشيوخ الروماني بروما، وظل كذلك حتى عام 37م حين استبدل الإمبراطور كاليغولا البروقنصل بقائد عسكري ليغاتوس (Legatus Augusti) يأتمر بأوامر الإمبراطور ويعمل على مراقبة الوالي. أما الكتيبة فتضم 480 جندي عدا

¹Cagnat .M. René, op.cit, p,p.107,108.

²محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999، ص96

³Gaston Boissier, op.cit, p111.

الكتيبة الأولى التي تضم ضعف العدد، ويساعد القائد الأعلى جملة من الضباط برتبة بريفيقتوس (Praefevtus) أو تريبينوس (Tribunus) وتحتهم ضباط صغار¹.

وعن تاريخ انشاء "الفيلق الأوغسطي" فان الراجح عند المؤرخين أن تأسيسه يعود إلى الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس الذي سمي الفيلق بالأوغسطي نسبة له عام 27 ق.م²، وينسب آخرون إلى عهد سابقه الإمبراطور يوليوس قيصر الذي أنشأه خلال الحروب الأهلية، ومن القائلين بهذا الرأي الأستاذ مومسن (Mommsen) وفيجل (M.Fiegel)، ويعتقد فريق ثالث أنه كان جزءاً من قوات أوكتافيوس قبل صعوده على كرسي الإمبراطورية، مما يعني أنه تأسس خارج ولاية إفريقيا. ومهما تعددت الاحتمالات والآراء إلا أن الأكيد هو أنه كان موجوداً بشمال إفريقيا في عهد أغسطس.

كان مقر الفرقة الأوغسطينية أول الأمر بأميدرا (حيدرة بتونس)، وفي سنة 75 م تم نقل مقرها إلى تيفاست (تبسة)³، ومع نهاية حكم الفلافيين نقل إلى لامبيز (تازولت اليوم). (أنظر الشكل (3) الصفحة 46، والخريطة (2) الصفحة 45). كان الانخراط في هذه الفرقة مقتصر على المواطنين الرومان دون غيرهم، وظلت هكذا حتى بداية القرن 2م، أين أصبحت تتكون من عناصر تنحدر من مقاطعات الشرق اليوناني والأفارقة الليبيين، وابتداءً من عهد هادريانوس⁴ صار عدد الأفارقة فيه حوالي 87 بالمئة من مجموع الجنود.

¹ أحمد مشارك، المرجع السابق، ص 149.

² Cagmat. M. René, op.cit, p140.

³ LeBohec, Birly, Christime Hamdoun, Les Auxilia esterna Africains des Armées Romaines III siècle J.C, IV siècle, L'Antiquité classique, T: 70, 2001, p489.

⁴ هادريانوس : هو ثالث الأباطرة الجيدون الذين حكموا روما، وهم: (نيرفا، تراجان، هادريان، أنطونيوس، ماركوس أوريليوس) كونهم حكموا بالعدل، ولد بايطالिका باسبانيا، وهو ابن أخ الإمبراطور تراجان وقد تبنته بعد وفاة والديه، ولذلك تولى منصب الإمبراطورية بعد وفاته عام 117م واستمر على عرشها حتى 138م، ويُعد سور هادريان بالبحر المتوسط من أهم إنجازاته في =سبيل حماية الإمبراطورية. أنظر: Joshua J. Mark, Ancient history Encyclopedia, 2.9.2009, WWW.ancienteu

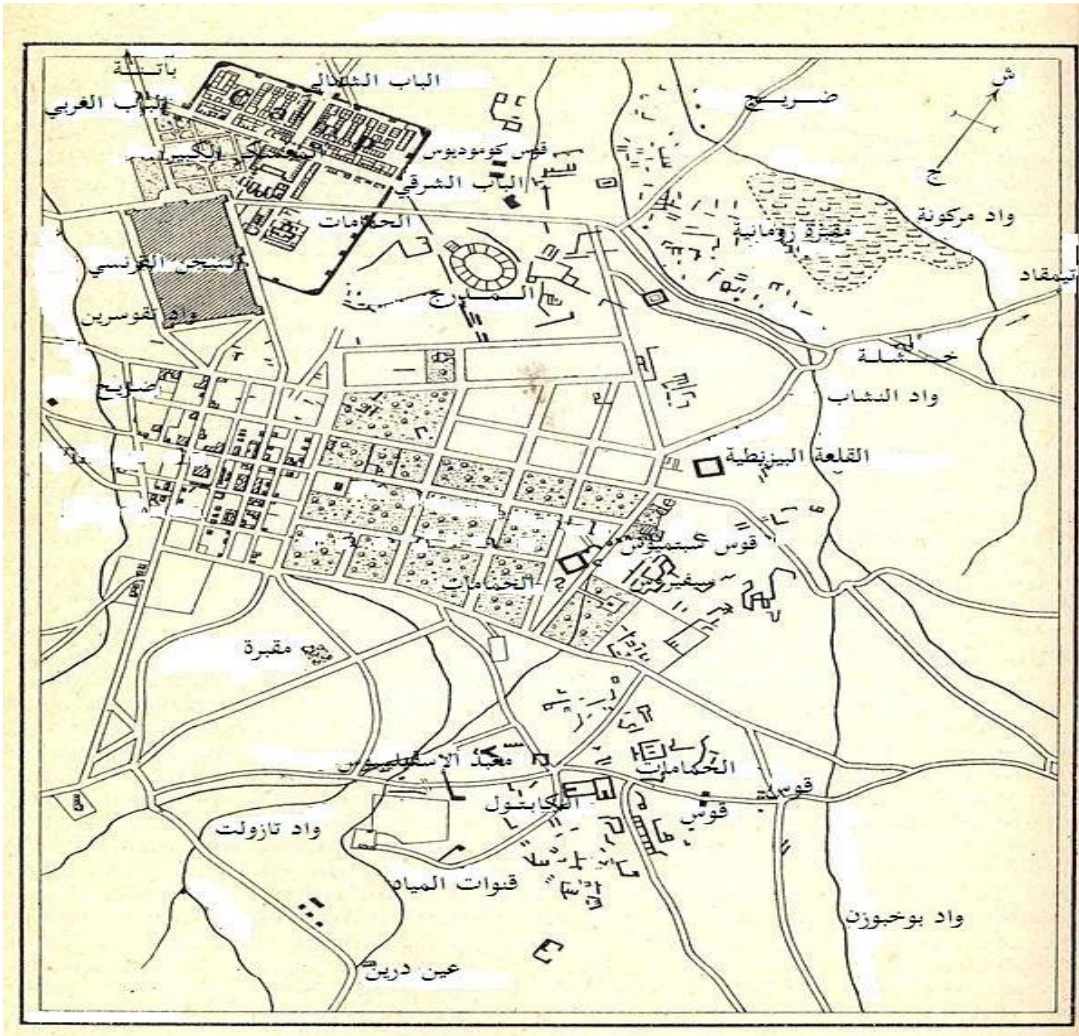


الخريطة (2)

خريطة توضيحية لمقرات الفرقة الأوغسطية الثالثة (من إعداد الطالبة)

اعتماداً على ما ورد في كتاب:

yann le Bohec, La Troisième Légion Auguste, Centre National De La Recherche, Scientifique, 1989.



الشكل (3)

صورة لمعسكر لمبيز للفيلق الأوغسطي الثالث

نقلا عن:

http://encyclopedie-afn.org/Plan_Lamb%C3%A8se_-_VilleM

ثالثاً: المهام المختلفة للجيش

إذا سلمنا بالرأي القائل بأن قيصر هو مؤسس "الفرقة الأوغسطية الثالثة" فإن الفضل في انتصاراته التي حققها بشمال إفريقيا تعود إلى تلك الفرقة الأوغسطية، وخاصة القضاء على البومبيين وحليفهم يوبا الأول وتغيير الخارطة السياسية للبلاد في 46 ق.م، كما أن الفضل يعود إليها في القضاء على مقاومة تاكفاريناس التي استمرت لأكثر من 7 سنوات. وإلى جانب تلك الانتصارات العسكرية وحفظ الأمن بشمال إفريقيا ساهم جنود الفرقة الأوغسطية في إنجاز مختلف التقنيات المستعملة لغرض ربط الأراضي الزراعية بالماء مثل القنوات المائية وغيرها.

ويذكر شنيتي أن جنود الفرقة الأوغسطية كانوا يعمدون بعد اخضاع الجموع الثائرة، وانتزاع الأراضي من الفلاحين إلى إجراء مسح لتلك الأراضي وكنترتها مباشرة كما في تبسة، وإقليم الأوراس شمالاً وجنوباً، ومشاركتهم في الاستثمار الفلاحي بعد استفادتهم من قطع زراعية عقب انقضاء الخدمة العسكرية، وفقاً للقانون المتعلق بالجنديّة¹. كما ساهموا أيضاً في تشييد المعسكرات كمعسكر جميلي (Gemellae)، وتازولت، ومعسكر مجدل (المسيلة)²، والمدن والقلاع والحصون والأسوار مثل مدينة تيمقاد وقلعة أنطونيوس الورع قرب معسكر³.

أما فيما يخص الطرق فبالإضافة لحراستها ساهم الجنود في تعبيدها بغرض ربط الولايات بمناطق الحدود حتى يسهل السيطرة عليها، وأمدادها بالجيش في حالات الخطر، إذ يذكر المؤرخون أنهم قاموا بتمهيد الطريق الرابط بين تيفيست التي نقل إليها مقر الجند في عهد فسباسيان ومدينة هيبو ريجيوس، ومنها حتى مدينة بيوكسن (Aquae Caesaris) وعين زوي (VaZaivi)، وماسكولة (Mascula)

¹Yann LeBohec , op.cit,p74.

² محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية، المرجع السابق، ص78.

³ بنت النبي مقدم، المنجزات العسكرية بالجزائر القديمة، مجلة أفكار وآفاق، الع:02، جامعة الجزائر 2، 2017، ص، ص70،71.

وتوشين (LambaFundi) إلى لامبيز، ومنها إلى مروانة (Lamasba) وزراري (Zarai) حتى الحدود الموريطانية.

وفي عهد تراجانوس (98-117م) تم تدعيم ذلك الطريق بالمرافق والتحصينات خاصة بعد إنشاء مستعمرة لقدماء الجنود بمدينة تيمقاد، كما أمر هادريانوس بتمهيد طريق حربي يصل قرطاجة بتفست (تبسة) بلغ طوله 275 كم²، وتم وصل طريق فاصل بين الموريطانيتين¹ عام 201م وغيرها من الطرق الأخرى². أما إدارياً فأوكلت لجنود الفرقة الأوغسطية مهمة جمع الضرائب وضمان نقل البريد (Cursus Publicus) إلى إدارة المقاطعات، وبعض النشاطات المتعلقة بها³.

رابعاً: الخطوط الدفاعية (الليمس Limes)

أقامت روما خطوطاً دفاعية لحماية مستعمراتها في شمال إفريقيا سميت بخطوط الليمس، والتي مثلت حداً فاصلاً بين أراضي الرومان والشعوب المعادية لها بواسطة حدود طبيعية كالجبال والأودية والأنهار، أو مصنعة كالطرق المعبدة والمراكز العسكرية والخنادق، وقد تتخللها الأبراج والحصون التي شيدها جنود الفرقة الأوغسطية الثالثة، ومنه فهو ليس خطاً دقيقاً، إذ في بعض الأحيان كان شريطاً حدودياً عمقه يتراوح بين 50 و150 كلم في الحدود الصحراوية، وهدفه توجيه حركة ترحال القبائل الرعوية.

وقد سائر خط الليمس في تطوره الأوضاع العامة للبلاد، وتم تكييفه مع كل المستجدات الداخلية، ففي القرنين الأول والثاني كان الغرض منه هجومياً، ثم تحولت أهدافه ابتداءً من القرن

¹ لمزيد من التفاصيل أنظر: محمد البار، مواقع بعض محطات المحاور الطرقية بين الموريطانيتين الطنجية والقيصرية، أنظر: مجموعة مؤلفين، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا وحضارته، ط01، مكتبة درا السلام، المغرب، 2007، ص-ص. 308-312.

² أبو بكر سرحان، الطرق ووسائل النقل والحصون الرومانية في المغرب القديم، مجلة وقائع تاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، الع: 21، جامعة القاهرة، 2014، ص111.

³ شافية شارن، أهمية القنطرة الاستراتيجية والاقتصادية في العصر الروماني، أنظر: سلاطينة عبد المالك، المصادر التاريخية والأثرية وأهميتها في البحث التاريخي الأثري، ط01، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2013، ص266.

الثالث إلى الدور الدفاعي، ويرتبط تطوره ذلك أيضاً بشخصية كل إمبراطور وسياسته التوسعية، وما تتوفر لديه من إمكانيات مادية، وما تتعرض له البلاد من تهديدات داخلية وخارجية¹.

والحقيقة أن عملية التحصينات في شمال إفريقيا قد بدأت مع بداية الاحتلال الروماني سنة 146 ق.م بإنشاء ما يسمى بالخنديق الملكي لفصل الأراضي القرطاجية عن نوميديا. (أنظر الخريطة (3) والشكل (4)، الصفحة 50، 51)، ومع بداية القرن الأول (1 ق.م) استمر الرومان بفرض سيطرتهم واستحكامهم بالمنطقة بتشكيل الفرقة الأوغسطية الثالثة، والتي لعبت دوراً رائداً في فرض النفوذ الروماني عن طريق تشييد الحصون ومعسكرات الجند وتعبيد الطرقات.

وتسارعت عملية إقامة الخطوط الدفاعية أكثر في عهد أغسطس وتبريوس وكاليغولا ونيرون، وتراجان²، هذا الأخير الذي أنشأ خطأً دفاعياً لحماية حدود الامبراطورية الرومانية (جدار تراجان) بنواحي الأوراس، وهادريانوس الذي أنشأ معسكر جميلي (القصبه)³.

¹ الحبيب بشاري، السياسة الأمنية الرومانية في شرق موريطانيا القيصرية، المرجع السابق، ص 158.

² محمد تيكالين، التواجد الروماني في الصحراء بين الاستراتيجية الدفاعية والمصالح الاقتصادية، مجلة الواحات، الع: 15، جامعة غرداية، 2011، ص. 109، 110.

³ Guey Julien, Note Sur Limes Roman de Numidie et le Sahara au IV siècle, Mélanges de l'école Française de rome, vol:56, 1939, p,p, 18-181.



الخريطة (3):

حدود الخندق الملكي (فوسا ريجيا)

نقلًا عن:

N. Ferchiou, Fossa Régia, Encyclopédie Berbère,

N: 19, 1998,p2897.



الشكل (4):

نقيشة الخندق الملكي بوادي الطين(تونس)

نقلًا عن:

عبيد حسني، مسير الخندق الملكي بحوض سليانة، اعمال الندوة الوطنية للتاريخ العسكري حول التخوم بالبلاد التونسية عبر العصور،3، 4 جوان 2014م، وزارة الدفاع الوطني، تونس، 2016، ص19

1. الخط الدفاعي الأول:

أقام الامبراطور تراجانوس مرتكزات خط الليمس النوميدي عن طريق تطويق المنطقة، وحماتها من ناحية الجنوب الأوراسي (Sud l'Aurés)¹ بإقامة حاميات عسكرية وحصون، منها الشبكة (Ad Pecunian)، وسرياني (نقرين) (Ad Majores)، وتادرت (Ad Media)، وحصن بسكرة (Vescera)²، وربط بينها بطرق، وأقام حاميات عسكرية للحراسة، وبني بعض المستعمرات مثل مستعمرة تيمقاد عام 100م، وربط بينها وبين خنشلة (Mascula) بطريق يمر عبر لمبيز الذي نقل إليه مقر الجيش، وفي عهده مُنح لقب البلدية (Municipium) لعدة مدن مثل: خميسة، وقلعة بوعتفان (Diana Veteranorum) التي تقع غرب لمبيز، وبذلك يكون قد سيطر على جميع الممرات المؤدية إلى شمال جبال الأوراس، وجنوباً حتى وادي العبد والوادي الأبيض.

استمرت سياسة تراجانوس بعد وفاته من طرف ورثته هادريانوس (Hadrian) الذي قام بمد الليمس النوميدي، وأمر عند زيارته للمبيز بإنشاء معسكر بها، كما أمر ببناء آخر في القصبه والقنطرة (Calcueus Herculies)³، ومعسكر سورجواب (Rapidum)، وأتبعه بربط طريق يربط بين هذا الأخير وسور الغزلان (Auzia) عبر البرواقية، وآخر يربط سطيف (Sitifis) ببحاية (Saldae)، وسطيف والبرواقية وجميلة (Ciucul)، وهي النقطة التي يلتقي فيها الليمس النوميدي مع الليمس الموريطاني ضاربين بالحدود السياسية عرض الحائط في ظل عدو مشترك هو النوميدي وخاصة التخوم الصحراوية.

مكن ذلك الرومان من التوغل في الجنوب إلى غاية منطقة (أقنب قرب البيض) شمال الأطلس الصحراوي في أقصى الجنوب الموريطاني؛ وبذلك أحكم الرومان سيطرتهم على تخوم مقاطعتي إفريقيا

¹Guey Julien, op.cit, p18.

²Leglay, Marcel, Saturne Africain, bocard , Paris,1966, p,p.365,366.

³Guey Julien, op.cit, p181.

ونوميديا منذ عهد الأنطونيين بينما تأخر تحكّمهم في الحدود الجنوبية لمقاطعة موريطانيا القيصرية حتى عهد سيفيريوس (193-211م)¹.

2. الليمس في عهد السفيريين :

عمل الأباطرة السفيريين خلال القرن 2م² على مد خط الليمس ليصل التخوم الصحراوية لحماية أراضيهم حتى أعمده هرقل (2000 كلم)، إذ عمل الإمبراطور سبتموس سيفيروس على فصل ولايتي موريطانيا عن إفريقيا، ووسع رقعة النفوذ الروماني في جنوب نوميديا، وبني القلاع العسكرية كقلعة ديميدي (مسعد)، والتي لاشك أنّها بنيت لعدة أغراض، منها وقف المد النوميدي إلى الجهات الشمالية التي تسيطر عليها روما، خاصة القبائل المورية الرعوية، وقد عسكر فيها الفيلق الأوغسطي الثالث.

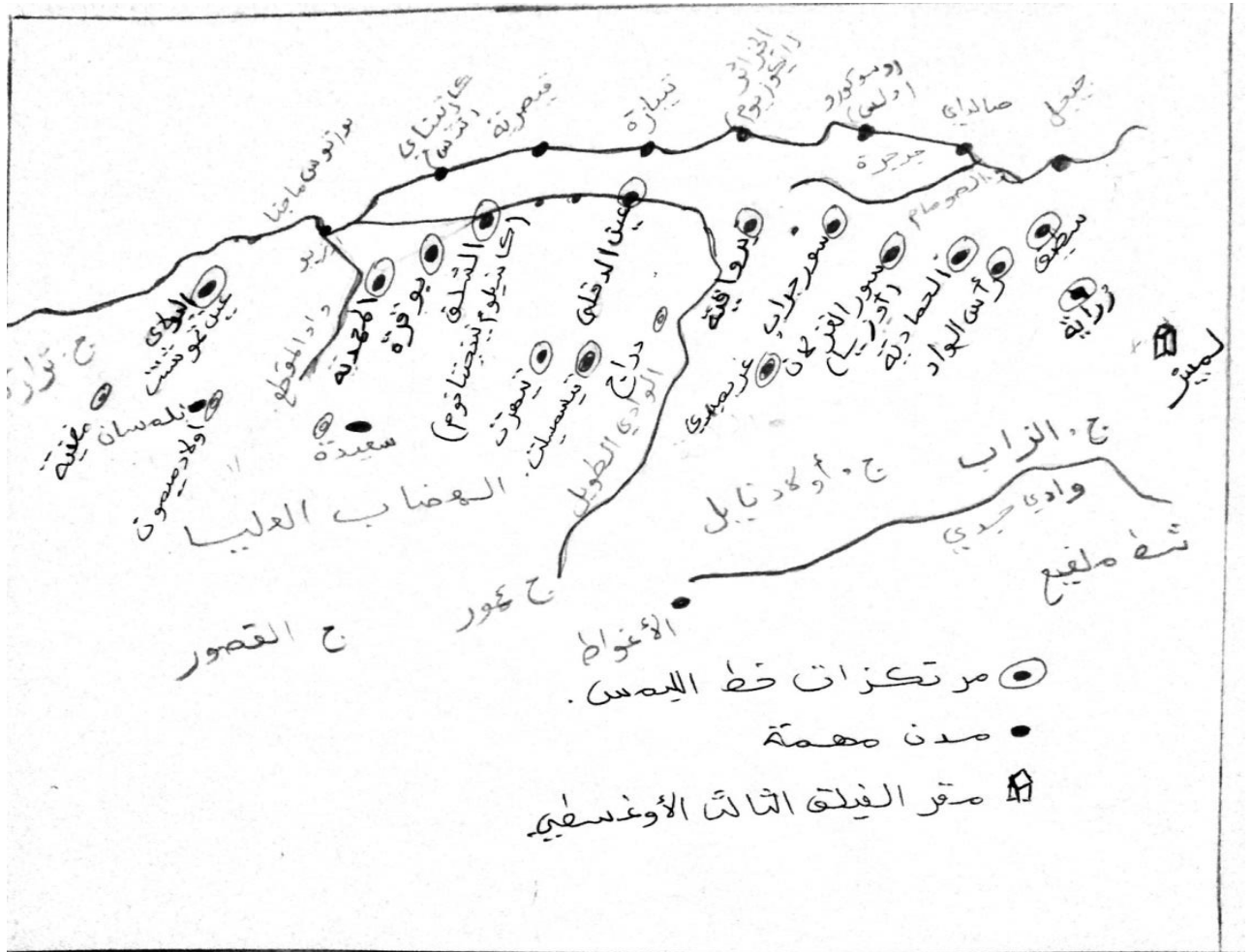
هذا بالإضافة إلى إصداره أوامر ببناء حصون أخرى كحصن سدوري أوازوم (Ausum)، بالقرب من وادي سدوري بين شط ملغيغ والحصنة، وهو المورد المائي الذي يمر بين طولقة ووادي شعير وحصن دوسن، وربطه بلمبيز وسدوري وطبنة بطرق معبدة متعددة، كما عمد إلى بعض المدن ومنحها لقب البلدية مثل سوق أهراس (Tagaste)، ومدينة لبدة في إقليم طرابلس³.
(أنظر الخريطة (4) الصفحة 54)

¹ محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، المرجع السابق، ص127.

² عبد الحفيظ هسوف، تاريخ الليبيين المنسي سبتموس سيفيروس، متوفر على الرابط: WWW.TAWALT.COM

أحمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، المرجع السابق، ص96.

³ Hans, Géograp Flaum, Castillum Dimidi, Journal des savants, 1949, (p-p)(55-62).



الخريطة (4)

خريطة توضح أهم مرتكزات الخطوط الدفاعية (إعادة الرسم وإضافة بعض الرموز وتصرف من الطالبة)

اعتماداً على ما ورد في:

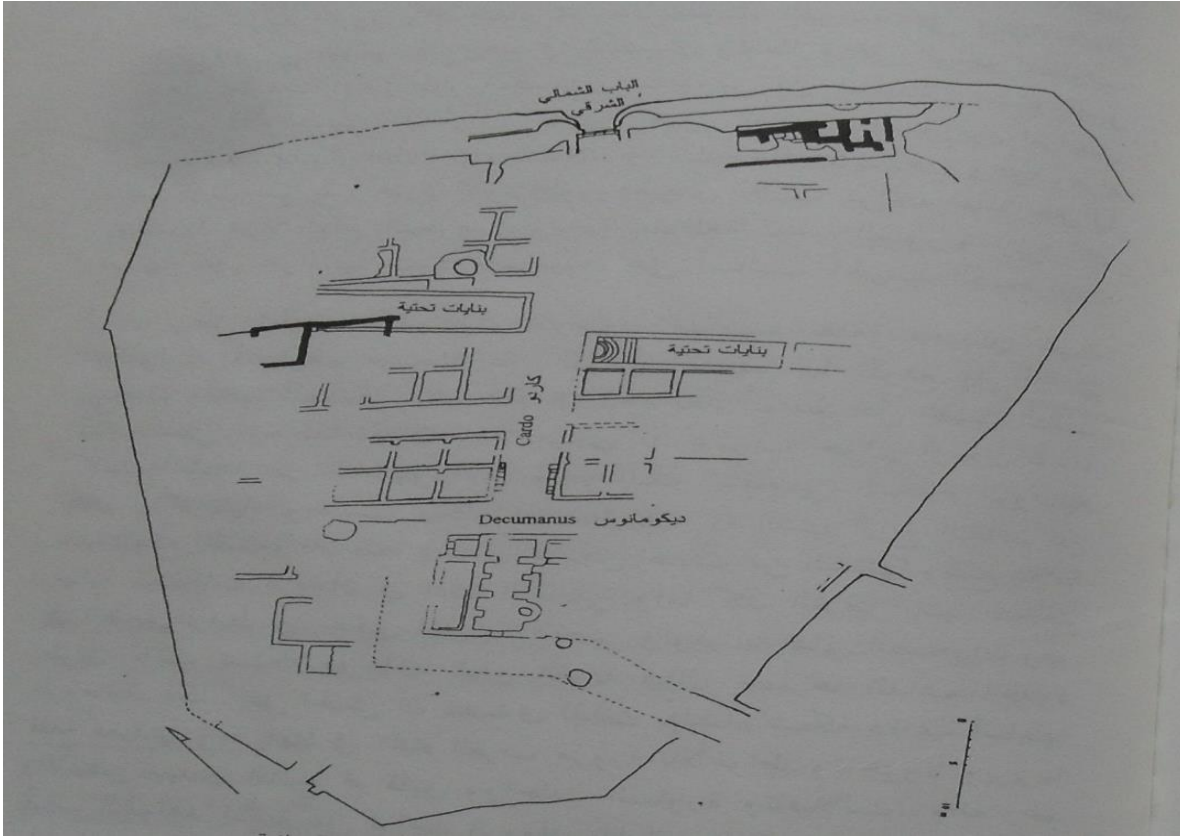
محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج 1، المرجع السابق، (ص-ص) (120-349).

ويعد الباحث "جان برادي" من أوائل الذين كان لهم الفضل في اكتشاف العديد من معالم تلك الخطوط الدفاعية باستعماله لتقنية التصوير الجوي¹، وتجدد الإشارة أن الليمس الموريطاني والقنطرة يتداخل مع الليمس النوميدي في ليمس الحضنة، والحقيقة أن هذه المنظومة العسكرية كان لها انعكاسات عديدة، فبالنسبة للرومان سهلت الخطوط الدفاعية مهمتهم في ضم بعض القبائل إلى صفها بمنحها بعض الامتيازات، كما ساهمت أيضاً في إنشاء بعض المدن والحواضر، وتزويدها بالاحتياجات الضرورية لممارسة الزراعة بشكل خاص، والتي كانت عامل جذب للسكان خصوصاً تلك المزارع غير المحصنة.

أما على الجانب الآخر فقد نظم النوميدي أنفسهم لشن غارات على روما، إيماناً منهم بضرورة استرجاع حقوقهم التي سلبت منهم عنوة وقهراً، ولتحدي الصعاب اضطروا للبحث عن ممرات أخرى للتنقل، وممارسة حرفتهم في الرعي، وهي تلك التي غفلت السلطة الرومانية عنها فبقيت خارج الشبكة الأمنية، كالمنخفض الواسع الذي شكلته السفوح الجنوبية لجبال أولاد نايل عند التقائها بجبال عمور، والذي كان مناسباً لممارسة حرفة الرعي، وله عدة مخارج نحو الهضاب العليا في المنخفض قرب وادي مسعد حيث يتوفر الماء والكأ لماشيتهم. كما ساهم الليمس أيضاً في ارتفاع نسبة السكان في تلك الجهة (أولاد نايل وعمور) وكذلك الهضاب العليا، ولذلك نجد أن الرومان قاموا ببناء حصن ديميدي السابق ذكره هناك². (أنظر الشكل (5) أدناه)

¹Baradez Jean, op.cit, p1.

²محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، المرجع السابق، ص، ص140، 141 (بتصرف).



الشكل (5)

رسم تخطيطي لقلعة ديميدي (واحة مسعد جنوبي الجلفة)

نقلاً عن:

محمد البشير شنيبي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1، المرجع السابق، ص145.

إن المؤسسة العسكرية التي كانت أداة طيعة في يد روما ساهمت بشكل كبير في الجانب الاقتصادي بجباية الضرائب ومد الطرق، التي ساهمت بالإضافة لدورها العسكري في تنشيط الحركة التجارية، كما ساهمت اجتماعياً في تكريس الرومنة، وذلك بالسماح للسكان الأصليين بالانخراط في سلك الجنديّة، وهو ما سنشير إليه في العنصر الآتي ذكره.

المبحث الخامس: سياسة الرومنة

سعى الرومان عند احتلالهم لشمال إفريقيا القديم إلى رومنة الأفارقة، فما لمقصود بهذه السياسة؟ وماهي الأجهزة التي طوّعها الرومان لغرض إنجاحها؟

أولاً: مفهوم سياسة الرومنة:

الرومنة هي ظاهرة معقدة ناشئة عن حرص روما على نقل حضارتها إلى تلك البلدان التي احتلتها، وتمت الرومنة على مستوى الحالة المدنية والإدارية¹، ويحمل لفظ الرومنة دلالة أساسية متشعبة يستعصي توحيد مظاهرها، فهي لا تعني فقط الانتقال على مستوى السلطة أو التغييرات على مستوى الشخصيات، وإنما تشمل تأثيراً حضارياً على حد تعبير مارسال بن عبو²، وإعادة هيكلة المؤسسات وفق برنامج يهدف لطمس الهوية عبر فرض النموذج الحضاري الروماني³، ويعرفها المؤرخ شنيّتي على أنها: "تحويل الأنظمة الإدارية التي وجدوا عليها البلاد إلى أنظم رومانية محضة.....وتهيئة النفسية المغربية لقبول الحضارة الرومانية بمختلف مظاهرها"⁴.

¹ أحمد مشارك، المرجع السابق، ص 159.

² Marcel Benabou, La résistance africaine a la romanisation, ed: Maspero, Paris, 1976,p30.

³ سعيد البوزيدي، مشروع الرومنة بالمغرب القديم، آليات التنفيذ وأشكال المقاومة، مجلة فكر العلوم الانسانية والاجتماعية، الع:11، المغرب، 2014، ص 233.

⁴ محمد البشير شنيّتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب.....، المرجع السابق، ص 75.

وفي ذات السياق تعرفها الأستاذة مونيكا دوندين باير (Monique Dondin-Payre) "أنها زرع للحضارة الرومانية في المقاطعات التي تم فتحها"، ويمكن أن تأخذ عدة جوانب، فهي من الناحية الدينية تتميز بتبني الآلهة الرومانية، وإدماجها في المحلية والالتزام بعبادة الإمبراطور الذي كان يقدس كإله، ومن الناحية القانونية والسياسية يظهر مدى قابلية السكان المحليين للقانون الروماني من خلال إشراكهم ومساهماتهم في إدارة البلدية، وفي المجال الاقتصادي عن طريق كثافة المبادلات التجارية من روما وإيطاليا، وتطوير التقنيات الزراعية والصناعية والأشغال العامة، وأيضاً تحويل الهياكل الاجتماعية، ونشر وتوسيع الحياة البلدية، والذي يرافقه التوسع الحضري والبناءات، والسماح لانتشار الثقافة اللاتينية بالحروف اللاتينية¹.

وتشبهها ذات الأستاذة بالهلنستية (Hellenization) التي ظهرت في الفترة الهلنستية، حيث توسعت الحضارة واندجت مع الثقافات الأصلية، وأن الفرق الوحيد بينهما هو أن الهلنستية ليست سوى ظاهرة حضارية، بينما الرومنة (Romanisation) تعني أيضاً منح المواطنة الرومانية، أي وصف الأفراد والمجتمعات، وقانونياً ربط الأفراد بالإمبراطورية الرومانية.

ويرى مارسال بن عبو في مفهوم الرومنة: "إنها لا تعني فقط نقل حكم ورجال، بل نقل حضارة بأكملها"²، ويؤكد الأستاذ المغربي محمد أكبر على ضرورة التمييز بين مصطلحي الرومنة والترومن إذ يورد: "إن الرومنة تتجلى في الإجراءات الإدارية التي أقدمت عليها روما (الرومنة الإدارية أو القانونية)، بينما يتجلى الترومن فيما نتج عن

¹ Monique Dondi-Payre, Recherches sur un aspect de la Romanisation de l'Afrique du Nord l'expansion de la citoyenneté Romaine jusqu'à à Hadrien, Anti-Afii, N:17,1981, p, p,93,94. wwwpersee.fr.

² Marcel Benabou, op.cit, p30.

ذلك التدخل في المجالات الثقافية¹، ومن هذا المنطلق تكون الرومنة محاولة من روما لضرب مقومات وهوية الشعوب التي احتلتها وصهرها في الهوية الرومانية.

ثانياً: النظام الإداري ودوره في تكريس الرومنة:

صنف الرومان شمال إفريقيا القديم إلى إقليمين إداريين وفقاً لمدى توغل الرومان فيها،

ومدى خضوع السكان لهم وهي:

1. المناطق المدنية:

وتشمل المناطق الأكثر أمناً واستقراراً بحكم قدم السيطرة عليها وخضوعها لروما لزمان طويل، وهي المناطق التي يستبعد أن تندلع فيها ثورة مضادة من طرف السكان المحليين، فأصبح الخوف مستبعداً في ظل سلطة مدنية تمارس نشاطها في إطار الرومنة، يحكمها حاكم يتمتع بالعضوية في مجلس الشيوخ، مثل إقليم قرطاجنة الذي كان أول منطقة رومانية بشمال إفريقيا، ونفس الحكم طبق على ولاية إفريقيا الجديدة بعد تأسيسها من طرف يوليوس قيصر عام 46 ق.م.²

2. المناطق العسكرية:

وتشمل المناطق التي تتميز بعدم استقرار الأوضاع فيها بسبب انتشار الثورات وحركات التمرد الدائمة، مما يستوجب تركز قوات عسكرية بصفة دائمة فيها، تسير من طرف نوابٍ عن الإمبراطور برتبة قنصل، أو من طرف وكلاء الإمبراطور (Procurtateur) ينتمون لفئة الفرسان، ولهم السلطة المطلقة في الإشراف على تلك المناطق عدا الشؤون المالية كما هو الأمر بالنسبة

¹ محمد أكرير، مقاومة الرومنة، المصطلحات والمفاهيم، أعمال الندوة الأولى حول المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2005م، ص 119.

² محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق، ص 77.

لمقاطعتي موريطانيا الطنجية والقيصرية، التي كانت تدير من طرف وكيل للإمبراطور من فئة الفرسان¹.

وكتجسيد لسياسة الرومنة إدارياً واجتماعياً وثقافياً كانت روما وبمجرد تمكنها من فرض الاستقرار والهدوء في تلك المناطق يتم إحلال الإدارة المدنية فيها بدلاً من العسكرية، فالهدف من هذا التقسيم هو تجسيد الرومنة، خصوصاً إذا علمنا أن الحكام كانوا غالباً ما يُختارون بعناية فائقة (كالولاء وغيرها)، ولعل أصدق مثال على ذلك هو تعيين يوليوس قيصر لسالوستيوس المعروف بعدائه لبومبي واستماتته في الدفاع عن حزب قيصر².

يُعزي العديد من المؤرخين هذا التقسيم إلى يوليوس قيصر باعتباره صاحب أول خطوة في ذلك بإنشائه لمقاطعة إفريقيا الجديدة، مفضلاً عدم ضمها للمقاطعة القديمة التي كانت الرومنة قد بلغت فيها مبلغاً كبيراً، وبعد تعيين ولاية إفريقيا البروقنصلية فضل الرومان حكمها بالنظام المدني لأنها ضمناً تضم إفريقيا القديمة (قرطاج) التي كانت تحت نظام مدني سابقاً، ونوميديا الحليفة لروما والتي كانت تحمي ظهرها، وقد جنب ذلك الولاء الرومان متاعب كثيرة فاستفادوا منها سياسياً واقتصادياً.

ذات الأمر ينطبق على مقاطعة موريطانيا التي جسد فيها يوبا الثاني التبعية للرومان في جميع المجالات الإدارية والعسكرية والاقتصادية متقدماً بذلك عن ملوك موريطانيا الذين سبقوه في الحكم، أمثال بوكوس الثاني الذي اقتصر تبعيته على الجانب السياسي³، ومن أهم مظاهر تجسيد الرومنة في عهد يوبا الثاني هي المدينة العاصمة قيصرية (شرشال) بمسارحها ونمط عمراتها، وثقافتها ونظمها الإدارية⁴.

¹ شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص، ص 157، 158.

² بلقاسم رحمان، روما وسياسة الرومنة في شمال إفريقيا، مجلة البحوث والدراسات، الع:9، الجزائر، يناير 2010، ص31.

³ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص-ص 187-201.

⁴ كريم مناصر، بنايات نشاطات الترفيه والتسلية الرومانية في مدينة القيصرية، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية، الع: 03، جوان 2015، ص45.

وتجدر الإشارة أن مقاطعة موريطانيا قد عرفت في الفترة الممتدة بين 33ق.م و40ق.م نظام حكم مزدوج تأرجح بين المظهر العسكري، والذي دام لثمانى سنوات، والمظهر المدني إلى ما بعد نهاية بطليموس عام 40م، إلى أن فصل الإمبراطور كلاوديوس (Clodius) بينهما (موريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية) اللتان أصبحتا ضمن المقاطعات العسكرية التابعة للإمبراطور¹، ولعل السبب في ذلك هو خصوصية هذه المقاطعة التي شهدت تمردات عديدة من القبائل الموربة أرهقت روما لسنوات.²

ثالثاً: الرومنة الاجتماعية

تم تكريس الرومنة الاجتماعية بشمال إفريقيا القديم بالاعتماد على وسيلتين: الأولى إدارية: وهي منح حق الارتقاء لبعض المدن كتمهيد للرومنة، وكامتياز لها عن المدن الأخرى التي لم تستفد من هذا الحق، والثانية: هي الرومنة عن طريق الجيش وسنفضل في هاتين الوسيلتين فيما يأتي:

الوسيلة الأولى: الرومنة بمنح حق الارتقاء لبعض المدن

تباين موقف السكان الحليين في الولايات الإفريقية من الاحتلال الروماني فمنهم من عارضهم وقاومهم، وهؤلاء ألحقت أراضيهم بالأملك الرومانية، والبعض الآخر ساندوهم، وهم قليلون، فتحصلت مدتهم على وضعية المدن الحرة لتحالفها مع الرومان، فكانت تتمتع بالتسيير الذاتي، وهي مُعفاة من الضرائب مثل: هدرومنتيوم (سوسة) وأتيكا (Utica)، وتابسوس (Thapsus) وهي رأس الديماس، وليبتس منور (لمطة)، واستولا (Achulla) بوطرية حالياً، وأوزليس قرب صفاقس، وتوداليس (Theudalis)³. أما الفريق الثالث، والذي عمّر

¹ بلقاسم رحمانى، روما وسياسة الرومنة.....، المرجع السابق، ص33.

² عمار المحجوبي، ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146ق.م-235م)، مركز النشر الجامعي، 2001، ص-ص 97-99.

³ Marquardt Joachim, op.cit, p, p464, 465.

الجزء الآخر المتبقي من أراضي الولاية والتي كانت إما مهجورة، وإما خارج مجال الدولة الرومانية، فكان سكانها خاضعين لضريبة الستينديوم (Stipendium)¹.

هذا وقد وُجد بشمال إفريقيا القديم عدة مدن مثلت نموذجاً عن المدينة الرومانية الاستيطانية، تم إنشاؤها من خلال التوسعات الرومانية، بتوطين عدد من الراغبين في الهجرة من إيطاليا أو الجنود المتقاعدين، وأقدمها قرطاج وأوتيكا، وقد استطاعت بعض المدن الأهلية أن تفوز بالارتقاء إلى المدينة الرومانية فكانت بلديات رومانية (Municipium) تشبه في نظامها الإداري مدينة روما²، بوجود مجلس بلدي يقوم مقام مجلس الشيوخ وحاكمين بلديين منتخبين، ووكيلين ماليين يسهران على الخزينة، وعضوين يهتمان بالطرق والأسواق والألعاب³، وجميع مواطنيها يتمتعون بحقوق المواطنة الرومانية.

والحقيقة أن الخراط المغاربة في الرومنة كان هدفه الأساسي هو الحصول على المواطنة الرومانية، والسعي وراء الارتقاء بمدنهم إلى وضعية المدينة الرومانية، وقد كان الحصول عليها عن طريق الأحوال الشخصية، وهذه لا تمنحها روما في الغالب إلا لمن قدّم لها خدمات جليلة عسكرية أو سياسية تُنم عن تحالف صادق لروما، وعادة هم النخبة الحاكمة في المدن الأهلية الذين أنفقوا من أموالهم الخاصة على الترشح للانتخابات المختلفة، فكانوا عماد سياسة الرومنة والأداة الجوهرية لها، والمستفيدون الرئيسيون منها في ذات الوقت⁴.

كما أن الأباطرة كانوا يتدخلون في بعض الأحيان لرفع من منزلة مدينة ما دون أخرى اعتماداً على معايير محددة، منها مدى مساهمة سكانها في النشاط الاقتصادي، ومدى أخذ

¹ Ibid, p466.

² Paul Prtit, Jacques Gascou, La politique municipale de l'empire roman en Afrique proconsulaire de Trajan à Septime-Sévère ,Antiquite classique, T:42,1973, p-p,697-699.

³ محمد بوكبوط، المرجع السابق، ص57.

⁴ أحمد مشارك، المرجع السابق، ص159.

سكانها بأساليب عيش الرومان وتنظيماتهم الاجتماعية ، أي مدى استيعابهم للحضارة الرومانية، وقابليتهم للاندماج في روما (مظاهر الترومن)¹، أما بقية الطبقات الشعبية من الأفارقة فكان سيبلهم الوحيد للحصول عليها هو الجنديّة بالانخراط في الجيش المساعد والانتماء لقدماء المحاربين، ومن ثم التمتع بنفس امتيازات هذه الفئة².

في بعض الأحيان كان يبرز دور بعض الأباطرة في تكريسها بسن القوانين، وفي هذا المجال نذكر الإمبراطور كركلا ابن سبتيموس سيفيروس (أنظر الشكل (7) و(6)، الصفحة 64) الذي أصدر مرسوماً يقضي بمنح حقوق المواطنة الرومانية لجميع سكان مقاطعات الإمبراطورية الأحرار في عام 212م، بهدف إلغاء الفوارق بين المواطنين الرومان الأصليين والجدد في مجال الضرائب، وإلغاء الاختلافات القانونية بينهم جميعاً³.

شيد سكان تيفست عرفاناً بفضل مرسوم كركلا قوس النصر الرباعي الوجوه، والذي تضمن شكراً للإمبراطور، وهو الذي علّق عليه شنيّتي بكونه لا يعدو أكثر من مجرد صورة لإجراءات مالية أقرنت المواطنة بأعباء مالية، ذلك أنه أضاف إلى أعبائهم دفع ضرائب جديدة كان السكان معفون منها، وهو رسم العتق المقدّر بـ 5%، وبالتالي إخضاع الجميع لنظام جبائي منتظم، هذا فضلاً عن أنه لم يضع حداً نهائياً للتمييز بين المواطنين الرومان والأجانب⁴، فمثلاً لم تنعم فئة الفلاحين بتطبيق هذا القانون ، مما يعني أن السكان المحليين كانوا مستبعدين عن روح هذا القانون الذي مس الطبقة الأرستقراطية من أصل روماني وأجنبي⁵.

¹ محمد بوكبوط، المرجع السابق، ص 57.

² سيد علي الناصري، تاريخ وحضارة الرومان (من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية)، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت)، ص، ص 254، 256.

³ شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص 179..

⁴ محمد البشير شنيّتي، نوميديا وروما الإمبراطورية، المرجع السابق، ص 224

⁵ مها عيساوي، المجتمع اللوي في بلاد المغرب القديم، دكتوراه قدم، إشراف: محمد الصغير غانم، جامعة قسنطينة، 2010، 2009م، ص 372.



الشكل (6)

تمثال نصفي من الرخام للإمبراطور سبتيموس سيفيروس



الشكل (7)

تمثال من الرخام للإمبراطور كركلا بمتحف باردو بتونس

http://www.inp.rnrt.tn/index.php?option=com_content&view=article&id=113&Itemid=39&lang=fr

تاريخ الزيارة: 29-03-2020م. على الساعة 23:00 ليلاً

الوسيلة الثانية: الرومنة عن طريق الجيش :

كان التجنيد في حد ذاته وسيلة ناجعة لرومنة الأفارقة (المغاربة)، بإدماجهم في الجيش الروماني، ضمن الفئات الموالية لروما، وذلك لما تقوم به المؤسسة العسكرية من ترويض للجندي على الطاعة والامتثال للأوامر، واحترام النظام في سلوكه العام، وغرس مبادئ الانضباط فيه، ثم استعمال اللغة اللاتينية في خطابه¹، وتبني التقاليد الرومانية في حياته الاجتماعية، وبالتالي صهره إجمالاً في بوتقة رومانية، خاصة وأن صفاته ومهامه هما من يخولانه التمتع بالامتيازات كحافر له على الانصهار التام بمعنى الترومن اللغوي والديني والاجتماعي².

كان الجندي المحلي (الإفريقي) يحصل على حق المواطنة الرومانية بعد قضائه لخمسة وعشرون سنة خدمة عسكرية فعلية، فعامل الزمن وطول المدة كان يكتسي أهمية قصوى عند الرومان، باعتبارها معيار أساسي للتمتع بالامتيازات، بعد التأكد من ولاءه التام لروما، وقابليته للاندماج فيها، وللحفاظ على ذلك يمنح بعد انتهاء الخدمة العسكرية قطعة أرض يستغلها، عادة تكون بجوار مركز حضري روماني، وغالباً ما يكون معسكراً، وقد يتطور لمستعمرة رومانية بعد التزاوج وارتفاع عدد سكانها، لتعتمد عليهم روما كمصدر دائم للتزود بالجنود.

كما كان الجنود القدماء المشتغلين بالزراعة في أراضيهم المحيطة بالمعسكرات يستدعون أيضاً عند الحاجة لإخماد الثورات، وتطورت الأمور فيما بعد، فأوكلت لهم روما مهمة صدّ الهجمات وحماية مراكز الليمس المتقدمة، فكانت تلك المهمة تفرض عليهم مواجهة الإفريقيين من أبناء جلدتهم غير الخاضعين، ومن ثم السهر على السلام الروماني³.

مع مرور الوقت شكل المجندون في الجيش الروماني طبقة خاصة هي طبقة الفرسان، وكلما ترقى الفارس في وظيفته العسكرية ازدادت مكانته الاجتماعية، فهناك من يكون ضابطاً في كتيبة

¹ شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص 116.

² محمد بوكبوط، المرجع السابق، ص، ص 59، 60.

³ المرجع نفسه ص 60.

ثم في فيلق، ومواظباً على دفع الضريبة السنوية المقدرة بـ 600 ألف سسترس في السنة، مما يجعله فارساً نبيلاً من الدرجة الأولى، وأول فارس من أصل إفريقي تحصل على لقب الشريف وحاز على الخاتم الذهبي، وهما علامتان على الانضمام لطبقة الفرسان، هو تيريوس.

والظاهر أن المجندين استطاعوا الارتقاء إلى مناصب إدارية رفيعة، إذ تشير النقوش اللاتينية التي تعود للقرنين الأول والثاني الميلاديين إلى وجود أسماء لأشخاص من أصل إفريقي كانوا برتبة سيناتور، وأن هذا العدد ارتفع أكثر في عهد السفيريين (89 سناتور) حيث أصبح الفرسان يحصلون على لقب النبيل بسهولة¹. وهكذا كان الجيش وسيلة لرومنة الأشخاص، وتعمير الأرض وتهيئتها لاستغلال خيراتها، بالإضافة إلى مساهمته في تشييد البنى التحتية اللازمة من شق الطرقات ومد الجسور وحفر العيون والآبار وغيرها من المهام التي أشرنا إليها سابقاً.

لقد تميزت سياسة الرومنة بشمال إفريقيا القديم بسياسة المرحلية، فكانت أكثر المناطق رومنة هي المقاطعات الأولى التي استحوذ عليها الرومان، والتي تتميز بأراضيها السهلية الخصبة والمتمثلة في مقاطعتي إفريقيا البروقنصلية ونوميديا، بينما يقل عدد المترومين في المقاطعات التي سقطت في يد روما في وقت متأخر كمقاطعة موريطانيا الطنجية (12) وطرابلس (13)².

كما لم تعرف الرومنة في بلاد المغرب القديم خلال حكم الأباطرة انتشاراً متوازياً في كل المقاطعات، ورغم أن منح حقوق المواطنة الرومانية بدأ منذ عهد الأخوين جراكوس إلا أن نسبة المستفيدين من الجنسية الرومانية في عهد يوليوس قيصر وأغسطس هم الأكثر عدداً، إذ بلغ عددهم 1054 من مجموع 1656 مستفيد، وذلك بسبب طول مدة حكم الإمبراطورين وجُهودهما في فتح باب الاستفادة من حقوق المواطنة أمام السكان المحليين.³ (أنظر الجدول 1 (الصفحة 67))

¹ مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 383.

² شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص، ص 151، 152.

³ Monique Dondin-Payre, op. cit, p-94-105.

العدد الإجمالي	P. Aelius		M. Ulpius		T. Flavius		Ti. Claudius		C. Julius		المقاطعة
	%	المجموع	%	المجموع	%	المجموع	%	المجموع	%	المجموع	
12	16	2	8	1	16	2	25	3	33	4	موريطانيا الطنجية
120	11	14	7	9	6	7	20	23	56	67	موريطانيا القيصرية
96	16	16	18	17	8	8	2	2	56	53	موريطانيا السطيفية
859	10	82	2	14	11	97	6	48	71	618	نوميديا
447	5	25	5	22	19	84	16	70	55	246	البروقنصلية
109	16	18	2	2	20	2	4	5	58	63	بيزاسيوم
13	0	0	23	3	38	5	16	2	23	3	طرابلس
1656	9	157	4	68	13	224	99	153	65	1054	المجموع

الجدول رقم (01)

توزيع المترومين على المقاطعات الافريقية من أواخر سنوات حكم يوليوس قيصر إلى نهاية حكم
الامبراطور هادريانوس (138م)

نقلاً عن: شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص 106.

استمرت سياسة الرومنة على يد كلوديوس خاصة في موريطانيا القيصرية ونوميديا والبروقنصلية، وفي عهد الفلافيين استفاد من حقوق المواطنة أهالي نوميديا والبروقنصلية، وكانت محتشمة في عهد تراجانوس الذي اهتم بالجانب الأمني في سياسته أكثر، ومنح هادريانوس الحق اللاتيني الأدنى لعدد من البلديات. بينما لم تتوسع دائرة الرومنة في عهد بقية الأباطرة كنيرون .

هذا وقد ساهمت سياسة إقامة "السلام الروماني" (Pax Roman)، والتي انتهجت بعد نهاية الحرب الأهلية واغتيال يوليوس قيصر، في تكريس الرومنة، إذ طالب الرومانيون خليفته الإمبراطور أغسطس بوضع حد للثورات المستمرة في المقاطعات بأي وسيلة، فكان لذلك دوراً كبيراً في انتشار الرومنة وتطورها، حيث مثلت آلهة السلام الروماني ومقاطعاتها رمزاً لعبادة الوطن الروماني والإمبراطور في عهد أغسطس، وتدعم ذلك بتشييد المعابد أيضاً في كل مقاطعات الولاية الإفريقية لنشر الديانة الرومانية والثقافة الرومانية في كل ربوعها¹.

وبالرغم من ترسانة القوانين التي سنّها الرومان في سبيل رومنة المغاربة، ظلوا متمسكين بهويتهم وثقافتهم الراسخة في ذاتهم، إذ يشير غوتيه أن القديس أوغسطين² أكد أن اللغة البونية كانت منتشرة بكثرة في عصره في الأرياف، وقد استعملها الأساقفة في خطبهم كالقديس أوغسطين، الذي درس في قرطاج، وكان يستدل بالأمثلة البونية في خطبه، وكذلك الأمر بالنسبة للأساقفة الآخرون الذين تلقوا تعليمهم في قرطاجة كترتوليانوس (Teryullian)³، وارنبيوس (Arnobius)، و الروائي أبوليوس (Apulieus)⁴.

¹ شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص، ص149،150.

² القديس أوغسطين : ولد بتغاست في 13 نوفمبر 354م من أم مسيحية هي القديسة مونيكابا و ثني هو باتريسيوس ، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ، والثانوي بمدينة مادور ، ثم انتقل إلى ميلانو أين درس الفلسفة وفن البلاغة ، عين كاهناً واسقفاً في مدينة "هيبو ريجيوس" ويعتبر من أهم المعارضين للمذهب الدوناتى ، ترك عدة مؤلفات أشهرها " الاعترافات " وكتاب " مدينة الله "، توفي في 28 أوت 430م. أنظر: عبد الحميد عمران، الرومنة والتدين في شمال إفريقيا ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2018، ص87

³ سيرد تعريفه لاحقاً في حديثنا عن المقاومة الدينية (الفصل الثالث).

⁴أ.ف.قوتيه، ماضي شمال إفريقيا ، تر: هاشم الحسيني ، مؤسسة تالوت الثقافية ، 2010، صص68-71.

وعليه يمكننا القول أن سياسة الرومنة بشمال إفريقيا القديم لم تكن ناجحة بالتصور الذي كان ينتظره الرومان بالمقارنة بالوسائل المعتمدة، حيث سخررو الأنظمة الإدارية والعسكرية لذلك، غير أن تمسك المغاربة بهويتهم ومقوماتهم الوطنية وعاداتهم وتقاليدهم المحلية حالت دون ذلك، فانتشرت موجه الفرار من الجنديّة (مثل تاكفاريناس)، وإحداث الفوضى والاضطرابات والقتل على المناطق الحدودية، وعبادة الآلهة المحليّة بمسميات رومانية كتعبير عن رفض الرومنة بكل أشكالها الاجتماعيّة والدينيّة والثقافيّة.

مما سبق يمكن أن نستخلص مايلي:

عملت روما على إرساء أجهزة إدارية تتماشى وظروف كل منطقة، فسخرت الإدارة والجيش لتكريس الأمن والهدوء والرومنة، والقضاء على الثورات والمقاومات، ولم تكفي بذلك بل عملت على انتهاج سياسة الإلحاق الاقتصادي لتلبية حاجاتها من الغذاء والزيت، والحيوانات لتلبية متطلبات الشعب الروماني المتزايدة في الترويح عن نفسه بعروض المسارح والألعاب. وكان من نتائج هذه السياسة خلق فوارق اجتماعية كبيرة، حيث تربع على قمة الهرم الاجتماعي وكلاء الامبراطور وكبار الموظفين، باعتبارهم المسؤولين الأوائل عن حماية الوضع السوسيو اقتصادي في المنطقة، وتليها طبقة الارستقراطيين، وهم المستفيدون من ريع النظام الاقتصادي والسياسي، باعتبارهم الملاكين الكبار للأراضي الزراعيّة، بالإضافة إلى المترومين من الأهالي، ويقع في قاعدة الهرم الطبقة الكادحة والفقيرة، التي أستعملت كوقود للازدهار الاقتصادي والتطور الحضاري الذي شهدته المستعمرات الرومانية، فكان نمط انتاج العبودية هذا سبب في تدمير هذه الطبقة وإعلانها للثورة ضد روما وسياستها، فجهزت الجيوش ورسمت الخطط لمواجهتها، وهو ما سنشير إليه تباعاً في الفصول اللاحقة.

الفصل الثاني

الجيش النوميدي نظامه وتجهيزاته

الفصل الثاني: الجيش النوميدي نظامه وتجهيزاته

. المبحث الأول: تاريخ الجيش الليبي إلى غاية الفترة القرطاجية

. المبحث الثاني: بنية الجيش النوميدي

. المبحث الثالث: التنظيم الداخلي للجيش النوميدي

. المبحث الرابع: تجهيزات الجيش النوميدي

تعلم الإنسان الدفاع عن نفسه ومنذ عصور ما قبل التاريخ، مستخدماً كل الوسائل المتاحة له في الطبيعة، وما إن استقر وارتبط بالأرض والمسكن حتى بدأت فكرة تبادل المصالح المشتركة مع التجمعات السكنية المجاورة، وعندئذٍ بدأت تتداخل خيوط الود والعداء في نفوس البشر، ومن هنا أتت فكرة تكوين الجيوش التي كان غرضها في الأول الدفاع والحماية من الأخطار الخارجية، وما لبث أن أصبح الهدف منها توسع الممالك وتشكيل الامبراطوريات.

ومنطقة شمال إفريقيا وبحكم انتمائها إلى رقعة جغرافية عريقة عرفت قيام عدة حضارات لم تكن بمنأى عن ذلك الصراع الذي عرفه حوض البحر الأبيض المتوسط بين مختلف القوى العالمية، ما اضطرها إلى تشكيل الجيوش لمجابهتها، وسنحاول في هذا الفصل أن نبين كيف تشكل الجيش الليبي القديم؟ وكيف كان نظامه وتجهيزاته في الفترة النوميديّة؟

المبحث الأول: تاريخ الجيش الليبي إلى غاية الفترة القرطاجية:

اتصف الإنسان الليبي القديم، ومنذ العصور الحجرية القديمة، بطابع المقاومة وشن الحروب بداية باستعمال المرات والعتي، ثم القوس والخنجر البسيطة والعربات التي تجرها الخيول، والتي أبرزتها لنا الرسوم الصخرية في المناطق الصحراوية، وهي تجسد حركة تلك المجتمعات القديمة من حيث السلم والحرب، مما يوحي بوجود نظام اقتصادي وعسكري قديم، وسنحاول في هذا المبحث تتبع تطور الجيش الليبي القديم كرونولوجياً انطلاقاً من المصادر المصرية وحتى الفترة القرطاجية، محاولين إبراز أهم مميزات.

أولاً: الجيش الليبي في المصادر المصرية: نشير في هذا العنصر إلى الليبيين كجيش غازٍ لمصر، وكفرق داخل الجيش المصري القديم خلال العهد الفرعوني والبطلمي.

1. في العهد الفرعوني:

إن أقدم إشارة لليبيين جاءت في المصادر المصرية القديمة، إذ عُثر على نقيشة تعود للملك العقرب آخر ملوك مصر العليا تحتوي على علامة التحنو(قبيلة من الليبيين) إلى جانب رسم لاشجار الزيتون ومجموعة من الحيوانات، التي لا يستبعد أن تكون عبارة عن غنائم كان قد حصل

عليها الفرعون من بلاد ليبيا، وقد تكررت بعد ذلك الإشارة إلى الليبيين في كل من صلاية نعمرم التي تصور أعداء مكبلين رسمت فوقهم كلمة التحنو وهم الأسرى الليبيون¹.

الحقيقة أن تعدد الإشارات لليبيين في النقائش المصرية يفسر بوجود صلات وعلاقات وطيدة بين البلدين، والتي أثبتت الآثار التاريخية أنها تباينت بين السلم والحرب، ومن هذه الأخيرة غزو مربي بن دد (Merryy) زعيم الريو الذي كان يحكم بلداً شاسعا يبدأ من الفيوم حتى سرت لمصر في السنة الخامسة لعهد الفرعون مرنتاح (Mineptah) (1224-1214 ق.م)²، وهي من أولى الحروب الكبرى التي خاضها الفراعنة ضد الليبيين، وفيها تمت الإشارة إلى الجيش الليبي النظامي، ولاشك أنه كان متمرس في القتال، ولولا ذلك لما قرر غزو مصر تحت قيادة الزعيم الليبي (مربي بن دد).

وقد ورد في نقائش معبد الكرنك بعض المعلومات عن جيش الزعيم الليبي مربي بن دد من حيث قوته وتنظيمه وتعداده، ومنها: " إن رئيس لوبا الخاسي "مربي بن دد" (كذا) قد انقض على اقليم "تحنو" برمته متحالفاً مع شعوب البحر (الشردن والشكلش (من صقلية) وأقاياوش وغيرهم آخذاً كل محارب حسن، وكل رجل قتال في بلاده، وقد أحضر معه زوجته وأولاده..... وقواد المعسكر حتى وصل الحدود الغربية في حقول بر-إر"³.

كما تذكر النقوش في وصفهم أيضاً: "إنهم يحبون الموت ويحتقرون الحياة، وقلوبهم متعالية على أهل مصر....."⁴، ويرجح المؤرخين أنهم كانوا هم السباقين في بدء المعركة التي كانت في مدينة (بر-إيب)، والتي انتهت بفوز مرنتاح الذي كان يقود جيشه المشكل من الرماة والمشاة والفرسان بأعداد كثيرة، وفرار القائد (مربي بن دد) وسط ضباطه الجرحى.⁵ (أنظر الشكل (8)، الصفحة 74).

¹ سير الان جاردنر، مصر الفراعنة، تر: نجيب ميخائيل ابراهيم، عبد المنعم أوبوكر، الهيئة المصرية للكتاب، 1973، ص 427.

² أم الخير العقون، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية، دار القدس العربي، الجزائر، 2015، ص 126.

³ سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، ج 7، مؤسسة هنداوي، مصر، 2017، ص 92.

⁴ المرجع نفسه، ص 92.

⁵ نفسه، ص 129.



الشكل (8)

لوحة يخلد انتصارات الملك مرنبتاح

نقلًا عن:

http://www.eternegypt.org/EternalEgyptWebsiteWeb/HomeServlet?ee_website_action_key=action.display.element&story_id=9&module_id=74&language_id=3&element_id=60627&ee_messages=0001.flashrequired.text

تاريخ الزيارة: 2020-3-30، على الساعة 15:50

وبمناسبة ذلك الفوز أقام الفراعنة احتفالات بهيجة وعمّ الفرح والسرور بالقضاء على عدو صعب المراس، ويوعز المؤرخون سبب هزيمة الليبيين في هذه المعركة إلى التعب الذي أنهكهم لقطعهم مسافات طويلة حتى موقع المعركة (بر-إيب)، وكذلك لأن الجيش الليبي كان يضم مختلف الألوية التي لم يسبق لها أن خاضت المعارك تحت قيادة واحدة. ويظهر من خلال قائمة الأسرى والقتلى في هذه الحرب أن الجيش الليبي كان يضم 6359 من الليبيين¹ ومنهم أولاد (مريي بن دد) الست الذين قتلوا وشهّر بجثثهم، إضافة إلى 12 امرأة ليبية كن يرافقن الجيش، وعدد آخر من الأفراد الذين أسروا من الليبيين والقهق وعدهم 218 رجلاً من مجموع ما أسر وهو 9376 من الناس².

يستنتج من خلال قائمة الغنائم أن الجيش الليبي كان يتكون من فرقتين فرقة للمشاة، ولاشك أنها من القبائل الجنوبية المعتادة على قطع آلاف الكيلومترات سيراً على الأقدام، وفرقة الفرسان (20 زوج من الخيول) من مختلف نواحي بلاد لوبا (ليبيا) مجهزين بسيفٍ (9111 قطعة)³ وخناجر وسكاكين (120214 سلاح صغير)، بالإضافة إلى حاملي العتاد كما يظهر أنهم كانوا يحملون معهم خيامهم المصنوعة من الجلد والماشية (1308 رأساً)، والأواني المختلفة كالكؤوس الفضية (3174) ونسوتهم للقيام بإعداد الطعام للجنود، وهي دلالة واضحة على الاستعداد والتخطيط التام الذي يسبق خوض الحروب ويضمن استمرارها وصمودها⁴.

استناداً على المعلومات السابقة يمكن تقدير عدد أفراد ذلك الجيش بما يزيد عن 19 ألف جندي دون حساب النسوة، ومن فر وتوغل نحو الجنوب ومن هرب مع مريي بن دد، وتورد الأستاذة أم الخير العقون أن المؤرخ بيتس قدّر عددهم ما بين 20 و25 ألف جندي⁵.

ويبدو أن الفراعنة المصريين قد تنبّهوا إلى قوة الليبيين ما دفعهم إلى فتح باب التجنيد أمامهم وضمهم إلى الجيش المصري، والاستفادة من خبراتهم في الميدان العسكري منذ عهد الفرعون بيبي الأول (2321-2287 ق.م) الذي أشركهم في حملته التأديبية على الآسيويين أسياذ الرمال بجيش

¹ أم الخير العقون، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية، المرجع السابق، ص 128

² سليم حسن، المرجع السابق، ص 95.

³ بايتش أوريك، الليبيون الشرقيون، تر: محمد أومادي، مروة شحاتة، ط1، دار الفرجاني، ليبيا، 2015، ص 152.

⁴ سليم حسن، المرجع السابق، ص 96.

⁵ أم الخير العقون، دولة الأمازيغ.....، المرجع السابق، ص 129

يقدر بعشرات الآلاف من الجنود الذين تمّ تجنيدهم من الوجه القبلي والوجه البحري، وبلاد التمحو وهم الليبيين تحت إمرة (أوني)¹. (أنظر الشكل (9)، الصفحة 77)

كما ظهر الليبيون مرة أخرى كمجندين في الحرس العسكري الملكي في المقابر الصخرية في تل العمارنة بمقبرة (مرى رع الثاني) التي تعود لعهد الأسرة 18 (1550-1295 ق.م)، وتشير بردية أنستاسي إلى وجود فرقة عسكرية في الجيش المصري، حيث قام رعمسيس الثاني (1290-1223 ق.م) بتجنيد أسرى الحرب من المشوش والكهك فُدر عددهم بمائة جندي من المشوش، و1600 من الكهك في حربه ضد الحيثيين (أسيا الصغرى)²، وكون منهم خطأً دفاعياً على امتداد ساحل البحر الأبيض المتوسط حتى العلمين بمصر³.

غير أن رغبة الليبيين في السيطرة على مصر قد ظلت قائمة رغم الهزيمة التي مُني بها جيشهم في عهد مرنبتاح، إذ استطاعوا إعادة تشكيل جيشهم مرة أخرى، ويُعلق الأستاذ فرانسيس فيفر على ذلك "إنهم أقوام يقدسون القتال والجيش، لقد استطاعوا نسيان الذل الذي لحق بهم من جراء الهزيمة فأعادوا الكرة في عهد رمسيس الثالث"⁴.

وهي ثاني الحروب الكبرى التي خاضها الفرعون رمسيس الثالث ضد الجيش الليبي، الذي رفض تدخل الفرعون رمسيس الثالث في شؤون الليبيين بتعيين خليفة للملك الليبي ورمم (WERMER) الذي توفي بملك آخر رياه في مصر وحاول فرضه عليهم بالقوة؛ الأمر الذي أدي بالوضع إلى التأزم ونشوب الحرب بين الطرفين⁵.

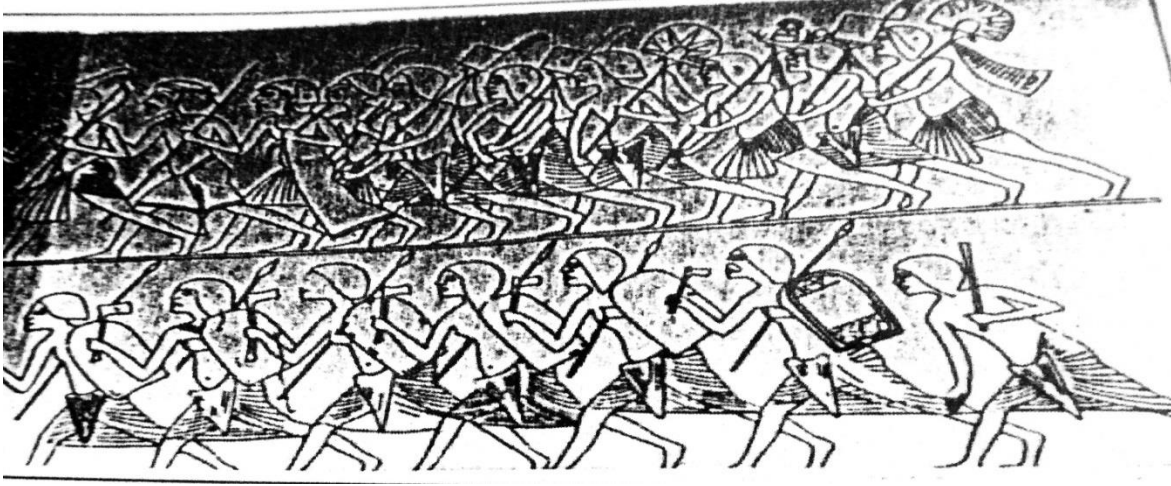
¹ جورج كاستيلان، تاريخ الجيوش، تر: كمال الدسوقي، مكتبة الاسكندرية، مصر، ص 25.

² مبروكة محمد سعيد الفاخري، الليبيون في الجيش الفرعوني والبطلمي والقرطاجي، مجلة كلية الآداب، الع: 52، ج 2، دار رؤية للطباعة والدعاية والاعلان، ليبيا، 2018، ص 29.

³ جيهان ديزانج، البربر الأصليون، أنظر: مجموعة مؤلفين، تاريخ إفريقيا العام، ج 2، اليونيسكو، 1985، ص 440.

⁴ فرانسيس فيفر، الفرعون الأخير رمسيس الثالث أو زوال حضارة عريقة. تر: فاطمة البهلول، دار الحصاد، ص 47.

⁵ أم الخير العقون، دولة الأمازيغ...، المرجع السابق، ص 131.



(1)



(2)

الشكل (09)

(1): جنود لیبیون ضمن جيش الفرعون أختاتون

(2): جنود لیبیون يتدربون مع الجيش الفرعوني

نقلًا عن:

محمد الصغير غانم وآخرون، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 54، 2007، ص - ص 35-42

اتخذ الليبيين من الريو والمشوش والسبد جيشاً وتحركوا به شرقاً نحو مصر فأجبروا التحنو على الانضمام إليهم، ودخلوا مصري في 1194 ق.م كجيش موحد تحت قيادة الزعيم الليبي تيمير (THEMER)، بلغ تعدادة حوالي ثلاثين ألف رجل غير أنهم انهزموا، حيث لقي منهم اثنتا عشرة ألف وخمسمائة (12500 جندي) حتفه في أرض المعركة كما أُسر منهم حوالي ألف أسير، وأغلبهم من المتحالفين معه من شعوب البحر¹، وقد استُغلوا فيما بعد في الجيش الفرعوني وخدمة المعابد المصرية.

ويذكر "برستد" أن الفرعون رمسيس الثالث احتفل بذلك النصر ووهب العديد من الأسرى للإله آمون، ومما يُنسب إليه أنه قال "لقد أمكن لكل امرأة ان تسير خارج منزلها كما تريد رافعة قناعها بلا خوف، ولا وجل لأنه لم يعد أحد يتعرض لها"، كما أمر بجراسة الحدود الغربية لمصر لحمايتها من خطر الليبيين وشيّد القلاع لذات الغرض، وهو برهان واضح على قوة الجيش الليبي وشِدته، وإلا لما اتخذت كل تلك الإجراءات لردعه، ولما أُقيمت الاحتفالات المخلدة لهزيمته.

وشهد العام الحادي عشر من حكم رمسيس الثالث (حوالي 1188 ق.م) عودة الخطر الليبي مرة أخرى مستغلاً هذه المرة معرفته السابقة بالحروب مع الجيش المصري، هذا الأخير الذي كان مجهز أحسن تجهيز، فجمع الزعيم الليبي (كابري KEPER) ما يتجاوز عدده 4200 جندي² تحت رئاسة ابنه (مششر MESHESHER)، وجهزهم بما يلزم من عتاد كماشية وثيران وحمير وخيل وعربات حربية.

ويظهر من خلال قائمة الغنائم الحربية التي أشارت إليها النقائش المصرية أن جيشه كان يضم الرماة، إذ غنم المصريون منها حوالي 2310 جعبة من السهام و 603 قوس، إضافة إلى المشاة والخيالة متسلحين بسيفوف طويلة غنم منها رمسيس الثالث حوالي 115 سيفاً بطول 15 ذراع³ و 424 أخرى

¹ جيمس هنري برستد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، تر: حسن كمال، مر: محمد حسنين الغمراوي بك، ط2، مكتبة مديولي، القاهرة، 1996، ص390.

² يذكر الأستاذ برستد أن خسائر هذه الحرب ترجح فعلاً أن العدد تجاوز الأربعمائة، إذ قتل الفرعون المصري ألفين ومائة وخمسة وسبعين جندي، وأسر حوالي ألفين واثنتين وخمسين آخر ومنهم النساء، وقد سمي ذلك اليوم عند الفراعنة "بعبيد قتل المشواشي"، أنظر: جيمس هنري برستد، المرجع السابق، ص325.

³ يبدو لي أن أمر طول الذراع مُبالغ فيه، وقد يكون سبب ذلك هو تمجيد العدو أو وحدة الطول!!!

بطول ثلاثة أذرع¹، و183 بين خيل وحمير و4272 من الماشية. أما النساء والأطفال فكان يُقمن في مناطق آمنة، ويتم استدعائهن بعد إخضاع الجيش لمناطق جديدة².

إن التجهيز العسكري القوي لرمسيس الثالث للقضاء على الحملة الليبية لبرهان واضح على قوة الجيش الليبي وتفانيه في القتال، وفي هذا الصدد يذكر فرانسيس فيفر "أن الجنود الليبيين كانوا لا يهابون الموت، ويرفضون الخضوع ويفضلون الموت عليه، كما أن معرفتهم بالمنطقة وقدرتهم على الاحاطة بالجيش المصري جعلت رمسيس الثالث يتولى قيادته بنفسه مستعيناً بالمستكشفين"

رغم إخفاق الليبيين عسكرياً، حسب المصادر المصرية التي ربما لا تخلوا من الذاتية، إلا أنهم ظلوا يتسللون إلى مصر في شكل جماعات وفرادى، وتدرجوا مع مرور الزمن في طبقات المجتمع المصري، فأشركهم رمسيس الثالث نفسه في الحاميات الآسيوية، وعين بعضهم في منصب القيادة، ويذكر أنه وضع لهم حصوناً تحمل اسمه وخصّص لهم مخصصاتهم من الكساء والزاد والطعام التي تُصرف من الخزينة وشؤون الغلال كل عام، فكان عددهم يقدر بمئات الألوف، وهذا ما مكن العائلات الليبية النازحة من الاستقرار والاستيطان في مصر العليا، وغربي الدلتا، وأهناسيا (هرقليوبوليس).

وفي عهد الأسرتين العشرين والواحدة والعشرون (1069-950 ق.م) كان الجيش المصري يتكون أغلبه من المرتزقة الليبيين فيما عدا بعض النوبيين³ لغرض الحروب والحراسة خاصة الصحراء، لأن الواحات بحكم بعدها مثلت ملجأً للهاربين من السلطة التي كانت تتعقبهم أينما حلوا⁴، وقد شكل الليبيين في عهد الأسرة الواحد والعشرون جاليات عسكرية تنتظم في شكل عدد من الحاميات على رأس كل حامية زعيم ليبي يدعى "مى"، وتعني زعيم أو رئيس المشوش.

¹ محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص، ص41، 40..

² فرانسيس فيفر، المرجع السابق، ص50.

³ أم الخير العقون، دولة الأمازيغ.....، المرجع السابق، 174.

⁴ علي كسار غدير سلطان الغزالي، القبائل الليبية القديمة وعلاقتها مع الشعوب المجاورة لها، جامعة كربلاء، (د.ت)، ص20.

ساعد إنحطاط السلطة المركزية في مصر المشوش على تأسيس الأسر الحاكمة، ومنهم الكاهن (بويوواوا) الذي تمكن أحد أحفاده وهو (شيشنق) من الوصول إلى منصب القائد الأعلى للجيش الفرعوني، فأسسوا الأسرة الثانية والعشرون والثالثة والعشرون (836-720 ق.م)¹، التي كان معظم جيشها من الليبيين، وخاصة قبيلة المشوش، وكان يكافئهم على خدماتهم تلك بالغانم الحربية وبإقطاعات شاسعة من الأراضي كما كان يعفيهم من الضرائب، ومع انهيار السلطة الفرعونية زاد ثراء تلك العناصر حتى ظهرت الاستقلالية كقادة للجيش، وحكاماً للمدن، وحملوا لقب الرئيس الأعظم للمشوش.

2. في العهد البطلمي² (305-30 ق.م):

حكم بطليموس بن لاجوس (الأول) مصر سنة 305 ق.م، وقد حمل جميع الملوك الذين حكموا بعده اسم بطليموس، أما الليبيون في هذه الفترة فكانوا يُعرفون باسم (ماخيموى)، وهو تحريف يوناني لاسم مشوش (ماشيموى)، وكان الجيش الليبي خلالها ينقسم إلى فرقتين:

أ. الهرموييتز: وتضم ست عشرة ألف جندي

ب. الكلازيري: وتضم خمسة وعشرون ألف جندي، وكانوا يعيشون في حصون حربية مغلقة في مقاطعات الدلتا، ويمنحون أراضي معفاة من الضرائب تبلغ مساحتها 1025 م².

كُلف الليبيون في هذا العهد بعدة وظائف ومنها: وظيفة الشرطة وحفظ الأمن الداخلي، والأعمال البحرية كحراسة السواحل والأسطول النهري، ويمنح للجندي الليبي الإقطاعات لسبيين هما: إما أن يكون قد تعاقد على الخدمة العسكرية في الجيش البطلمي لعدة سنوات، وقَبِل أن يكون جزء من راتبه منحه تلك الإقطاعات الزراعية، وإما أن يحصل على الإقطاعات كمكافأة له على خدمته، وبعد الانتهاء من الخدمة يسمح له بالاحتفاظ باقطاعاتهم.

¹ الكتاب المقدس، (العهد القديم والعهد الجديد) سفر الأيام الثاني الإصحاح الثاني عشرة، كنيسة الانيا نكلاهيمانوت، مصر، متوفر على الرابط: https://st-takla.org/pub_oldtest/Arabic-Old-Testament-Books/14--Second-Chronicles/Sefr-Akhbaar-Al-Ayaam-El-Thani-Chapter-12.html

² البطلمة: هم عائلة من أصل مقدوني نزحت إلى مصر بعد وفاة الاسكندر المقدوني سنة 323 ق.م، حيث تولى بطليموس الأول حكم مصر. متاح على الرابط: <https://www.marefa.org/> اطّلع عليه يوم: 22-5-2021، على 11:50

وقد ورد في أوراق البردي المصرية أسماء الليبيين في الجيش البطلمي، وقد وصف بعضهم نفسه بالليبي والبعض الآخر بأنه ليبي السلالة، ويدعى الأول (مينون بن يوفرانور)، والثاني (أبولونيوس بن سوتايروس)، ويعود تاريخ البرديتين إلى عامي 225 ق.م و 225 ق.م.

في يوم 22 يونيو 217 ق.م إلتقى الجيش البطلمي تحت قيادة بطليموس الرابع مع الجيش السلوقي بقيادة أنطوخوس عند رفح، وذكر بوليبيوس أن عدد الليبيين في جيش بطليموس بلغ ستة آلاف جندي موزعة على فرقتي الخيالة والمشاة التي كانت تحت قيادة (أمونيوس الباركي)، وتقابل الجيشان قرب رفح وتمكن بطليموس من الانتصار على السلوقيين¹.

وفي بردية تعود لعام 105 ق.م ورد ذكر اسم أحد الليبيين الذي حمل توقيعه اسم "هيجمون"، وهو لقب يطلق على الضباط الرئيسيين من فرقة المشاة، وفي بردية مصرية أخرى تعود لعام 110 ق.م جاء اسم فارس ليبي يدعى (أندرون بن بطليموس)، ووصف نفسه بأنه أحد العسكريين الليبيين الذين استقروا بمدينة هرموبوليس، وكان صاحب اقطاع بها².

ثانياً: الأمازونات والغرغونات كأنموذج عن المرأة الليبية المحاربة

لم تكن العسكرية في بلاد لوبا(ليبيا) حكراً على الذكور فقط، فقد سجلت لنا النصوص المصدرية والروايات الأسطورية أن نساء بلاد لوبا كن قد فرضن حضورهن في هذا المجال، ومن أشهرهم الأمازونات والغرغونات .

¹ السلوقيين : سماوا بهذا الاسم نسبة إلى مؤسس الأسرة الحاكمة للدولة السلوقية سلوقس الأول، أحد قادة جيش الاسكندر المقدوني ، الذي أنشأ دولته عقب وفاة الاسكندر ، ضمت غرب آسيا وامتدت من سوريا وتراقيا غرباً حتى الهند شرقاً، كانت عاصمتها الأولى دجلة ثم انطاكيا فيما بعد. أنظر: أسعد عبد الرحمان وآخرون، الموسوعة الفلسطينية، متاح على الرابط:

<https://www.palestinapedia.net/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D9%88%88%D9%82%D9%8A%D9%88%D9%86>

يوم: 12-03-2021، على الساعة 00:30

² مبروكة محمد سعيد الفاخري، المرجع السابق، ص، ص) 33، 34.

1. الأمازونيات (Amazones):

يذكر المؤرخ جوستين أن قبيلة السكيثيين (Scythes) الذين يعيشون بجوار نهر ترمودون (Thermodon)¹ في سهول تيميسيسير (Thémiscyre)، يختلف نمط حياتهم عن الآخرين، إذ تحكم هذه القبيلة النساء وهنّ من يتصدّين للأعداء، ويحافظن على حدود بلادهن دون مساعدة من الرجال الذين انشغلوا بالعبودية² والأعمال المنزلية، التي تقوم بها النسوة عادة، وليس لهم الحق في الحرب ولا أن يكونوا مواطنين أحراراً³.

كان أولئك النسوة يعتنون بتربية أطفالهن الإناث، ويُجهزهنّ للمهمات الحربية منذ الصغر، فيعلمنهن ركوب الخيل والصيد واستخدام الرماح والقوس⁴، كما يعمدن إلى كيّ ثديهن حتى لا يكبر، ومن هنا جاءت تسميتهن بالأمازونات (Amazones)، والتي تعني منزوعة الثدي، فكن يطلبن للخدمة العسكرية لفترة معينة قبل زواجهن، وعند نهايتها يذهبن حيث يقيم الرجال لغرض الإنجاب، وحتى بعده كن يظللن يتحكمن بالأمور السياسية للبلاد ويشاركن في الدفاع عنها.

وقد تعهدت اثنتان من ملكاتهن وهما مارييسيا (Marpesia) أو مورينا عند ديودور الصقلي ولامبيدو (Lampedo) على حماية بلادهما، فتكفلت الأخيرة بالدفاع عن البلاد والأولى بالحروب الخارجية، وقد بدأت مغامرتهم بإخضاع القبائل المجاورة ومدن الجزيرة، فأخضعوا الكثير من القبائل

¹ يذكر ديودور الصقلي ان اسم النهر هو تريتونيس وهي سبخة السلماني شرقي بنغازي اليوم. أنظر: علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، ط2، منشورات تامغناست، 1975، ص121.

² Justin, Histoire Universelle, liv: II, p II, IV.

<http://remacle.org/bloodwolf/historiens/justin/livre1.htm>

اطلعت عليه يوم: 23-10-2020، على 12:23

³ سمير عطا، أمازونيا والأمازونات، مجلة الفيصل، الع:314، المملكة العربية السعودية، أكتوبر، نوفمبر، 2002، ص52.

⁴ Justin, op.cit, liv: II, IV.

الليبية واستطاعوا تشكيل مملكة عظيمة سميت بـ "مملكة خرونيسوس"¹، وتعني شبه الجزيرة وهي رأس الطين اليوم بليبيا بخليج بومبة الذي كانت تنمو فيها نباتات السلفيوم الذي انقرض اليوم².

بعد ذلك جهزت الأمازونيّات أنفسهن وخرجن لحوض المعارك الخارجيّة بقيادة مورينا التي كان تحت إمرتها ثلاثون ألف (30 ألف) من الجنديّات في فرقة المشاة وثلاثة آلاف أخرى من الفارسات، وتذكر الأسطورة أنهن كن يفضلن الخيل للركوب، ويستعملن جلود الأفاعي الضخمة كدروع للدفاع وحملن السيوف والرماح، وكان من بينهن زّامة ماهرة في رمي السهام واستعمال الأقواس وإصابة الهدف خصوصاً في تتبع فلول المارين من جيش الأعداء.

استطاعت الأمازونيّات تسجيل عدة انتصارات في حروبهن تلك فهزمن بلاد الأطلنطين (كيريبي أو قورينة)، فقتلن رجالها وأخذن نساءهم وأطفالهم كأسرى ودمرنها بالكامل³، كما احتلوا جزءاً كبيراً من آسيامثل سوريا والقيليقيون (Cliciens) - وهم سكان جنوب آسيا الصغرى قرب جبال طوروس - وعينت الملكة على رأس كل مدينة سيطرت عليها واحدة من جندياتها الماهرات مثل: كومي (Cyme)، وهي الآن اسم لمدينة في أبونيا، وبيتانا (Pitane) وهو اليوم اسم لميناء على الساحل الغربي من موسيا، وبريني (Priene) وهي مدينة بأبونيا إلى اليوم.

كما استولت الأمازونيّات على بعض الجزر مثل جزيرة ليسبوس (Lisbos) بغرب آسيا الصغرى، وأنشأن بها مدينة حملت اسم ميتولينى، وهي أختها التي قادت تلك الحملة⁴. وما كاد ينتهي القرن الخامس قبل الميلاد حتى أصبح البحر الأسود يسمى ببحر الأمازون⁵، ويذكر ديودور الصقلي أن الملكة مورينا كانت تعقد المعاهدات مع رؤساء القبائل والبلدان أيضاً حتى بلغت شهرتها الأفاق ووصل إلى مسامع هرقل، الذي أرسل لها جيشاً قوامه تسعة سفن يركبها نخبة من محاربيه لإلقاء القبض على الملكة مورينا الليبية التي لا تقهر، فواجهتهم بمدينتها الملكة أورثي (Orithye)

¹ Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, 2^{me} edi, trad: L'Abbé Terrasson, libraire Hachette, Paris, 1955, liv: III, LIII

² عبد المنعم المحجوب، معجم تانيت، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971، ص 128.

³ Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, op.cit, liv: III, LIV.

⁴ Justin, op.cit, liv: II, IV. , liv: III, XXXVIII

⁵ سميح عطا، المرجع السابق، ص 52.

وشقيقتها أنتيوب (Antiope)، ولسوء الحظ لم يكن معهما بالمدينة سوى جنديات صغيرات، لأن الملكة مورينا كانت منشغلة حينها بالحروب الخارجية، ف وقعت أورتبي وشقيقتها في الأسر وتم التخلص من الكثير من الجنديات اللواتي كن معهما. (أنظر الشكل (10)، الصفحة 85)

لما سمعت مورينا بخبر الهزيمة تلك وهي بعيدة عن إمبراطورتها طلبت المساعدة من ساغيلوس ملك سبكتيا لكن محاولة التحالف فشل من بدايته، وبذلك عادت إلى مملكتها واكتفت بصد الهجمات التي تعرضت لها من طرف أعدائها، وظلت كذلك حتى زمن الإسكندر الأكبر اين ماتت ومات معها اسم الامازونيات والإمبراطورية الأمازونية التي أسستها¹.

2. الغرغونات (Les Gorgones):

في أقصى غرب بلاد لوبا(ليبيا)، وبالقرب من الحدائق المحاذية لجبل الأطلنتس كان يعيش شعب آخر لا يختلف في نمط حياته عن الأمازونات يسمون بالغرغونات، غير أن الإشارة إليهن في المصادر التاريخية كانت قليلة، وقد اشتهر هؤلاء النسوة أيضاً بشجاعتهم وبسالتهم، إذ اشتهرن بقصة صراعهم مع برسي أحد الوجوه البطولية المؤهلة عند الإغريق .

وجاء في رحلات القرطاجيين أنهم اكتشفوا جزيرة بها نسوة يسمون بالكوريلات (كذا) أو الكركونات، وأن حانون استطاع القبض على امرأتين منهن وسلخ جلدهما، وقدمه إلى معبد بقرطاجة حتى يكون برهان على صحة المعلومات الواردة عن رحلته لغرب ليبيا على المحيط الأطلسي²، وفي رواية للإدريسي أن هناك جزيرة اسمها جزيرة السعالي، وفيها خلقُ كخلق النساء لهم أنياب بادية، وعيونهم كالبرق، وسيقانهم كالخشب المحترق يتكلمون بكلام لا يفهم ويحاربون الدواب البحرية، ولا فرق بين الرجال منهم والنساء إلا بالذكر والفروج لا غير³.

¹ Justin, op.cit, liv: II,IV

²عبد المنعم المحجوب، رحلة حنون والطواف حول الأرجاء الليبية وراء أعمدة هرقل، مجلة لسان العرب، دار تانيت للنشر والدراسات، 2016م، ص56.

³أحمد سراج، صورة المرأة في الأسطورة القديمة، مجلة أمل، الع:13-14، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، جوان1998، ص22.



الشكل (10)

صورة للأمازونات محفوظة بمتحف هييون (عنابة)

نقلًا عن:

موقع صفحة متحف هييون (عنابة)، متوفر على :

<https://www.google.com/maps/@36.8819033,7.7519867,3a,90y,168.65h,74.94t/data=!3m7!1e1!3m5!1sAF1QipPa7dLWgpNMHirWngU6VcAgW03U5I8l77T9Rv3y!2e10!3e12!7i5376!8i2688>

تاريخ الزيارة: 29-3-2020م، على الساعة: 22:15

دخل الغرغونات في صراع مع جيرانهم ومنهم الأمازونيّات اللواتي انتصرن عليهن فاحذن الغرغونات كأسيرات، وتذكر الروايات أن أولئك الأسيرات استغلين إهمال الأمازونيّات لحراستهن في الليل فرفعن سيوفهن وانقضضن عليهن، غير أنهن لم ينجحن في محاولتهن تلك فأمرت الملكة الأمازونية جُندها بذبح الغرغونات، وكرمت البطلات اللواتي كن سبباً في تحقيق ذلك الانتصار، ولا زالت تلك المناطق إلى اليوم تعرف بروابي الأمازونات، وشن عليهم برسيوس وابن زيوس الأعظم حروباً عديدة في عهد الملكة الغرغونية (ميدوسا)، وكانت نهايتهن على يد هرقل¹.

ويذكر سليوس ايطاليكوس قصة أخرى شبيهة بالأمازونات للأميرة الليبية (أسبوني) ابنة هيرباص ابن آمون التي قصدت روما مع جيشها من الجنديّات من قبيلة مارماريكا مسلحات بشتى أنواع الأسلحة، حيث قاتلن ببسالة حتى لقين حتفهن هناك².

وفي كتب التاريخ نجد ذكر لنساء أُخريات سجّلن أسماءهن في المجال العسكري كالأميرة كيريا (Cyria) ابنة ثوبيل التي كانت تعين شقيقها فيرموس في حربه ضد الرومان وكان لها دور كبير في تقديم الإمدادات، وربما شاركت في إدارة شؤون الحرب وحملت السيف أيضاً بحكم انتمائها لعائلة ثورية محاربة فهي شقيقة فيرموس وجيلدون وكلاهما قادا الثورة ضد روما³، كما جاء في إحدى النقائش البونية لفظة ضابطة سامية كإشارة إلى الرتب العسكرية التي تقلدتها المرأة في ذلك العصر⁴، ولنا في التاريخ الحديث والمعاصر العديد من الأمثلة ومنها الأميرة الكاهنة، ولالة فاطمة نسومر.

ثالثاً: دور الجيش الليبي في الفترة القرطاجية

تأسست قرطاج في أواخر القرن التاسع ق.م بعقد ضريبي بين الملكة عليسة والملك الليبي هيرباص، مما يعني وجود نظام سياسي وعسكري⁵ قوي في شمال إفريقيا سابق للوجود الفينيقي، وقد تأرجحت

¹ علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، المرجع السابق، ص 125.

² الناجي منصور الحربي، الليبيون في جيش قرطاج، مجلس الثقافة العام، ليبيا، 2010، ص 158.

³ عبد الحميد عمران، مقاومة الاحتلال الروماني، ثورة فيرموس نموذجاً، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الع:8، 2016، ص 140.

⁴ محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة النشأة والتطور، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 246.

⁵ ربما امتلك الملك الليبي هيرباص جيشاً قوياً قادر على حماية كيانه السياسي وحماية النظام، فقد حاول القرطاجيون عدة مرات التنكر لدفع الضريبة لكنهم فشلوا، واستمروا في دفعها طيلة قرون.

العلاقات القرطاجية الليبية بين السلم والعداء، وكانت أول قوة عسكرية واجهتها قرطاج بحوض البحر الأبيض المتوسط هي القوة الإغريقية، حيث تصادمت المستوطنة الفينيقية خلال القرن 6 ق.م مع الإغريق حول المراكز التجارية بالحوض الغربي للمتوسط، حيث واجهت قرطاج وحلفائها الأترسكيون الفوقيون بجزيرة كورسيكا حوالي سنة 540 ق.م.

يذكر المؤرخون أن الجيوش القرطاجية كانت متكونة في البداية من المواطنين القرطاجيين وبعض الليبيين المتحالفين معهم، وقد حارب الجنرال مالحوس في افريقيا وسردينيا على رأس جيش من البونيين، ولما تعرض للهزيمة بصقلية عوقب من قبل مجلس الشيوخ في مدينة قرطاج، وفي سنة 339 ق.م كان الجيش القرطاجي المحارب ضد تيموليون يتكون من عشرة آلاف مواطن قرطاجي من العائلات الارستقراطية، والذين كانوا يشكلون جيش النخبة "الفيلق المقدس".

وتوفرت خلال القرن الخامس (5 ق.م) بعض المعطيات التاريخية عن وجود عناصر جديدة في الجيش القرطاجي، الذي أصبح يشبه ما يسمى بلوحة سيفسء تجمع أجناساً مختلفة من المواطنين القرطاجيين ومن الرعايا الليبيين، وجنود من مختلف الشعوب الحليفة لقرطاج إلى جانب عناصر من شتى الجنسيات كمرتزقة¹، وفي ذلك يذكر سنيوبوس شارل "إنّ الجيش القرطاجي كان يشبه الجيش المُبرّس الملون الذي كان يتكلم بكل اللغات ويدين بكل الأديان، كان يضم متشردي كل صقع وناحية، ولكل جندي زيه الخاص كما ترى فيهم اللييون وجلودهم سوداء ومسلحين بحراب²"

وقد انتظم اللييون في الجيش القرطاجي في عدة أشكال وهي :

¹ وزارة الدفاع الوطني، الجيش القرطاجي، تونس، ص1، متوفر على:

[http://www.hmp.defense.tn/index.php/ar/2013-09-05-14-08-14/2013-09-05-](http://www.hmp.defense.tn/index.php/ar/2013-09-05-14-08-14/2013-09-05-14-08-14)

[14-08-45](http://www.hmp.defense.tn/index.php/ar/2013-09-05-14-08-14/2013-09-05-14-08-14)، اطلعت عليه يوم: 13-05-2019م، على الساعة: 14:22 ليلاً

² سنيوبوس شارل، تاريخ حضارات العالم، ط1، تر: محمد كرد على، العالمية للكتب والنشر، دار طبية للطباعة، مصر، 2012، ص33.

1. الحلفاء:

هم القبائل والأمراء المتحالفة مع قرطاجنة كتتحالف الأمير الليبي ايلماس مع القرطاجيين ضد أغاثوكليس، وتحالف الملك غايا مع القرطاجيين ودعمه لهم ب2000 فارس نوميدي في حربهم بإسبانيا، والتحالف الشهير في تاريخ العلاقات الليبية القرطاجية مع الاقليد سيفاكس، وماسينيسا الذي كان قائد لأحد الفرق النوميديّة في إسبانيا سنة 211ق.م ضمت ثلاثة آلاف مقاتل، قبل انقلابه على القرطاجيين وتآزم العلاقات بينهما.

2. المجندون :

تُعبّر هذه الفئة عن الارتباط القانوني الذي أرسنه قرطاجنة مع المجال الذي اكتسبته بعد القرن 5ق.م، حيث كان الليبيون ملزمين بأداء الخدمة العسكرية، ودفع الضرائب، ويظهر ذلك جلياً في تركيبة الجيش القرطاجي الذي وُجّه إلى صقلية سنة 410ق.م، والذي ظهر فيه الليبيون كمجندين.

3. المرتزقة :

هم الجنود المتعاقدين مع قرطاجنة بأجر، وتنتهي خدماتهم بمجرد انتهاء العقد، وقد شكل هؤلاء العمود الفقري للجيش القرطاجي، إذ اعتمدت عليهم قرطاجنة بشكل كبير لما تميزوا به من قوة بدنية ومهارة قتالية من جهة، ومن جهة أخرى لقلة العنصر البشري وطبيعة القرطاجيين التجارية¹. وتؤكد المصادر التاريخية أن العنصر الليبي قد انضم وبأعداد كثيرة في الجيش القرطاجي، إذ يذكر المؤرخ الإغريقي ديودور الصقلي أن الليبيين كانوا يشكلون فرقة المشاة والفرسان وبأعداد كثيرة²، وفي ذات السياق يذكر بوليب أن القرطاجيين كانوا يُخصّصون الليبيين بالمهام الخاصة والصعبة في الحروب، إذ

¹ نوال مغازي ، في تطور العلاقات السلمية بين قرطاجنة والليبيين خلال الفترة 480-146ق.م ، مجلة الحكمة للدراسات

التاريخية ، المجلد:3، الع:5، الجزائر ، 2015م.

² Diodore de Sicile, Histoire Universelle, trad: L'abbé Terrassom, Paris, 1744, liv: XX, X.

كانت ترسلهم في مهمات استكشاف العدو لما يتميزون به من خفة في الحركة ، وقد شكل منهم حنبعل فرقة مسلحة بأسلحة خفيفة¹ في حروبه ضد روما.

كما شارك الليبيون في العديد من الحروب التي نشبت بين القرطاجيين والإغريق، منها: معركة آاليا (Alalia) سنة 535 ق.م، حيث انضموا للاتحاد الأتروسكي القرطاجي، وساهموا إلى جانبهم أيضاً في التصدي لمحاولة استيطان إسبرطة في ساحل خليج السيرت شرق لبدّة عندما أسس دوريبوس (Dorieus) الإسبرطي مستوطنة له هناك، وقد استطاع القرطاجيون هزيمته ووضع حد له وطرده من المنطقة، ومن أهم القبائل الليبية التي كان لها دوراً كبيراً في تلك الحرب هي قبيلة المكاس (Maces) عام 510 ق.م، كما شاركوا القرطاجيين في إخضاع جنوب إسبانيا، حيث كوّن منهم هاميلكار جيشاً ضخماً، وأنشأ هناك عاصمة جديدة هي قرطاجة الجديدة سنة 228 ق.م، وكانوا حاضرين في الحرب البونوية الأولى التي خسرت فيها قرطاجة نحو 10 آلاف رجل جُلبهم من الليبيين، وكان ماسينيسا ضمن جيوش قرطاج حينذاك قبل أن يصبح حليفاً للرومان ابتداءً من سنة 217 ق.م².

يبدو أن الجنديين الليبيين كانوا يحظون بمكانة هامة في الجيش القرطاجي، لما كانوا يتمتعون به من شجاعة، وعلى وجه الخصوص في جيش حنبعل الذي شكل منهم عماد جيشه، ولعل ما يُعزز تلك المكانة هو أن حنبعل كان قد ارسل بوستار الليبي إلى معبد آمون -ربما الذي بواحة سيوة بمصر- ليطلب له الفأل الحسن ليبارك الرب مشروعه الحربي³.

والظاهر أن الليبيون كانوا سبباً في انتصارات القرطاجيين خصوصاً أنهم كانوا الأكثر عدد ضمن جيوشها، وفي ذلك يذكر مونتسكيو " لقد تفوقت قرطاج على روما تفوقاً واضحاً في مجال الخيالة، وذلك لسببين الأول: هو جودة الخيول النوميديّة والإسبانية مقارنة بالخيول الإيطالية، والثاني: هو رداءة سلاح فرسان الرومان، ولم يتحسن وضعهم إلا بعد أن حاربوا الإغريق

¹ Polype, Histoire Générale, trad: Félix Bouchout ,charpenter libraire ,Paris 1847, liv: I, XV. <http://remacle.org/bloodwolf/historiens/polybe/un.htm>

² الشادلي بورونية ، محمد طاهر ، المرجع السابق، ص، ص 194، 195.

³ الناجي منصور الحربي، المرجع السابق، ص، ص 90، 91.

وتتلمذوا عليهم"، ويضيف في مكان آخر " أثناء الحرب البونية الأولى صد القرطاجيون هجوم روغولوس بفضل خيالتهم من النوميدي والاسبانيين.....، وقد حقق حنبعل أكبر انتصاراته بفضل حلفائه الفرسان النوميديون، ولم يفلح شبون في زاما وإسبانيا إلا بفضل تحالفه مع ماسينيسا وفرسانه النوميدي"¹.

يذكر المؤرخ بوليب أن القائد القرطاجي حانون، أمر الفرسان النوميديون في إحدى حروبه ضد الرومان بضرب واستفزاز الخيالة الرومان لتشتيت شملهم والقضاء عليهم، وعن دور النوميديين في معركة كاناي الشهيرة 216 ق.م تذكر المصادر أن حنبعل نَصَبَ فيها كميناً للجيش الروماني مستعيناً بقوات فرسانه من النوميدي الذين وضعهم على جانبي الجيش، وفي نفس الوقت أمر فرق صغيرة من المرتزقة الغالين والاسبان بمهاجمة الرومانيين واستدراجهم للمكان المناسب، حيث فاجأهم حنبعل بمحوم عاصف انتهى بانتهزام الجيش الروماني².

والظاهر أن الرومان كانوا يدركون جيداً دور الليبيين في جيش قرطاج، ولذلك كانوا حريصين على كسب تحالف الاقليد ماسينيسا تجسيدا لرغبتهم الجاحمة في كسب قوة عسكرية مُدربة، وقائد عسكري قوي وقادر على تجنيد النوميدي إلى صفه في ذات الوقت، وبالفعل قد تحقق لهم ذلك وبفضله كان النصر حليفهم في العديد من المعارك³.

لا يظهر أن الليبيين قد ارتقوا في سلم الجنديّة بالجيش القرطاجي، إذ يذكر الأستاذ سنيوبوس شارل أن منصب القادة كان حكراً على القرطاجيين⁴، وكان على رأس الجند ضباط من القرطاجيين

¹ مونتسكيو، تأملات في تاريخ الرومان، أسباب النهوض والانحطاط، ط1، تر: عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت، 2011، ص47.

² لمزيد من التفاصيل أنظر: زكرياء جودي، النوميديون والجروب البونية (264-146 ق.م)، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، الع:

2، المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري الجزائري، الجزائر، 2020، ص14.

³ جهيدة مهنتل، ماسينيسا خليف روما والمحافظ الربّي للثقافة البونية، المرجع السابق، ص45.

⁴ سنيوبوس شارل، المرجع السابق، ص33.

يشرفون على الحروب في إفريقيا وسردينيا ، وفي القرن الخامس (5ق.م) كان الضباط يسيطرون على السلطات السياسية والعسكرية ، كما هو الأمر بالنسبة لفترة حكم الماغونيين¹.

ولد احتكار المناصب العسكرية على القرطاجيين، وخصوصاً منصب القادة، حركة داخل الجنود المرتزقة، وما زاد الأمر سوءاً هو سوء معاملة القادة القرطاجيين للجنود الليبيون وقسوتهم في التعامل معهم، إذ كانوا يُعاقبونهم لأتفه الأسباب ويتركونهم يتحملون نتائج الهزيمة، فبعد نهاية الثورة ضد طاعية سيراكوزة (Denise de Syracuse) (430-367ق.م) مثلاً قدّم القرطاجيون جنودهم من الليبيين كأسرى لأدونيس طاعية سيراكوزة .

وقد نتج عن تلك المعاملة وأسباب أخرى نشوب ثورات عنيفة ضد القرطاجيين منها ثورة 397 ق.م والتي تزعمها الجند المأجور من الليبيين كرد فعل على تلك المعاملات السيئة من قبل القرطاجيين، مستغلين ضعف القرطاجيين بعد هزيمة قائدهم هيلكون أمام أسوار سيراكوزة الإغريقية، وفي ذلك يذكر المؤرخ ديودور الصقلي أن عدد الليبيين الذين حاصروا قرطاج كان حوالي عشرون ألف رجل².

وشهد عام 379 ق م الثورة الثانية التي شنّها الليبيين على خصومهم من قرطاج، مستغلين فرصة الاضطراب السياسي بقرطاج وانتشار مرض الطاعون بها معلنين الثورة على القرطاجيين، غير أنهم لم يفلحوا في مسعاهم. أما الثورة الثالثة: فحدثت بين عامي (310-307) ق.م أي أثناء غزو أغاثوكليس (Agathoclés) لبلاد المغرب القديم، وقد انضم إليه منذ الوهلة الأولى القائد النوميدي إيلماس (Ailymas) برجاله ، إلا أنه عدل عن ذلك فيما بعد لأسباب مجهولة.

ثورة الجند المأجور la révolt des mercenaires (241-237) ق.م:

¹ حكم الماغونيين (Magonides) قرطاج لأكثر من قرن من الزمن أي من سنة 550ق.م بصعود ماغون (Magon) وتسلمه السلطة، إلى غاية مقتل هيلكارث في سنة 396ق.م عند مدخل سرقوسة. أنظر: بنت النبي مقدم، المظاهر الاجتماعية للأسرة ببلاد المغرب القديم خلال العهد القرطاجي، مجلة الدراسات التاريخية، مج20، الع:1، جامعة الجزائر2، 2019م، ص12.

² Diodore de Sicile , Histoire universelle, op.cit, Liv: XIV,77.

هي ثورة اجتماعية شاركت فيها القرى والمدن الليبية النوميديّة، حيث اجتمع فيها الجند المأجور في العاصمة قرطاج، وكانت عدته حوالي أربعين ألف مقاتل للمطالبة بالزيادة في مُخصّصاتهم وتقليد الرتب العسكريّة للمستحقين من رجاله¹، ويذكر بوليبي أن القائد الليبي "ماتوس" قد استعمل في ثورته تلك سياسة الحرب النفسية والتعبئة بأن أرسل رسالاً في أوساط الليبيين النوميدي ليُشيعوا فيهم خبر أن القرطاجيين سوف يُحمّلونهم نتائج تلك الأحداث كعادتهم وسيجبرونهم على دفع ضرائب باهضة، ولذلك وجب عليهم الانضمام إلى الجنود الثائرين.

وقد نجح ماتوس في التعبئة حقاً، إذ انضم إليه النسوة اللاتي تبرعن بجليهن وأمتعتن، والتي استغلها في تسديد أجور جنوده²، كما وجه نداءً للجند المأجور على اختلاف أعراقهم بالانضمام إليه وأنه سيتكفل بدفع مستحقّاتهم إن هم تعهدوا بالعمل معه والولاء له³، فكان عدد أتباعه ما يزيد عن سبعين ألف مقاتل حسب دوكريه⁴.

كانت خطة ماتوس تقضي بالسيطرة على كل المنافذ المؤدية إلى قرطاج، وخاصة الجسر الوحيد الذي يسمح بعبور نهر باغرادا بمجردة ويقابل المدينة التي لا يمكن لأحد الخروج منها أو الدخول إليها بعيداً عن أنظاره⁵، وقد تمكن الليبيون في البداية من السيطرة على أوتيكا وهيراكرا(بنزرت حالياً) بفضل تنظيمهم الجيد، حتى أنهم تمكنوا من إصدار عملة خاصة بهم تحمل شعار الليبيين⁶.

¹ عبد العزيز الثعالبي، مقالات في التاريخ القديم، ط1، تح: جلول الجريبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م، ص23.

² Polype, Histoire Générale, op.cit, liv:I,77. ,liv:VI,76.78.

³ عادل مصباح نصرات، ثورة جند قرطاج المأجورين، الأسباب والنتائج (241ق.م-237ق.م)، مجلة جامعة الزيتونة، الع:21، تونس، 2017م، ص305.

⁴ فرانسوا دوكريه، قرطاج الحضارة والتاريخ، ط1، تر: يوسف شلب الشام، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1994، ص148.

⁵ محمد العربي عقون، من تداعيات الحرب البونية الأولى على قرطاج ثورة جندها المأجور (241-237ق.م)، مجلة العلوم الانسانية، الع:21، جامعة قسنطينة، جوان 2004، ص-ص 200-212.

⁶ ب.ه. وارمنجتون، العصر القرطاجي، أنظر: مجموعة مؤلفين، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، ص148.

رغم ذلك فشل ماتوس ورجاله في تحقيق النصر، إذ تمكن هملكار برقة الذي اتبع سياسة المصالحة مع الزعيم الليبي "نارافاس"، وتسليح الأسرى بإطلاق سراحهم من رفع الحصار عن أوتيكا، وإلحاق الهزيمة بماتوس وحلفائه مسلطاً عليهم مبدأ العقاب الجماعي، الذي مسّ كل من كانت له صلة بالأمر، ومن بينهم القائد ماتوس (Mathos)¹، وسبانديوس (Spendios)، وأوطاريتوس (Autaritos)، ورازاس (Zarzas)².

كما فرض هملكار برقة ضرائب باهضة على السكان الليبيين النوميديون، منفذاً ضدهم ما يسمى بـ (الحرب غير المغتفرة)، حيث صرفهم إلى إحدى الجزر وضرب عليهم حصاراً شديداً ومنع عنهم المدد حتى هلكوا جوعاً وعطشاً، وقطع رؤوس الناجين منهم، ثم تتبع فلولهم وقتل قادتهم، وعاقب كل المدن التي تعاونت معهم ليجتاح بعد ذلك كل المنطقة الشمالية من الحدود التونسية إلى غاية سيرتا، وعاد محملاً بالغنائم لوطنه قرطاج³.

لكن يبدو أن هملكار برقة لم يتمكن من استئصال جذور الثورة نهائياً ذلك أنه سرعان ما اندلعت الثورة من جديد مستغلة غيابه، واجتيازه لأعمدة هرقل نحو شبه الجزيرة الإيبيرية في الأعوام الممتدة من 237 ق.م إلى 228 ق.م، والتي سخرت لها قرطاجة القائد صدريل الذي قتل أثناءها حوالي ثمانية آلاف نوميدي وألفين من الأسرى⁴.

لقد أثبتت تلك الثورات مدى القوة العسكرية لليبيين وقدرتهم على قيادة الحرب، وتنظيم أنفسهم في شكل جيش منظم ضد القوة العسكرية القرطاجية التي شقوا عصا الطاعة عنها كتعبير عن

¹ يرى المؤرخ بوليب أنه ملك نوميدي، ويرى آخرون أنه كان رئيس الماسيل، وهو أحد أجداد الملك ماسينيسا .
أنظر: Polype, op. cit, liv: I, 6-69.

²Houaria Kadra- Hadjadji, Massinissa le Grand Africain, éd. Karthala, 2013 (p. 36.41).

³ محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة البونية، دار الهدى، الجزائر، 2006، (ص، ص) (36، 37)
⁴ محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص 233.

إرادة شعبية حقيقية للتحرر من الأوليغارشية التجارية القرطاجية الظالمة التي فضلت جمع المال وتكديسه على التزامها بوفائها إزاء جندها الذين حاربوا في صفها لعقود¹.

مما سبق نستنتج أن الليبيين كانوا أقوام عسكريين بالطبيعة، فقد كانوا يتعلمون الفروسية منذ الصغر، والتي لم تكن حكراً على الذكور فقط عند بعض القبائل الليبية، وهذا ما جعلهم على أهبة الاستعداد في كل الأوقات، وبفضل ذلك كان الجنود الليبيون محل أطماع القوى السياسية، فجندهم المصربون وكونوا منهم فرق خاصة لحماية الملك، كما أن الممالك النوميديّة كانت تمتلك جيوشاً واستراتيجيات عسكرية قادرة على التعامل مع الأحداث الإقليمية والدولية في ذلك الوقت، فشاركوا كمجندين وحلفاء في صف القرطاجيين لخدمة مصالحهم، وهذا ما منحهم خبرة عسكرية كبيرة، خاصة الحروب الكبرى كالحروب البونية.

المبحث الثاني: بنية الجيش النوميدي

منذ نشأة الممالك النوميديّة وهي تسعى إلى تطوير جيشها وتنظيمه وهيكلته وتجهيزه بمختلف المعدات الحربية، ليكون قادراً على مجابهة القوى العسكرية في حوض البحر الأبيض المتوسط، لاسيما أنها كانت تجاور الدولة القرطاجية من جهة، والدولة الرومانية من جهة أخرى المتنازعتان عن السيادة، وقد كان الجيش النوميدي مشارك في تلك الأحداث بما يخدم مصلحته، فقد شارك جيش الملك غايا مع القرطاجيين في حروبهم بإسبانيا، وكان ابنه ماسينيسا قائداً لإحدى الفرق النوميديّة هناك.

ولما اعتلى ماسينيسا عرش نوميديا، وكان يدرك جيداً أن القضاء على منافسيه على الزعامة ودرأ الخطر الخارجي لا يتأتى إلا بجيش قوي ومهيكل، فإنه أولى اهتماماً بليغاً بتجنيد النوميدي وتدريبهم على النظام وتطوير المعدات العسكرية للجيش²، غير أن ذلك لا ينفي وجود جيش نوميدي متزامن مع الذي أسسه غايا وماسينيسا، وهو جيش الاقليد سيفاكس الذي نظم جيشه للدفاع عن مملكته فتحالف في بداية الأمر مع الرومان ضد القرطاجيين في شبه الجزيرة الايبيرية قبل عام 213 ق.م، فدرهم على اتباع الراية حتى لا يُجْلُوا بالنظام، كما قسم فيلق مشاته إلى عدة فرق فكان جيشه يضاهي جيش الرومان، الذين زودوه ببعض قادتهم بإسبانيا لتدريب جيشه على الطريقة

¹ محمد العربي عقون، من تداعيات الحرب البونية الاولى على قرطاج ثورة جندها المأجور، المرجع السابق، ص 207.

² Strabon, op.cit, liv: XVIII,3;15.

الرومانية¹، وهناك من يذكر أنه أوكّل لابنه فرمينا تسيير شؤون الحرب غير أن المعلومات عن ذلك الجيش، وفق اطلاعي، قليلة جداً عما يُذكر حول مشاركته في الحرب البونية الثانية².

كان هدف الإقليد ماسينيسا في البداية هو تسخير الجيش النوميدي للمحافظة على عرشه، وبعد استقرار حكمه في نوميديا وتوحيدها تحت حكمه سخر ذلك الجيش من أجل تركيز السلطة في يده وحماية حدود مملكته معتمداً في ذلك على قوات القبائل الموالية له³، فمما كان يتشكل ذلك الجيش وما نظامه ؟

أولاً: الجيش البري: ويتكون من الجيوش الدائمة والجيش الاحتياطي والجنود المأجور

1. الجيوش الدائمة:

كون ماسينيسا من الجيوش الدائمة فرقة خاصة لحراسته من أي هجوم مفاجئ، معظم أفرادها من قبيلة الجيتول حسب قرال⁴، وتذكر المصادر التاريخية أن ماسينيسا وضع حراسه على كافة الأبواب والأماكن الاستراتيجية لحمايته عند وصوله لمدينة سيرتا واجتماعه بأعيانها، كما أوكّل له مهام أخرى على غرار دعم سياسة الملك، وضمان أمن المنطقة والمشاركة في التوسعات إن لزم الأمر، كما تقوم بمهمة الشرطة في المملكة⁵.

تميز الجيش الدائم بصفه عامة بالاحترافية في القتال، فقد صُقلت مواهبه أثناء الحروب التي خاضها مع الجيش القرطاجي ومع الجيش الروماني، ويعمل الجيش الدائم تحت امرة ضباط متمرسون يتم اختيارهم بعناية، ويتضح ذلك من خلال إرسال مكيبسا لابن أخيه يوغرطة، المتمرس في القتال، للمشاركة بفرقه مع الرومان في حروبهم، وقد أشادت المصادر الاغريقية والرومانية بمهارة تلك الفرق المساعدة سواء مع قرطاجة أو مع روما⁶. وفي العادة كانت تقسم الجيوش الدائمة إلى فرق تسند إمرتها

¹ Dureau Delamalle, Algérie, Libraire de Firmin Didot Frères, Paris, 1852,p49

² محمد شفيق، ثلاثة وثلاثون قرناً من تاريخ الامازيغيين، منشورات تامغناست، ص33

³ محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة البونية، المرجع السابق، ص123.

⁴ Stephane Gsell, H.A.A. N, op.cit, T:5, p182

⁵ جهيدة مهنتل، ماسينيسا حليف روما.....، المرجع السابق، ص45.

⁶ أصطيفان أكصيل، ج7، المرجع السابق، ص127.

إلى ضباط عسكريين محترفين، ويتكون الجيش النوميدي الدائم من فرقتين أساسيتين هما : فرقة الفرسان وفرقة المشاة¹.

فرقة الفرسان :

هي الفرقة الأكثر من حيث العدد مقارنة بالمشاة، وقد أشاد المؤرخون القدماء بهذه الفرقة وبدورها الكبير في تحقيق النصر لما يتمتع به النوميدي من خبرة في ركوب الخيل والتحكم فيها رغم السرعة التي تتميز بها، وفي ذلك يذكر المؤرخ سترابون أن الليبيين يستخدمون الخيول في حروبهم، وأنهم متمرسون في ركوبها بدون سرج مكثفين بشدها بواسطة حبل بسيط فقط²، وكتب صاحب كتاب "حرب إفريقيا" أن يوليوس قيصر حمل معه ثلاثة فرق، 800 رجل من الفرسان النظاميين وعدد كبير من الفرسان النوميديون الذين لم يستخدموا اللجام.....³، ويعود مرد ذلك إلى طبيعة الليبيين ونمط حياتهم، إذ كانوا مولعين بتربية الخيل وتعلم الفروسية منذ الصغر⁴.

ونظراً لقدراتهم العالية في ركوب الخيل والفروسية منحهم حنبل دوراً كبيراً في حروبه ضد روما باستخدام قواتهم الهجومية وسرعة خيولهم للالتفاف على جيوش الرومان واضعاً إياهم على الميمنة والميسرة، كما هو الحال في معركة كاناي الشهيرة في 2 أوت 216 ق.م⁵.

تذكر المصادر التاريخية أن ماسينيسا حارب في اسبانيا في صف القرطاجيين بفرسانه، وبعد تحالفه مع الرومان كون جيشاً نظامياً قوامه عشرون ألف فارس، و قد عثر على كتابة لفارس نوميدي بمكثرت جاء فيها " فارس في بلاد ليبيا" يحمل اسم "SDRT" عاصر ماسينيسا، وكان مجند في سلاح الفرسان الملكي، ومن مآثر فرسان ماسينيسا بروزهم في معركة السهول

¹ أصطيفان أكصيل، ج5، المرجع السابق، ص129.

² Strabon, op.cit, liv: XVII, 3. 7.

³ يوليوس قيصر، حرب إفريقية، تر: محمد الهادي حارش، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص28.

⁴ Stephane Gsell, H.A.A. N, op.cit, T:5, p182.

⁵ وزارة الدفاع الوطني، استراتيجية حنبل في جيشه، تونس، متوفر على : <http://www.hmp.defense.tn> /اطلعت

عليه يوم 22-3-2020، على الساعة 11:50

العليا(203ق.م)، ومعركة زاما(202ق.م) التي شارك فيها ماسينيسا على رأس 6000 من المشاة و4000 من الفرسان.

وأوضح سالوستيوس أن النوميديون في حرب يوغرطة كانوا يدفعون أحصنتهم نحو الأمام محدثين اضطرابات في صفوف الرومان، وبعد الحروب البونية وتدمير قرطاج استعان بهم الرومان كمساعدين وشاركوا إلى جانب يوليوس قيصر في حروبه ببلاد الغال عام 58ق.م، وقد اعترف بوليبيوس أن النوميديون كانوا أقوى شعوب إفريقيا، وذلك لاستماتتهم في القتال وصبرهم على المخاطر، وعدم اكتراثهم بالموت¹.

فرقة المشاة :

اعتاد اللييون القدماء على المشي لمسافات طويلة، خاصة القبائل الرعوية التي عُرف عن أفرادها تنقلاتهم المستمرة بقطعانهم ومواشيهم، حاملين معهم خيمهم وأسلحتهم، فقد كانوا دوماً على استعداد للحرب، ويذكر ستيفان غزال أن الرومان قد أدركوا جيداً دور هذه الفرقة في جيوشهم منذ حروبهم مع حنبعل القرطاجي، إذ لمسوا فيها خفة الحركة وسرعة التنقل وتحمل السير لمسافات طويلة ولذلك جندوهم في جيوشهم، وقد أثبتت تلك الفرقة بفعاليتها التكاملية مع فرقة الخيالة جدارة النوميدي في الأساليب القتالية المعتمدة على أسلوب الكر والفر، حيث يتم ضرب الوحدات الأمامية عن طريق المشاة والخيالة لإحداث الفوضى، ثم متابعة فلول جيش العدو من طرف فرقة الفرسان².

تميزت فرقة المشاة النوميديّة بالحرفية في استخدام الأسلحة وخاصة أسلحة الرمي كالسهام والمقاليع والرماح الخفيفة، وفي ذلك يذكر أبيان أن الرومان اضطروا في حروبهم ضد القرطاجيين في إسبانيا وإفريقيا إلى تجنيد عشرة آلاف من المشاة وسبعمئة من الفرسان تم نقلهم على متن ستون سفينة، وكان من ضمنهم النوميدي³، كما يذكر أن يوغرطة ابن ماسينيسا(ونقصد هنا جده) كان قد

¹ كريم مناصر، الفرسان النوميديون، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج:3، الع:1، الجزائر، جانفي 2021، ص22.

² أصطيفان أكصيل، ج7، المرجع السابق، ص143.

³ Appien, Ibérique, trad: Phillippe, liv: XIV,90.

<http://remacle.org/bloodwolf/historiens/appien/iberique.htm>

اطلعت عليه يوم:1-1-2019، على الساعة22:30

اصطحب معه فرقة المشاة من الرّماة والقاذفين كعادته أثناء مشاركته مع الرومان في حروبهم بإقليم نومتيا (نومنصا)(Numance)¹ .

وتنقسم فرقة المشاة النوميديّة حسب المصادر التاريخية إلى قسمين، فرقة المشاة الخفيفة : وتستخدم عادة لغرض فرض الأمن، حيث تتطلب المهمة السرعة وعدم الارتباك أو الارتباط بالأمتعة الثقيلة، وفرقة المشاة الثقيلة: وهي التي كون منها يوبا الأول عدة فيالق (Légions) كثيرة العدد ومجهزة بأحسن المعدات الحربية حتى بلغ مجمل عدد مشاته ثلاثون ألف جندي(30ألف)، تاريخياً وقبله بقرون تذكر الروايات التاريخية أن الملك سيفاكس كان يعمل أثناء حكمه على تكوين جيش نظامي للمشاة بمساعدة خبراء عسكريين رومانيين.

2. الجيش الاحتياطي

شكل الجيش النظامي الدائم نواة القوة العسكرية التي تدعم جُوع الحاملين للسلاح، وفي وقت الحروب يتم تجنيد وحدات إضافية من القبائل ويتم تسريحها بعد انتهاء الحرب أو توقفها، والظاهر أن قيادتها وضبط تسليحها وتجنيدتها كان يقوم به رؤساء القبائل بأمر من الملك ذاته كعنوان لحسن الطاعة والتبعية²، وقد شاركت القبائل الليبية تحت قيادة رؤسائها الملك يوبا الأول في حربه ضد قيصر³.

لقد اتصف هؤلاء الجنود الظرفيون بالجرأة والشجاعة رغم سلاحهم البسيط لكن أمر بقائهم في المعركة كان غير محسوم، فهم ينسحبون إذا ما رأوا الهزيمة ولم يبقى لهم أمل في الحصول على الغنيمة، أو تم إقناعهم وفق سياسة فرق تسد ضد أسيادهم كما يذكر ستيفان غزال، غير أن الراجح أنهم أبلوا بلاء حسناً في المعارك النوميديّة، ولم يخونوا العهد إلا في حالة انتهاج روما لسياسة التفرقة أو الإغراء بالأموال⁴.

¹ Ibid, liv:XIV,89.

²أصطيفان أكصيل، ج5، المرجع السابق، ص، ص 128،129.

³ يوليوس قيصر، المصدر السابق، ص13.

⁴Stéphane Gsell, H.A.A. N, T:5, op. cit, p150.

3. الجند المأجور:

استعان الملوك النوميدي بفرقٍ من القوات الأجنبية كغيرهم من شعوب العالم آنذاك، فقد عشر بسيرتا على شمال لمحارب تراقيي يحمل ترس بيضوي مؤرخ بالقرن 2 ق.م ربما كان ضمن قوات ماسينيسا¹، كما يورد سالوستيوس في معرض حديثه عن حرب يوغرطة أن هذا الأخير قد جند في صفوفه كتيبة من اللغورين (ligure) من شمال غرب إيطاليا، وكتيبتين من الخيالة التراقيين (Thracas)²، وتذكر المصادر الكتابية أن يوبا الأول ضم أسرى الحرب في حروبه ضد الرومان من الغاليين والجرمانيين إلى جيشه³، ويبدو أنه قد استعان بهم في نقل الخبرات العسكرية للجيش النوميدي، كما تشير النصب البونية بمعبد الحفرة إلى أسماء لضباط وقادة عسكريين يحملون أسماء إغريقية مثل طرسس أبولو تيموس (Thracas AppolloThmis)، وأخرى بونية مثل: ماجون بن بعلنيلق، وعبد ملقارت بن أريشام وغيرهم .

والراجح أنهم جُنّدوا في عهد الإقليد ماسينيسا وابنه مكيسا، فكانوا يسهرون على تدريب الجيش النوميدي والمساهمة في حماية العاصمة سيرتا⁴، وقد نبهت الأستاذة جهيدة مهنتل في كتابها عن حاضرة قسنطينة إلى وجود أسماء إيطالية في النصب البونية، وهو ما جعلها تفترض أن تلك الجالية قد عملت في سلك الجيش كمدرّبين في عهد الملوك النوميدي الأواخر أمثال: هيمصال، ويوبا الأول⁵.

ثانياً: البحرية النوميديّة:

يروج بعض الباحثين الأجانب في كتاباتهم لفكرة جهل الليبيين بأمر البحر على غرار برنارد (Bernard.A) الذي وصف المغاربة بالبجارة غير الأكفاء، لأنهم كانوا يخشون ركوب البحر، ولا يعرفون في معظمهم كيف يصنعون السفن التجارية ولا كيف يقودونها، كما أن طرق صيدهم كانت بدائية وبعيدة عن الاتقان، ونفس المنحى سلكه سيليري (J.Celerier) الذي أكد على

¹ Ouiza Ait Amara, Le Role de Massinissa dans la Deuxiem Guerre Punique, Libyca, N:2, C.N.R.P.A.H, Constantine, 2017, p178.

² Salluste, Guerre de Jugurtha, édi: François Richard, 1933, liv: XXXVHIII.

³ محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص 329.

⁴ زينب بلعابد، وظائف ومهن قديمة بسيرتا، منشورات المتحف الوطني بسيرتا، الجزائر، 2005، ص 9.

⁵ جهيدة مهنتل، حاضرة قسنطينة، حاضرة قسنطينة، دار الهدى، الجزائر، 2011، ص 207.

عدم إقبال المغاربة القدماء على الملاحة البحرية، واقتصرهم على تلقي التأثيرات الأجنبية التي أتت من المحيط، وأورد برتيلوت (A.Berthelot) أن النصوص القديمة لا تشير لا إلى بحارة ليبين ولا إلى أسطول ليبي!!!، وذهب آخرون إلى تفسير ذلك بفقر اللغة الليبية القديمة للمصطلحات التي لها دلالة على البحر ورموزه¹.

وعلى هذا الأساس فإن الرد على تلك الأقاويل يتطلب منا الرجوع إلى نتائج الدراسات الأثرية والمورفولوجية، التي أكدت أن أولى المجموعات البشرية المغاربية القديمة وكونها تعيش قرب المسطحات المائية كان لها ارتباط وثيق بالبحر، بل ومنذ العصور الحجرية القديمة، إذ أثبتت نتائج حفريات عام 2001م في مغارة بسبنة المغربية أن إنسان البلايستوسين الأوسط (حوالي 140.000 سنة) كان يتغذى على الرخويات والأصداف بشكل مستمر في نظامه الغذائي².

كما توصل الباحثون البريطانيون المكلفون بالبحث في كهف هوافطيح بليبيا إلى أن الإنسان الليبي القديم كان يتغذى على السلاحف، وصدفات القواقع عن طريق حفرها وامتصاص اللحم الذي في داخلها منذ 150.000 سنة³، وهي دليل كافٍ للقول بأن الليبيين كانوا يعرفون البحر منذ العصور القديمة و قبل مجيء القرطاجيين للمنطقة، والراجح أنهم كانوا قد اقحموه في حروبهم البحرية كمحذفين ورماة وفتي ملاحه وغيرها من الأعمال التي تتعلق بالحروب البحرية، إذ يُذكر أن سفينة كانت في طريقها إلى ليبيا تعرضت للنهب وقُتل صاحبها، ومن المرجح أن من فعل ذلك هم النوميديون.

ومن الدلائل أيضاً على معرفة الليبيين للبحر هو وجود تمثال لآلهة النصر (نيكى) فوق سفينة بساحة الأجورا في كيريني تشير إلى انتصار المدينة على أعدائها في معركة بحرية، وقد ذُكر أن الليبيون

¹ بالنسبة لإدعاء فقر اللغة الليبية القديمة من المصطلحات التي لها علاقة بالبحر يرد الأستاذ محمد الهادي حارش على ذلك بمقال بعنوان "الليبيون والبحر" يؤكد فيه أن اللغة الليبية كانت غنية بالمصطلحات التي تخص البحر وحالاته، ومصطلحات أخرى تخص الفلك وأدوات الصيد وأسماء السفن، والأصداف والمحارات والأسماك. للمزيد من التفاصيل: محمد الهادي حارش، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص-ص 143-167.

² مصطفى غطيس، المغاربة والبحر خلال العصور القديمة، مجلة كان التاريخية، الع:12، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 12 يوليو 2011م، ص، ص.79، 80.

³ مارك ميلر، من إكتشافات كهف هوافطيح، تر: انس أبو ميس، مجلة تاريخ ليبيا، ليبيا، يناير 2016، ص13.

في كيريني هم أول من طوروا سفناً حربية صغيرة للاستكشاف والحراسة سميت بـ "الليمبوس" (Lembus)، كما مارس الليبيون طقوساً تتمثل في الغطس في البحر أثناء الانقلاب الشتوي، ونذكر أيضاً أن شعائر عبادة الأسماك وإله البحر "بوصيدون" كانت منتشرة بالمنطقة، وظهرت في فسيفساء تونسية، ولا شك أن الحمار أيضاً كان يستخرج من طرف الليبيين¹.

ومن الراجح أن الملك النوميدي ماسينيسا كان يمتلك أسطولاً بحرياً تجارياً وآخرًا حربيًا (أنظر الصورة (1) الشكل 11، الصفحة 102)، إذ يذكر كامبس نقلاً عن شيشرون أن سفن ماسينيسا كانت ترسو في مالطا، وأن قائد السفينة قدّم للملك ماسينيسا أنياب الفيل التي كانت تزين معبد جونو (عشتارت) كهديّة، غير أن ماسينيسا رفضها وأمر بإعادتها، فركب القائد سفينة خماسية لإعادة الانياب إلى مالطا².

كما عُثر بتونس على رسم جداري يمثل قارب حربي مزود بمجذافين طويلين تتوسطهم سارية، ويظهر على متنه سبعة أشخاص مسلحين برماح ثلاثية الرؤوس ويرتدون خوذات مدببة الرأس ودروع، مما يوحي باستعمال تلك السفن في المعارك البحرية، وهناك من يورد احتمال توفر الملك سيفاكس على أسطول بحري بدليل ملكيته لميناء سيقا الذي كان يحمل اسم الميناء الملكي³.

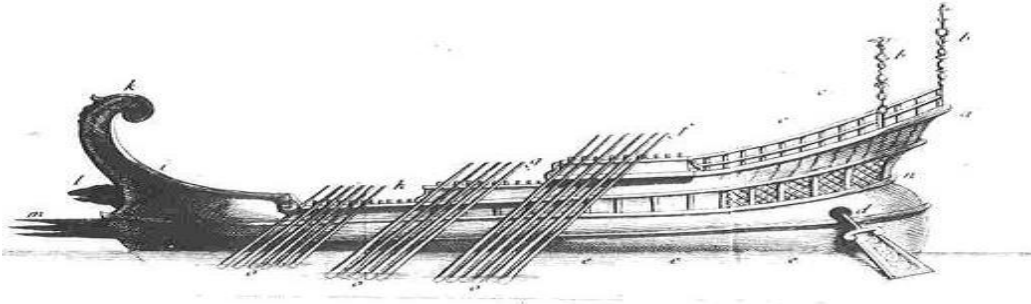
هذا وتوجد إشارة تاريخية صريحة تدل على امتلاك الموريين لأسطول بحري مفادها أن القائد الموري بوغود (أنظر الصورة (2) الشكل 11، الصفحة 102) قاد حملة عسكرية ضخمة لدعم قوات يوليوس قيصر ضد بومبي في معركة موندا (Munda) على تخوم الوادي الكبير، ويدعم هذا القطعة الأثرية النقدية التي تعود لنفس الملك مثل على وجهها جوجو قانس (Galère). ونفس الشيء بالنسبة للملك بوكوس ويوبا الثاني، فالأول شارك بأسطوله البحري في معركة أكتيوم في 2 سبتمبر سنة 31 ق.م كحليف لأنطونيوس ضد أوكتافيوس، والثاني امتلك أسطول بحري وتجارياً وقاد حملة لاكتشاف جزر الكناري⁴.

¹ الناجي منصور الحربي، المرجع السابق، ص، ص 140، 141.

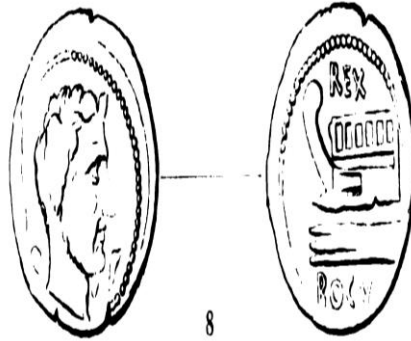
² H-Camps-Fabrer, op.cit, p4.

³ محمد بن عبد المومن، الرسومات الجدارية البونية ومعتقد رحلة الروح نحو العالم الآخر، أنظر: مجموعة مؤلفين، بحوث ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، مرجع سابق، ص 139.

⁴ C.T. Falbe, J. Chr. Lindberg, L. Muller, op.cit, p96.



(1)



(2)

الشكل (11)

(1) نموذج لسفينة ثلاثية عسكرية نوميديّة (ماسينيسا)

(2) صورة لرأس سفينة على عملة الملك بوغود الأول ملك موريطانيا

(1) Ouiza Ait Amara, Les Numidies et les Maures Possédaient-ils Une Flotte de Guerre , Aquila Légions, N: 10, Espagne, 2008, p10.

(2) C.T. Falbe, J. Chr. Lindberg, L. Muller, Numismatique de L'Ancienne Afrique, Les Monnaies de la Numidie et de la Mauritanie, Copenhague, 1862, p95.

في سنة 46 ق.م قام يوبا الأول حليف بومبيوس بتزويد سفنه التي بلغ عددها خمسون سفينة بمجذافين وجنود ملاحين جيتوليين، كما أرسل قبل ذلك مفرزة من الجند إلى أوتيكا استعداداً للمعركة التي دارت بينهم وبين القيصرين¹، وامتلكت بعض القبائل الليبية كالبقواط (Baquates) (les) والمازيس (les Mazices) المراكب الكافية لعبور أعمدة هرقل باستمرار للشواطئ الإيبيرية حيث تذكر المصادر وقوع حروب حقيقية هناك².

إلى جانب السفن الحربية كان الاسطول النوميدي معزز بسفن تجارية لنقل السلع، والتي عادة ما كانت ترافقها السفن الحربية لضمان الحماية لممتلكاتهم المالية والعينية من خلال التصدي للقرصنة ومطاردة لصوص البحر³، ولاشك أن النوميدي كانوا على دراية بصناعة السفن منذ عهد ماسينيسا، أو ربما قبله وذلك لتوفر الخشب بالمنطقة خاصة بسيرتا⁴.

وقد استعمل الرومان سفناً ذات حجم كبير لنقل السلع بعد احتلالهم لبلاد المغرب القديم، ولم تكن ملكية تلك السفن مقتصرة على الرومان فقط، بل كان البعض منها ملكاً للنوميدي الذين شاركوا الرومان في العمل بالنقل البحري، فالكثير من الأواني التي عثر عليها بموانئ إيطاليا كانت تحمل أسماء نوميديّة، وقد استطاع الكثير منهم جني أموال طائلة، غير أن الرومان خافوا من تزايد ثروتهم فحدوا من نشاطهم⁵.

لقد كانت تشكيلة الجيش النوميدي كغيره من جيوش العالم القديم يتكون من حراس لحماية الملك وجيوش نظامية ومحترفين يقودها قادة من ذوي الخبرة العسكرية والاستراتيجية وفرق مساعدة يسهر على تدريبها رؤساء القبائل، إضافة إلى الأسطول البحري الذي كان لا يقل أهمية عن الجيش البري في المعارك البحرية .

¹ Ouiza Ait Amara, Les Numidies et les Maures Possédaient-ils Une Flotte de Guerre, op.cit, p16.

² مصطفى غطيس، المرجع السابق، ص81.

³ محمد حسين فنطر ، يوغرطة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1970 ، ص97.

⁴ Ouiza Ait Amara, Les Numidies et les Maures Possédaient-ils Une Flotte de Guerre, op.cit, p19.

⁵ أبو بكر سرحان، المرجع السابق، ص17.

المبحث الثالث: التنظيم الداخلي للجيش النوميدي

أشرنا سابقاً أن بنية الجيش النوميدي الذي فرض نفسه في الأحداث الكبرى في العالم القديم، فما هي النظم العسكرية التي ضبطت رتبه ومراتبه وقيادته وثكناته؟

أولاً: الرتب العسكرية والمرتبات

يتضح من خلال النصب النذرية التي عُثر عليها بمعبد الحفرة بقسنطينة أن أفراد الجيش النظامي النوميدي كان موزعين على حسب الرتب العسكرية، فقد أشارت بعض النقائش النذرية إلى وظيفة (ه.م.ش.ط.ر) والتي تُرجمت على أنها تعني موظف سامي أو ضابط عسكري سامي¹، ومنها تلك التي تحمل رسم لمجموعة من الأسلحة وعبارة (ه.م.ش.ط.ر) السابقة²، إضافة إلى الضباط الوطنيين: وهم الضباط المكلفين بقيادة الفرق المساعدة(الولاية)، وقائد المائة(رت مت)، وقائد الخمسين بصيغة(أدمش)³، وأشارت مجموعة أخرى من النصب البونية إلى وظيفة معتمد عسكري⁴، وكلها مناصب عسكرية عالية بالجيش، وربما كانت محصورة في القبيلة التي تنتمي إليها الأسرة الحاكمة وأفرادها وذوو الكفاءة والشجاعة القتالية.

وتأتي في قاعدة هرم الرتب العسكرية رتبة الجندي أو الحارس (MSWH)⁵، بينما احتفظ الأقاليد برتبة القائد، إلا في بعض الحالات الاستثنائية كإسناد يوبا الأول قيادة الجيش للملازم "سابورا" الذي قضى على "كوريو"⁶، ومن أهم الامتيازات التي حظيت بها فئات قمة هرم الرتب

¹ محمد الصغير غانم ، نصوص بونية -ليببية مختارة من تاريخ الجزائر القديم ، دار الهدى ، الجزائر ، 2012، ص-ص74-76

² محمد الصغير غانم ، سيرتا النوميديّة النشأة والتطور، المرجع السابق ، ص236.

³ مها عيساوي، النقوش النوميديّة في بلاد المغرب القديم، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص122.

⁴ جهيدة مهنتل، حاضرة قسنطينة، المرجع السابق، ص197.

⁵ Ouiza Ait Amara, Les Guerriers de Jugurtha dans le Bellum Jugurthinum, Vita Latina, N° :197, anno: MMXVIII, Italia, p.5

⁶ Ouiza Ait Amara, Le Role de Massinissa dans la Deuxiem Guerre Punique, op.cit, p177.

العسكري، بالإضافة إلى المرتبات النقدية المرتفعة والخاصة، أنّها كانت مُعفاة من الضرائب، ولها حظٌّ أوفر من الغنائم الحربية، ويبدو أن بقية أفراد الجيش كانوا يتقاضون أجورهم نقداً¹.

ثانياً: تدريب الجنود:

كانت فكرة التدريب على الفروسية وركوب الخيل والصيد، الذي يُعد مدرسة حربية في حد ذاته، من عادات المجتمع النوميدي، إذ كانت الفروسية مدعاة للفخر عندهم وياتقانها تسمو مكانة الشخص ويزداد مُحبوه، فقد كان يوغرطة يتقن الرماية وركوب الخيل وفنون المصارعة كمصارعة الأسود، وهذا ما أكسبه حُب الآخرين وإعجابهم به²، كما كان ماسينيسا وسيفاكس ومكيبسا ويوبا، وهيمصال وكل أحفاده رجال حرب وخبرة في المبارزة بالسيوف والرماح، وامتطاء الأحصنة والتحكم فيها³.

اهتم الإقليد ماسينيسا بتدريب الجيش كجزء من التنظيم العسكري الصارم لصقل مواهبه، وخبراته التي اكتسبها لسنوات إلى جانب القوة العسكرية القرطاجية ثم الرومانية مستعيناً بخبراء عسكريين محليين، كما استعان بالأجانب لنقل الخبرات العسكرية الإيطالية والإغريقية ليكون أكثر حداثة ومعرفة بفنون القتال واستعمال الآلات الحربية الحديثة في ذلك الوقت⁴.

كما كان الإقليد سيفاكس حريصاً على الاستفادة من خبرة الرومان العسكرية فاشترط بقاء القائد الروماني لنقل الخبرات لمعسكره أثناء تحالفه مع الرومان⁵، وهكذا استنتج غزال أن الملوك

¹ Stéphane Gsell, H.A.A.N op.cit, T:5, p146.

² Salluste, op.cit, VI.

³ M. Dureau de la Malle, L'Algérie histoire des guerre des Romains, librairie de Firmin Didot frères ,Paris, p50.

⁴ O.Ait Amara, Numides et Maures au Combatétats et Armées en Afrique du Nord jusqu'au vépoque de Juba1 , sandhi,2013,Africa antiqua,p1.

⁵ Tite Live, Histoire Romaine, trad: M. Nisard ét c, Firmin pinot frères , fils et c libraires , Paris, liv: XXIV, 48,5.

النوميد كانوا يستفيدون من بعض الأساليب الحربية التي تستعملها الأمم الأخرى فاستعملوا معدات الحصار في حروبهم¹.

ثالثاً: أماكن إقامة الجند:

أقامت الجيوش النوميديّة الدائمة في بعض الأماكن والمدن والحصون ذات المواقع الاستراتيجية (ثكنات)، فكانت عمليات المراقبة تتم من هناك حول المناطق المحيطة ولمراقبة تحركات السكان، وقد تم بناء تلك الحصون في مناطق تم اختيارها بعناية فائقة، وزودت بأسوار قوية ومضادات للظواهر الطبيعية، وكانت تستخدم للأمان عند الحاجة، وفي حالة الحروب والمعارك لكونها مجهزة بكل ما يلزم من طعام وشراب وأموال وعتاد حربي².

وتمثل مدينة سيرتا النوميديّة النموذج المثالي للمدينة المحصنة، ومركز السلطة³، وفي ذلك يذكر سالوستيوس " إنه لمن الصّعب جداً احتلال سيرتا (Cirta) بالأسلحة فموقعها محصن طبيعياً، كما أنها محاطة بخندق وأسوار وأبراج ومدعمة بالقلاع⁴، ولذلك كانت سيرتا محط أنظار الرومان الذين سأل لعابهم للسيطرة عليها لأخذ ما فيها من كنوز وأموال وذهب للأقاليد النوميدي، وهكذا ربما كان الأمر بالنسبة لكل المدن المهمة، مثل: زاما، وتالة، وكبسا، وسوثول⁵.

وتذكر آيت عمارة أن الحصون والقلاع لعبت دوراً كبيراً في توفير الدعم اللوجستيكي كالعتاد الحربي والمؤن الغذائية، إذ كان يتم تشييد القلاع في مناطق تتصف بتضاريسها الوعرة كما كان لها طابع هندسي خاص لغرض تخزين القمح لاستعماله وقت الحروب المفاجئة⁶، ويذكر المؤرخون أن تموين الجيش بصفة عامة كان يعتمد في الأساس على الضرائب المفروضة على سكان المدن والأرياف،

¹Stéphane Gsell, H.A.A.N, op.cit, T: V, p150.

² أصطيفان أكصيل، ج5، المرجع السابق، ص127.

³ جهيدة مهنتل، الأصل المحلي لأسماء المدن الجزائرية القديمة، حوليات التاريخ والجغرافيا، الع: 09، جامعة الجزائر، ص87.

Stéphane Gsell, H.A.A.N, T: 01, op.cit, p98.

⁴ Salluste, op.cit, XXIII

⁵ أصطيفان أكصيل، ج5، المرجع السابق، ص137.

⁶ Ouiza Ait Amara, La Logistique De l'Armée Numide Jusqu'à La Mort de Juba1er, Riviwta di Studi Militari, N°:3, Italia, 2014, p45.

إضافة إلى عائدات الصادرات وغنائم الحرب، وقد نقلت لنا الروايات التاريخية أسماء بعض المدن التي كان يخزن أقاليد نوميديا بها كنوزهم على غرار زاما وباجة وقفصة في عهد يوغرطة.

رابعاً: قيادة الجيش وتنظيمه للمعركة

كان الملوك النوميدي رجال سياسة ورجال حربٍ في آنٍ واحد، فقد كانوا يتولون قيادة الجيش بأنفسهم كما سينيسا ويوغرطة، ويوبا الأول الذي قاد جيشه أثناء حروبه ضد قيصر، وقد ينوب عنهم بعض القادة المتمرسين فيوبا الأول كما ذكرنا سابقاً كان قد أوكل قيادة جيشه للملازم سابورا الذي هزم كوريو، في حين كانت تُسند قيادة الجيش الاحتياطي إلى رؤساء القبائل الذين كانوا يشرفون على تدريبهم أيضاً . وقد أشتهر يوغرطة بمهارته العالية وتعليماته العميقة في فنون الحرب وإدارتها قبل وأثناء المعركة، وقد استخدم عبقريته تلك في تنفيذ مخططاته، فكان جيشه مضبوط بفضل تعليماته واستراتيجية العسكرية .

وتختلف تشكيلة الجيوش واستراتيجية الحرب حسب المجال الجغرافي للحروب وعدد أفراد الجيش، فعادة ما كان يتم تقسيم الجيوش بوضع فرق المشاة في الوسط على شكل صفوف، وفرق الخيالة على ميمنة الجيش وميسرته، وفي المعارك السهلية تستخدم الفيلة في مقدمة الجيش كما هو الحال بالنسبة لمعركة تابسوس التي شارك فيها يوبا الأول بحوالي 44 فيلاً لإثارة الرعب والذعر في صفوف الرومان¹، ويتم تقسيم الجيش عادةً إلى عدة فرق تضم المشاة والفرسان في العمليات العسكرية المفاجئة.

المبحث الرابع: تجهيزات الجيش النوميدي

تتطلب وظيفة الجنديّة تجهيزات خاصة تأخذ في تصاميمها طبيعة المهمة المنوطة بها لخوض المعارك المختلفة، ففيما تمثلت تجهيزات الجندي النوميدي ؟

¹ Stéphane Gsell, H.A.A.N, T: 5, op.cit, p,p150,151.

أولاً: لباس الجندي النوميدي (Les Vêtements):

تتميز الجيوش بلباسها الخاص كما يستعمل الزي أيضاً للفصل بين الرتب العسكرية في نظام الجيوش في الغالب، ولم يكن الجيش النوميدي ليخرج عن هذه التقاليد العامة، ولكن بخصوصية اللباس الليبي الذي تطور عبر العصور.

1. السترة والعباءة:

إن أقدم صورة وصلت إلينا حول لباس الليبيين هي الصورة المنقوشة في صلاية الأسد والعقبان بمصر، والتي يظهر فيها الليبيون وهم يرتدون جراب العورة كإزار بسيط مُثبت من الأعلى بحزام فوق الخصر ويتدلى إلى ما فوق الركبتين بقليل¹، ويبدو أنه كان لباس الجنود أيضاً، إذ تُصور لوحة وادي جرات محارب ليبي يُرجح أنه من التحنو يرتدي جراب العورة، وعلى رأسه ثلاث ريشات ربما تدل على مرتبته العسكرية في الجيش لأن ارتداء الريشة كان للدلالة على المرتبة المرموقة عند الليبيين بمصر، كما يظهر في لوحة رجل (عين ناقة) بالجلفة جندي ليبي يلبس جراب العورة وله لحية، ويحمل قوساً ورمحاً².

وإذا تتبعنا الآثار المصرية الخاصة بالليبيين فإن لباسهم قد تطور مع مرور الوقت، فقد ظهر الليبيون في نقيشة ترجع لعهد الفرعون سيتي الأول في منظر لأربعة أفراد يرتدون عباءة فضفاضة تغطي الكتف الأيمن وأعلى الذراع، ثم تعقد على الكتف الأيسر ويترك الذراع مكشوفاً، وتحت يرتدي الليبي جراب العورة، ويزين الرؤساء رؤوسهم بريشتين، ولاشك أن ذلك التطور قد شمل لباس الجنود أيضاً، إذ صور الليبيون في صفوف الجيش الفرعوني وهم يرتدون رداء طويل يصل إلى الكعبين، مفتوحاً من أحد الجانبين، ويغطي أحد الأكتاف ويترك الآخر عارياً وتحت النقبة، وعلى أذرعهم وشم، أما الشعر فقد كان قصيراً³.

¹ عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم (من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي)، ج1، منشورات تامغناست، ص87.

² أم الخير العقون، نماذج عن تطابق الآثار المصرية والرسوم الصخرية بالصحراء حول تاريخ المغرب القديم، المرجع السابق، ص، 93، 94.

³ المرجع نفسه، ص93.

يذكر المؤرخ الإغريقي هيرودوت أن الليبيين كانوا يرتدون في عصره فساتين طويلة من الجلد في كثير من الأحيان، ويرتدي الجندي الليبي اللثام لحماية نفسه من حر الشمس ومن الرياح، وفي اللوحات الصخرية يظهر الرجال وهم يرتدون ثوباً قصيراً يتوقف عند منتصف الفخذين، ونلاحظ أن هذه العادة لازالت مستمرة عند الطوارق إلى اليوم مع ارتداء السراويل معها من نفس القماش¹، وربما شمل هذا اللباس الجنود الليبيين أيضاً، إذ يظهر الليبيون المشاركين في جيش الفرس وهم يرتدون لباساً مصنوعاً من الجلود²، وقد ورد ذلك عند سترابون في قوله " كانوا يرتدون ألبسة فضفاضة من جلود الحيوانات كالفهود والأسود"³.

وفي الفترة القرطاجية ظهر الليبيون المحاربون وهم يرتدون رداء فوقية مصنوع من الصوف عوض الجلود، وهي التي شبهها غزال بالبرنوس (Birrus) المعروف لدى سكان شمال إفريقيا⁴، وقد ذكر المؤرخ فرونتين أن الفرق المساعدة من النوميدي كانوا محتقرين لمظهرهم ولقبح خيولهم أيضاً⁵، وربما يرجع ذلك إلى بساطة لباسهم، إذ ارتدى الجنود النوميدي سترات (Tunique) بسيطة تنزل على الجسم إلى الركبة وتلتصق بالجسم بواسطة حزام في الخصر، كما تظهر صور الليبيون في الرسوم الصخرية (كابالين) (Caballine) وهم يرتدون تنانير (Jupes) قصيرة لاتصل إلى الركبة.

أما الفرسان الموريين على عمود تراجان فظهروا وهم يرتدون سترات قصيرة مشدودة على الجسم بواسطة حزام في الخصر ومشبك عند الكتف، ويبدو أن القميص كان يتكون من قطعتين واحدة

¹ Hérodote, Histoire d'Hirodote, trad: Larcher avec des notes des Bochart, Wesseling Scaliger et Carpentier, Paris, 1850, p189.

² ورد في المصادر أن الليبيون كانوا يستخدمون جلود الحيوانات خاصة الماعز في صناعة الملابس بعد نزع أصوافها، وتزيين أطرافها بالأهداب، كما كان نساء قبيلة الجندان يزينون كواحلهن بعقود من الجلد، وكثيراً ما كانت تظلي تلك الجلود باللون الأحمر الأرجواني. أنظر: هيرودوت، تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبوظبي، الامارات العربية المتحدة، 2001م، ص362.

³ Strabon, op.cit, liv: XVII, 3,7.

⁴ Stephane. Gsell, H.A.A.N, T:06, op.cit, p26.

⁵ Sixtus Julius Frontin, Stratagèmes, trad: D.G A.L.R.B.L.C.D.S.M, 1839, liv: I, XVI, 16..

للظهر والأخرى للصدر مُحاطة في الجزء السفلي تحت الإبط وتجمع على الكتف الأيمن، وربما ارتدوا تحته سراويل قصيرة، ويلاحظ هذا النوع من اللباس على العملات المعدنية للملك سيفاكس¹.

وبالنسبة لفارس كانوسا (Canosa) فإنه يظهر وهو يرتدي سترة قصيرة بدون حزام وأكمام تغطي نصف الذراع ويحمل بيده رمحاً، ولعله يمثل نموذجاً لفارس بسيط، إذ وردت بعض الصور الأخرى للفرسان وهم يضعون أكليل على رؤوسهم ويرتدون الأحذية كدلالة على الرتبة المرموقة أو الأصول النبيلة²، وفي عام 1970م اكتشفت فيسفساء بمدينة سطيف تمثل محاررين لبيبين ألقى عليهم القبض كأسرى يرتدون معاطف حمراء اللون، وقد اشتهر الليبيون بالزخرفة الهندسية باللونين الأحمر والابيض في تزيين الفخار وتلوين الملابس³ (أنظر الصورة(1) و(2) الشكل 12، الصفحة 111).

2. الأحذية :

تشير النقوش المصرية أن الليبيين انتعلوا صندلاً في أقدامهم، وقد ورد ذكر ذلك في نصوص الكرنك لمزبتاح (الاسرة التاسعة عشر) الذي أعلن هزيمة أعداء الملك قائلاً "ان الزعيم الليبي مربي بن دد فرّ هارباً تاركاً نعليه"⁴، وتحتفظ المتاحف التاريخية بصندل وقناع كان يرتديهما الملك شيشنق الثاني الذي كان لوبي الأصل⁵.

¹ Stephane Gsell, H.A.A.N , T:6, op.cit, p,p28,29

² Ouiza Ait Amara , Le Cheval et le Cavalier Numides, éd: Comité des Travaux Historiques et Scientifique, 2018, p, p,p1,2,3. اطلعت عليه بواسطة حسابي على موقع: <https://www.academia.edu>

³ Cédric Chadburn, L'équipement Militaire des Auxiliaires Africains dans l'Armée Romaine, 2006.p18 .

⁴ مجموعة مؤلفين، سلسلة تاريخنا، ج1، مطبعة دار التراث ، ليبيا،(د.ت)، ص128.

⁵ مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية ، 1966، ص72.



(1)



(2)

الشكل (12)

(1) صورة لفرسان ليبيين على عمود تراجان

(2) صورة لفراس نوميدي جريح (كانوسا)

Cédric Chadburn, Les Relation Entre Tribus Berbères et Autorités Romaines,
إطلعت عليه بواسطة حسابي على موقع: p23
https://www.academia.edu/36999122/Les_relations_entre_les_tribus_berb%C3%A8res_et_les_autorit%C3%A9s_romaines_In_Les_berb%C3%A8res_sous_l'empire_romain

Ouiza Ait Amara, Le Cheval et le Cavalier Numides, op.cit, p2.

ويظهر بالرجوع للمصادر التاريخية أن النوميدي والمور لم يرتدوا الأحذية في غالب الأحيان، وأنهم كانوا يفضلون المشي وهم حفاة، ويمتطون الأحصنة بدون أحذية، فقد ظهر الفرسان الموريين على عمود تراجان وهم حفاة، غير أننا وبالعودة لمنحوتات ورسومات فارس شمتو (Chimitu) التي تعود للقرن الأول قبل الميلاد يظهر لنا أن الفرسان النوميدي كانوا يرتدون أحذية مصنوعة من الجلد، وهذا هو الرأي الأقرب للصواب خصوصاً أن قسوة الحرب تتطلب حماية القدمين بالأساس¹. (أنظر الشكل (14)، الصفحة 113)

ثانياً: أسلحة الجندي النوميدي

ان المتصفح للمصادر المادية والكتابية التي تتحدث عن الأسلحة الليبية القديمة ليدرك أنها كانت متنوعة وتطورت عبر العصور ، وقد استعمل الليبيون الأسلحة لسببين اثنين هما: الصيد، والحرب، فأول اعتمد عليه كوسيلة للعيش في العصور القديمة. والثاني، جاء كنتيجة أساسية لاحتكاك البشر وتصادم المصالح فيما بينهم، وبناء على ذلك يمكننا تقسيم الأسلحة إلى ثلاثة أقسام وهي : أسلحة الدفاع، وأسلحة الهجوم، وأسلحة الرمي .

¹ محمد حسين فنطر ، اسلافنا الليبيين ، أنظر: مجموعة مؤلفين ، تونس عبر العصور ، ج1، المرجع السابق، ص31.



الشكل (13):

صورة لفارس شمتو الذي يظهر وهو يرتدي حذاء

نقل عن:

Francois Bertrandy, Apropos du Cavalier de Simitthus
(Chemtou), Anti.Afri, N:22, 19986, p59.

1. أسلحة الهجوم : ومنها:

أ- العصا والهرأوة :

اعتمد الانسان الأول في حياته على ما تجود به الطبيعة فكان من أولى الوسائل التي اعتمدها كوسيلة للدفاع عن نفسه من الأخطار الخارجية، هي: العصا والهرأوة، وعن استعمالات هذا السلاح يذكر المؤرخ ول ديورانت " أن الانسان صنع لنفسه العصا التي كان ينظر إليها كرمز للقوة والسلطان من عصا سحرية عند عرائس الجن، وكعكازة عند الراعي، وكعصا عاجية يمسك بها القنصل في الدولة الرومانية، وقد تعددت استعمالاتها فاستعملت في الزراعة كفأس للحفر وكحربة وسهم ورمح وسيف"¹.

لاشك أن استعمال العَصِي قد استمر طويلاً، إذ يورد المؤرخ الاغريقي هيرودوت أن شعب قبيلة الأوسينز (Les Auséens) الليبية التي كانت تسكن قرب نهر تريتون كانوا يتصارعون فيما بينهم بالعصي والحجارة في احتفالاتهم السنوية بعيد الآلهة منيرفا، وهي عادة ورثوها عن أجدادهم².

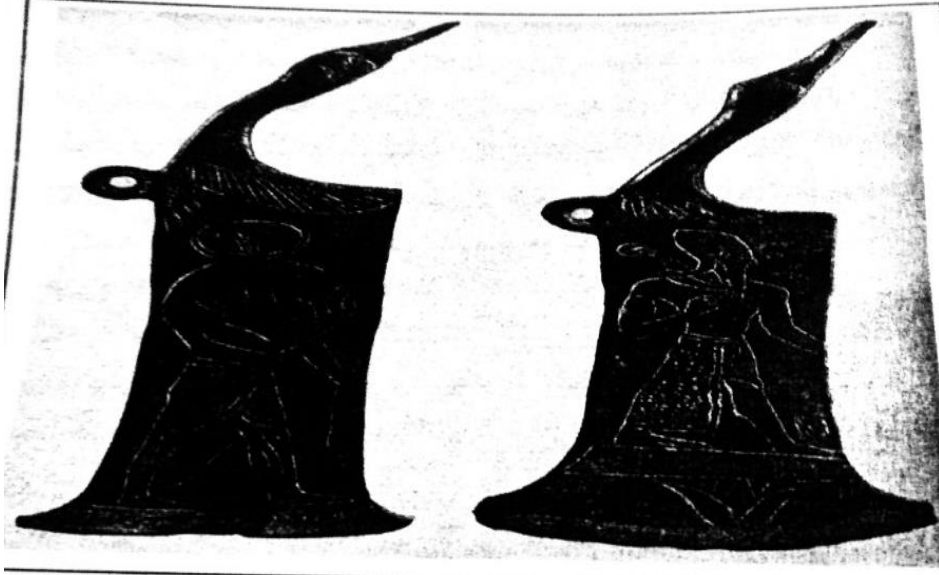
ب- الخناجر والسكاكين :

استخدم الليبيون الخناجر والسكاكين ذات الشفرات الحديدية الحادة التي تصلح للحرب والصيد معاً، وقد ذكر بعض المؤرخين من أمثال سترابون أن بعض الليبيين كانوا يحملون معهم سكيناً يدخلونه في غمده، ويُعلّق في حلقة وتُدخل في الذراع، وما يؤكد ذلك هو العثور علماء الآثار على جثة رجل بمدفن عائلي بسيدي بلعباس يحمل تحت ذراعه سكيناً، وقد صنعت السكاكين في أول الأمر من الحجارة قبل أن يتطور الأمر لتصبح معدنية الصنع³. (انظر الشكل (14)، الصفحة 115).

¹ وايريل ديورانت ، قصة الحضارة ، مج1، تر: زكي نجيب محمود ، دار الجيل ، بيروت ، الاليسكو ، تونس ، ص16

² علي فخمي خشيم، نصوص ليبية، المرجع السابق، ص39

³ Stéphane Gsell, H.A.A.N, op.cit, T: VI,p42.



الشكل (14)

صورة لخنجران بُونيان عُثر عليهما بقرطاجة

نقلًا عن:

محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص 175

ت - الرمح والحربة:

أشارت المصادر التاريخية الكتابية والأثرية أن الليبيين استعملوا الرماح في الصيد وفي الحرب ، وأشار الأستاذ غزال أن الليبيين استعملوا الحراب منذ العصور الحجرية القديمة باستخدام العود والحجارة المشدبة في الأسنة، وربما استخدمت في الأسنة عظام الحيوانات أيضاً¹، ولاشك أنها استبدلت فيما بعد بالأسنة المعدنية ذات الشكل المثلث²، ويبدو أنها كانت متنوعة في الطول، إذ ورد في المصادر المصرية أن رمسيس الثاني غنم في حربه ضد المشوش، وهي قبيلة ليبية، حوالي 115 رمحاً مصنوعاً من الحديد بطول 15 ذراع و124 أخرى بطول ثلاثة أذرع³.

ويذكر المؤرخ بلين القديم أن الليبيون والجيتول كانوا يصارعون الأسود والحيوانات بالرمح⁴، وجاء في كتاب سالوستيوس حول حرب يوغرطة أن النوميدي الليبيون كانوا يلقون بالرمح من الأسوار على الرومان الذين كانوا يحاصرونهم في زاما ، كما أورد في وصف يوغرطة أنه كان يمارس الفروسية وماهر في رمي الرمح⁵.

ويشير سترابون في جغرافيته أن الليبيين كانوا يستعملون رماح ذات أسنة صغيرة في حروبهم⁶، ويبدو أنهم استعملوا الرماح ذات الأسنة الطويلة أيضاً، فقد عُثر بالمغرب والجزائر الغربية على رماح ذات أسنة صغيرة وأخرى طويلة، وفي موقع إيولن (Ewelen) يظهر في النصب محاربون يمسكون بجرايح ذات أسنة عريضة، كما عُثر على بقايا رماح ليبية في مدافن جدبوية والمطمور وعين الصفراء⁷، وفي ضريح الخروب بسيرتا الذي عثر فيه على بقايا لأربعة رماح يعتقد الباحثون أنها تعود للملك ماسينييسا الاقليد المدفون داخل الضريح⁸ (أنظر الصورة(1) الشكل(15)، الصفحة (117)).

¹ أصطيفان أكصيل ، ج6، المرجع السابق، ص38.

² محمد العربي عقون ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي ، المرجع السابق، ص36

³ فرانسيس فيفر ، المرجع السابق ، ص50.

⁴ Plin L'Ancien, Histoire Naturelle, Dubochet, 1848, liv:8, XIX.

⁵ سالوست ، الحرب البوغرطية ، تر: محمد المبروك الذويب، منشورات بنغازي ، ليبيا ، ص-ص 16-79.

⁶ Strabon , op.cit, liv:XVII,3,7.

⁷ غابريال كاميس ، في أصول بلاد البربر، ماسينييسا أو بداية التاريخ . تر: محمد العربي عقون ، المجلس الأعلى للغة العربية ،

الجزائر، ص139.

⁸ Stéphane Gsell, H.A.A.N, T:VI, op.cit, p41.



(1)



(2)

الشكل (15)

الصورة (1): رأس رمح عشر عليه بضريح الخروب بقسنطينة

الصورة (2): صورة سيف بضريح الخروب

نقلًا عن:

Keltoum Kitoni Daho et autre, l'Algerie aux Temps des Royaumes Numides, Ministère de la Communication et de la Culture, Alger, 2003, p,p109,110.

كما وجد الأثريون ببلاد القبائل نصب عليه رسم لجنود يحملون رماح مُكْرَسَ للإله ماسينيسا¹. وما تعدد المواقع الأثرية التي عُثِر فيها على الرماح الليبية إلا دليل على استعماله الواسع وانتشاره في العديد من المناطق، إذ مثلت الوسيلة الأساسية للهجوم عند النوميديون وهو تؤكد المصادر الأدبية .

ث- السيوف :

جاءت أقدم إشارة لاستعمال السيوف من طرف الليبيين في الآثار المصرية التي روت لنا أحداث حرب (مربي بن دد) مع الملك مرنبتاح، فقد جاء في قائمة الغنائم للفرعون المصري ما عدده 9111 سيفاً لوبياً مصنوعاً من النحاس استعمله المشواش في حربهم تلك². بينما استولى رمسيس الثالث (الأسرة 20) على نوعين من السيوف الأول طوله أربعة أذرع وعددها 129 سيفاً، والثانية يصل طولها إلى ثلاثة أذرع وعددها 116 سيفاً³.

كما تؤكد النقوش الأثرية على استخدام الليبيين للسيوف في الفترات اللاحقة، حيث يظهر الليبيين المحاربون الذين نقشت صورهم على نصب عُثِر عليه بعين خنقة بسيرتا مسلحين بالرماح والسيوف، والتي استعملت في صناعتها عدة معادن، مثل: البرونز، والحديد، والنحاس، كما عُثِر بليكسوس على بقايا سيف مصنوع من البرونز⁴، ويحتفظ متحف سيرتا بسيوف طولها خمسة وستون سنتيمتر مقسمة إلى ثلاثة أجزاء صُنعت من الحديد، ولها غمد مصنوع من خشب الأرز وفوهته مزينة بحلقة من النحاس أو الذهب وجدت ضمن مقتنيات ضريح الخروب⁵.

وتشير النصوص المصدرية إلى استعماله من طرف النوميدي كوسيلة للهجوم في الحروب، ففي (حرب يوغرطة) ذكر سالوستيوس "..... في تلك الأثناء أشهر يوغرطة سيفه وهو يقطر بدماء مشاتنا الذين قتلهم في المعركة....."⁶، ولاشك أن يوغرطة والنوميدي كانوا يجيدون

¹ أصطيفان أكصيل ، ج6، المرجع السابق ، ص38.

² سير الن جاردنير، المرجع السابق، ص427.

³ أم الخير العقون، دولة الأمازيغ.....، المرجع السابق، ص90.

⁴ Gabriel Camps, L'Origine des Berbères, Ed: C.N.R.S, Paris, 1990, p112.

⁵ أحمد السليماني وآخرون ، المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في نوميديا القديمة ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 54، الجزائر ، 2007، ص312.

⁶ سالوست، المصدر السابق، ص132.

استعماله رغم أن لستيفان غزال رأي آخر وهو أن السيف لم يكن إفريقيًا، وإنما أخذ الليبيين استعماله عن الإسبان¹.

ويرى المؤرخ الاغريقي ديودور الصقلي وتيت ليف أن الليبيين لم يستخدموا السيف في حروبهم²، وفي ذات السياق ترى الأستاذ جيهان دايزنج أن الليبيين قد اقتبسوا السيف الطويل من شعوب البحر إلا أن استعماله لم يكن واسع³. وأياً كان الأمر إلا أن الراجح أنهم كانوا يجيدون استعمال السيوف، وربما صنعوها أيضاً لتوفر المعادن في مناطقهم. (أنظر الصورة (2)، الشكل(16)، الصفحة 121)

ج- الأقواس والسهام:

استخدم الليبيون الأقواس منذ العصور الحجرية القديمة⁴، إذ عثر الباحثون على رؤوس السهام في مواقع نيوليتية مختلفة كموقع (برزينة) بالبيض، و(تبليلة) غرب الساوره، وبمنطقة رقان، كما يظهر في الرسوم الصخرية في التاسيلي وبرزينة. (أنظر: الصورة(1)، الشكل(16)، الصفحة 121)، وقد بقي استخدامها سارياً حتى الحروب الليبية المصرية، حيث تظهر في النقائش المصرية على جدران معبد الكرنك التي يرجع تاريخها إلى عهد الفرعون سيتي الأول الذي خاض حروباً مع التمحو والريبو(وهي قبائل ليبية)، وكذلك على جدران معبد هابو المخلدة لحروب رمسيس الثالث مع المشوش وهم من الليبيين أيضاً.

ومن أنواع الأقواس التي استخدمها الليبيون في حروبهم نجد الأقواس المستديرة، وهي التي تظهر جلية في بعض الرسوم الصخرية التي تؤرخ المعارك المختلفة لليبيين ضد الفراعنة، وتشبه لحد كبير الموجودة في التاسيلي ناجر⁵. إضافة إلى الأقواس المثلثية التي تتميز بصغر حجمها، كما

¹ أصطيفان أكصيل، ج6، المرجع السابق، ص41.

² أم الخير العقون، دولة الأمازيغ.....، المرجع السابق، ص90

³ جيهان ديزانج، المرجع السابق، ص442.

⁴ محمد الطاهر العدواني، الحروب والأسلحة في عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1985، ص56.

⁵ أم الخير العقون، دولة الأمازيغ.....، المرجع السابق، ص89

تزوّد الليبيون بحاملة سهام يحملها المقاتل خلف ظهره¹، وقد غنم منها رمسيس الثالث في حربه الثانية ضد المشوش حوالي 2310 جعبة و 603 قوس². (أنظر الصورة(2)، الشكل (16)، الصفحة15)

وتذكر النصوص التاريخية أن الجنود الليبيون كانوا متمرسين في إطلاق السهام وإصابة الهدف، وأن حنبعل استعان بهم في حروبه ضد روما فشكّل منهم فرقة القوّاسين ضمت الليبيون والمور، وقد كان لهم دوراً كبيراً في معركة زاما، وكذلك الأمر بالنسبة ليوغرطة الذي استعان بهم أثناء مشاركته مع الرومان في حروبها ضد نومنصا(نومنتيا)، وفي نقش يُرّين هيكل هادريان بروما يوجد اسم لقبيلة ليبية تحمل كناية "السّهام" ربما لاختصاصها في ذلك³.

وأثناء حصار مدينة سيرتا في حروب يوغرطة ضد روما يُذكر أن أهلها دافعوا على أنفسهم برمي الحجارة والصخور على الرومان، وربما استعملوا في ذلك الأقواس، كما كان رماة السهام من بين عناصر جيش يوبا الأول في معاركه التي خاضها إلى جانب حزب من الرومان ضد حزب روماني آخر.

2. أسلحة الدفاع: وتستعمل لحماية الجندي من الأخطار الخارجية في المعارك، ومنها:

أ- الخوذة :

هي غطاء معدني يقي الرأس من الضربات الخارجية الحادة (السيوف، الرماح، السهام،)، وفي النصوص القديمة إشارة إلى استخدام الليبيين للخوذة كغطاء للرأس، فجاء في نصوص هيروودوت أن شعب الأوسينز، وهي قبيلة ليبية تقيم على ضفاف بحيرة ترينوس، كانت لهم عادة في يوم احتفالهم بعيد اثينا بأن يختاروا أجمل فتاة من بين فتياتهن للطواف بها بعد أن تتزين بلبس الخوذة الكورنيثية (الآغريقية)⁴.

¹ مجموعة مؤرخين، سلسلة تاريخنا، المرجع السابق، ص129.

² أم الخير العقون، دولة الأمازيغ.....، المرجع السابق، ص89.

³ Stephne Gsell, H.A.A.N, T:6, op.cit, p47. Appien, op.cit, XIV, 89.

⁴ Hérodote, op.cit, liv: VI, 180.



(1)



(2)

الشكل (16)

الصورة (1): رؤوس سهام من الصوان تعود للعصر الحجري الحديث

الصورة (2): لبي يحمل قوس وسهام عثر عليه بمنطقة الطاسيلي

نقلًا عن:

(1) عبد الرزاق قراقب، العصور الحجرية، أنظر: مجموعة مؤرخين، تونس عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 29.

(2) جبار حميدي محيسن الربيعي، الرسوم الصخرية لعصور ما قبل التاريخ في ليبيا، أوراق بحثية، جامعة القادسية، ص 20.

وقد عُثر على خوذة حربية مصنوعة من الحديد ضمن المقتنيات الجنائزية لضريح الخروب، مخصصة لحماية الجزء العلوي من الرأس وأجزاء من الرقبة والأذنين، فلا تكشف سوى الوجه، وقد رسم على جانبيها شكل أذنين بشريتين¹. (أنظر الشكل(17) الصفحة123)

كما ظهرت الخوذة في العديد من الشواهد الأثرية التي عثر عليها في المناطق التي كانت تابعة للمملكة النوميديّة، ومنها "كرفلة" التي عثر عليها في نواحي البويرة والتي يظهر فيها رجل وهو يرتدي خوذة وفوقها شعر قصير، ويمسك في إحدى يديه صولجان، كما تحتفظ لنا العملة النوميديّة بصور الملكين سيفاكس وماسينييسا وهما يرتديان خوذة حديدية تحمي أعلى الرأس حتى الرقبة²، بدلاً من إكليل الغار الذي ظهر به معظم أقاليد نوميديا³، والظاهر أن ارتداء الخوذة كان مرتبطاً بالشخصيات الحربية سواء كانوا ملوكاً أو رعايا، خصوصاً إذا علمنا أن ماسينييسا وأحفاده من بعده كان لهم تاريخ حربي طويل، وإتقان الفروسية واستعمال الأسلحة كان مدعاة للفخر عند النوميديين جميعاً.

ونقرأ ذلك بوضوح في وصية مكيسا لابنه يوغرطة بعد عودته من نومنصا "انك بعد أن عدت مؤخراً من نومنصا قد شرفنتي وشرفت مملكتي بمجدك وشجاعتك، وجعلت من الرومان الذين كانوا أصدقاء عاديين لنا أصدقاء مقربين جداً لنا، لقد ذاع اسم عائلتنا في إسبانيا من جديد، وبعد ذلك استطعت أن تحقق ما هو صعب جداً على جميع الناس، وهو أن تهزم الحسد بعظمتك."⁴

¹ Bonnell, Monument Greco-Punique de la Souma, , Recueil des Notices Et Mémoires de la Société Archéologique du Département de Constantiné, Vol: 6, Jourdan, Libraire-éditeur , René Roger, Librairie Africaine et Coloniale, Alger, Paris, 1916, p176.

² محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص449

³ E. Thépenier , Reflescions et Suppositions au Sujet des Découvertes Faites a la Souma , Jordan libraire éditeur, Paris , 1916, p197.

⁴ سالوست ، المصدر السابق ، ص19.



الشكل (17)

صورة لخوذة عشر عليها بضريح الخروب بقسنطينة

نقلًا عن:

Keltoum Kitoni Daho et autre, op.cit, p,p109.

كما عُثِرَ بمعبد الحفرة على نقش يصوّر خوذات مُدببة إلى جانب باقي سلاح المحاربين، وفي قطعة معدنية تعود للملك سيفاكس نجد رسم لفارس يرتدي خوذة رجّع ستيفان غزال أصلها إلى القرطاجيين¹ في إشارة منه أن الليبيين المحليين لم يكونوا متحضرين، وأن معرفتهم للصناعات المعدنية لا تتعدى كونها مستوردة من أمم أخرى، وهي نفس النظرة التي نجدها عند هيرودوت الذي صرح أن ارتداء الليبيين للخوذة هو تقليد إغريقي، رغم أن الأدلة الأثرية تثبت أن الليبيين قد عرفوا الصناعات المعدنية قبل دخول القرطاجيين، بل ومنذ العصر النيوليتي².

ب- التروس:

الترس هو صفيحة من الفولاذ مستديرة أو بيضوية الشكل تحمل لوقاية الوجه والرأس من الضربات³، وقد ارتدى الجندي الليبي لباساً مصنوعاً من الجلد والكتان والملابس الصوفية لحماية نفسه، وقد عُثِرَ بالجزائر على رسمين صخريين أحدهما يمثل ترساً بيوتيان في ولاية بسكرة: ويتميز هذا النوع من التروس بجوانبه المزدوجة التي تسمى (Béotien) بيوتيان، و يتم صنّعها بوضع طبقات مزدوجة من الجلد على قطعة من الخشب حتى تكون صعبة الاختراق، والآخر في الجنوب الوهراني يمثل ترساً بيضوي الشكل وآخر صغير، كما نجد بمتحف سيرتا شاهد آخر على استعماله من طرف النوميديين على نقيشة ندرية تحمل صورة فارس نوميدي يحمل بيده اليمنى رمح، وبالأخرى ترس بيضوي الشكل⁴. (أنظر الشكل (18) و(19)، الصفحة 126)

ويشير المؤرخون القدماء الى نوع آخر من أنواع التروس وهو الترس المستدير الذي كان يستعمل من طرف المشاة والفرسان الليبيين على حد السواء⁵، وتظهر صورة ترس مستدير حُطَم جزؤها العلوي مع نقطة استدارة في وسطه، ربما هي المقبض الذي كان يمسك منه الترس في إحدى

¹ أصطيفان أكصيل، ج6، المرجع السابق، ص47.

² Gabriel Camps, Monument et Rites Funéraire Protohistoriques, arts et métiers graphiques, Paris, 2011, p35.

³ معجم المعاني متوفر على: <https://www.almaany.com/>، اطلعت عليه يوم 2019/06/10م، على

الساعة 22:14.

⁴ Keltoum Kitoni Daho et autre, op.cit, p159.

⁵ Stephan Gsell, H.A.A.N, T: 6, p50.

النصب النذرية التي عشر عليها في بعض المعالم البونية¹، كما عُثر على نقش ببلاد القبائل(فارس أبيضار) عليه رسم لمحارين يحملون تروساً ورماح ، ويظهر الفرسان المور على عمود تراجعان وهم يحملونه إلى جانب رماحهم.(أنظر الشكل(20)، الصفحة(127)

أما فيما يخص مواد صنعها فيذكر غزال أنها كانت تُصنع غالباً من الجلد، ومنها جلود النعام التي كان الجرامنت، وهي قبيلة ليبية، يصنعون منها تروساً إذا همُّوا بالخروج إلى الحرب²، إضافة إلى جلود الفيلة نظراً لما تتميز به من صلابة وقسوة وخفة في نفس الوقت، وهو ما أشار إليه سترابون بقوله " إن المشاة الليبيين يصنعون من جلود الفيلة تروساً ...، ويرتدون جلود الأسود والظباء والشعالب"³، وربما كانت تحاط حاشيته بمادة أخرى وتكون منتفخة قليلاً إلى الخارج.

ومع مرور الزمن أُستعمل القماش والمعدن في صنعها أيضاً، فقد عُثر بصريح الخروب على بقايا ترس مصنوعة من القماش والمعدن يرجح أنها كانت بيضوية الشكل، بلغ طولها 60 سنتيمتر، ويرى غزال أن قطر التروس النوميدي كان حوالي 50 سنتيمتر⁴، وبوسط الترس نجد مقبضين يدخل الذراع في أحدهما، وتمسك اليد بالثانية،(أنظر الشكل(21)، الصفحة(128) وربما تم تلوينها بألوان مختلفة.

والظاهر من مواد صنعها أنها كانت خفيفة في البداية ويسهل التنقل بها إلا في حالة تعرضها للتبلل بمياه الأمطار⁵، وربما كان ذلك هو السبب الرئيسي لاستعمال المعادن بدلاً من الجلود التي تتعرض للتلف في حالة تعرضها للمياه في فصل الشتاء خاصة، ورغم ذلك نجد استعماله لا يزال مستمرا إلى اليوم عند الطوارق في رقصاتهم الشعبية كصورة من صور الموروث الحضاري، وكتعبير عن التمسك بالهوية الضاربة في أعماق التاريخ⁶.

¹ محمد الصغير غانم ، النصب البونية القسنطينية المحفوظة بمتحف اللوفر بفرنسا ، دار الهدى للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص160.

² هيروودوت، تاريخ هيروودوت، المصدر السابق ، ص361.

³ الناجي منصور الحري ، المرجع السابق ، ص88.

⁴Stephan Gsell, , H.A.A.N, T:6, p50 .

⁵ Ibid, p52.

⁶ شكل تلك التروس مستطيل وبه زوائد في الجهات الأربع ويُصنع من الخشب ويتم تلوينه بزخارف متوارثة عند الطوارق .



الشكل (18)

صورة لعتاد حربي لجندي نوميدي ومنها ترس بيضوي ورماح وخوذة (محفوظ بمتحف سيرتا)



الشكل (19)

نصب تذكاري لجندي نوميدي من أصل تراقي يحمل ترساً بيضوي الشكل بيده اليمنى ورمح باليسرى



(1)



(2)

الشكل (20):

الصورة (1): نصب تذكاري يظهر جندي نوميدي يحمل ترساً مستديرة ورمح

الصورة (2): رسم لفارس نوميدي يحمل ترساً مستدير ورمح (فارس ابيزار)

(1) Keltoum Kitoni Daho et autre, op.cit, p109.

(2) محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص186.



الشكل (21)

إعادة تشكيل للوجه الأمامي والخلفي للترس المستديرة

Cédric Chhadburn, , L'équipement Militaire des Auxiliaires Africains dans l'Armée Romaine, op.cit, p, p7,10.

ت- الدروع :

جاء في معجم المعاني أن جمع درع دروع وأدرع وهو قميص معدني يلبس ليقى صاحبه من ضربات السلاح¹، ومن هنا فهو يعتبر من أهم الأدوات التي بإمكانها توفير الحماية لجسد الجندي خلال الحرب، ولعل أول إشارة لاستعمال الدروع عند الليبيين القدماء هي التي جاءت في نصوص المؤرخ الاغريقي هيرودوت الذي ذكر بعض عادات قبيلة الأوسينز التي سبق وأن أشرنا إليها، والذين كانوا يُلبسون اجمل فتياهن الدرع الاغريقية، ويسترسل في مكان آخر عن أصل تلك العادة قائلاً " ولكني أحسب أنهم كانوا يرتدون الدروع المصرية، ذلك أنني واثق من أن الإغريق أخذوا الدروع والخوذات عن المصريين"².

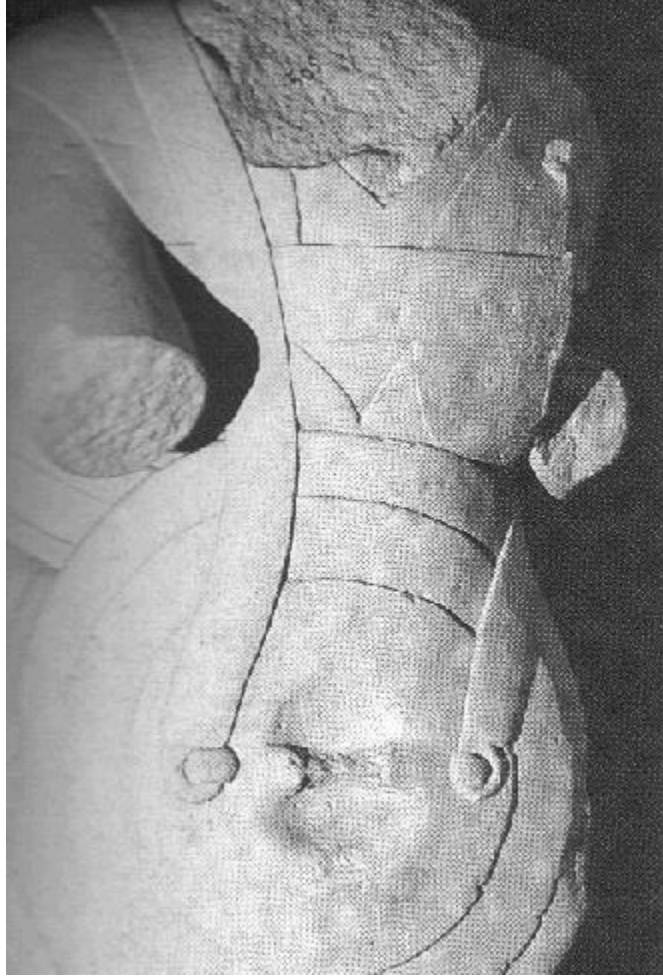
وقد عثر الأثريون بضريح الخروب إلى جانب المقتنيات الحربية الخاصة بصاحب الضريح درع من النوع الزردي ، يرجح غزال أنه مستورد من ايطاليا، غير أننا لو سلمنا بأصلها الايطالي³ فإننا نصطدم في ذات الوقت بآراء بعض المؤرخين الرومان ذاهم ومنهم فارون (Varo) ، الذي يرى أن الرومان تعلموا صناعة الدرع الزردي من السلت الغالين، الذين اشتهروا بصناعة المعادن، وقد أخذ عنهم الرومان الكثير من التجهيزات والعادات بما في ذلك الدروع التي كان ارتداؤها شائعاً عند الرومان، وخاصة وحدات الفرق المساعدة⁴، وفي ذلك اشارة واضحة لعدم موضوعية ستيفان غزال وتحيّزه للرومان حيث الدلائل تدل على أن ذلك النوع من الدروع لم يكن ايطالي المنشأ.(أنظر الشكل(22)،الصفحة130)

¹ معجم المعاني ، المرجع السابق ، اطلعت عليه يوم 2019/06/10م، على الساعة 1:23

²Hérodote, op.cit , liv:VIII,180.

³Stéphane Gsell, H.A.A.N, T:6, op.cit,p54.

⁴ بديع العمر،، الجيش الروماني البري في الفترة الامبراطورية ، ماجستير تاريخ قديم ، إشراف: عبد المجيد حمدان ، جامعة دمشق ، 2010، ص، ص193، 194.



الشكل (22)

صورة لدرع مشدود بواسطة أذرار وأشرطة جلدية

نقلًا عن:

Cédric chhadburn , L'équipement Militaire des Auxiliaires Africains dans l'Armée Romaine, op.cit ,p9.

هناك إشارة مصدرية أخرى على استعمال الدروع عند الليبيين نجدها عند سترابون الذي يذكر أن الليبيين كانوا يضعون على صدورهم دروعاً من جلود الفيلة خاصة المشاة¹، ولعلها كانت منتشرة انتشاراً واسعاً لتوفر مواد صنعها بالمغرب القديم التي تزخر بالتنوع الحيواني.

والحقيقة أن الليبيين لم يستعملوا الجلود فقط في صناعة الدروع، إذ وجد الأثريون بإحدى قبور مدينة المهديّة بتونس رفاة لأحد الليبيين وهو يرتدي درعاً من البرونز أرجعها قزال كعادته إلى الأصل الايطالي، لكن وجود عدة أنواع من الأسلحة المعدنية في النقوش الصحراوية المغربية، وهي الأقدم تاريخياً، تجعلنا أمام حقيقة أخرى وهي: أن استعمال المعادن بالمغرب القديم كان أقدم من التأثيرات الوافدة، وليس كما تُروج له الدراسات الأوروبية، فتلك اللوحات أسقطت كل ما كانوا يروجون له على أن العصور الحجرية بشمال إفريقيا قد استمرت حتى فترة الاحتلال الروماني للمنطقة، حتى يجدوا لهم مكاناً في التاريخ، خصوصاً أن أوروبي اليوم يعتبرون أنفسهم ورثة الرومان والحضارة الرومانية².

3. أسلحة الرمي:

استخدم الليبيون العديد من أسلحة الرمي منها ما استعمل في شكله الطبيعي، ومنها ما أُدخل عليه بعض التغييرات ومنها:

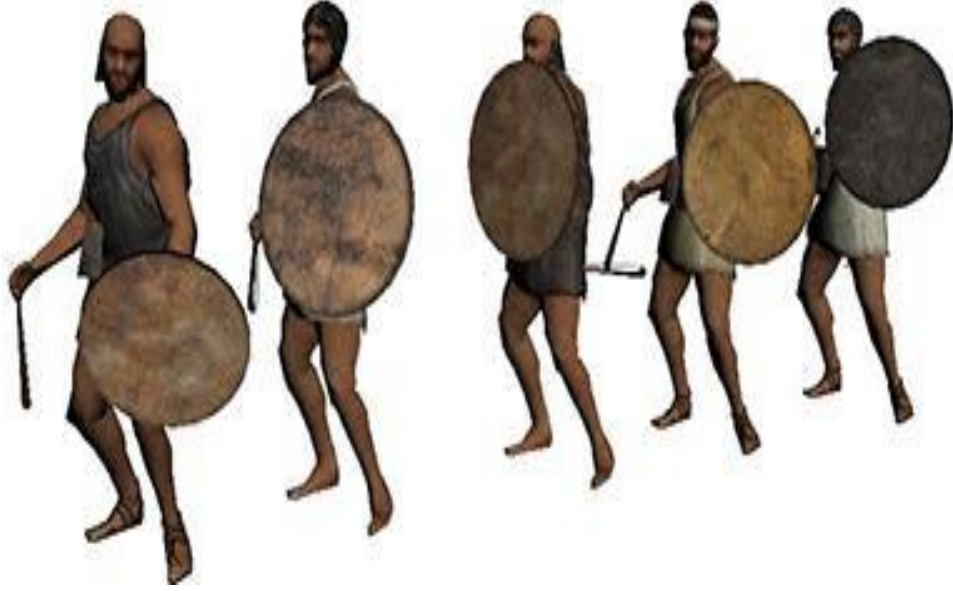
أ- الحجارة :

استعمل الليبيون الحجارة دون إدخال أية تغييرات عليها، ويذكر ديودور الصقلي أن الليبيون كانوا يحملون معهم الجراب وأكياس من الحجارة، وأنهم كانوا ماهرين في رميها³، فكان التراشق بالحجارة من العادات الليبية في الاحتفالات الدينية، فقد نقل لنا غزال عن كوريبوس أن الأحجار التي كان يرميها سكان سدرّة الكبرى (ربما هي سيرت) كانت مرعبة، بل وكالصاعقة. (أنظر الشكل (23)، الصفحة 132)

¹ كامبس غابريال، المرجع السابق، ص 139.

² المحفوظ أسمهر، أهمية الفن الصخري في كتابة تاريخ المغرب القديم وحضارته، أنظر: مجموعة مؤلفين، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا وحضارته، ط 1، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 2007م، ص 172.

³ Diodore de Sicile, Histoire Universelle....., op.cit, liv: XX,



الشكل (23): قاذبي حجر نوميديون

نقلًا عن:

الأمازيغ القرطاجيون والنوميدي، موقع <http://www.tawalt.com/?p=2871>، تاريخ الزيارة: يوم 12-12-2019م، على الساعة 22:30.

ب- البومران (Boumerangs):

هي قطعة خشبية معقوفة استعملها الليبيون القدماء في البداية كأداة للصيد، وتصور إحدى اللوحات المصرية بمقبرة (ختوم حتب) التي تحتوي على رسم لشخص ليبي من التمحو وهو يحملها، كما استخدمت هذه الأداة أيضاً في الحروب لاستهداف العدو، إذ يظهر أحد الجنود من المرتزة الليبيين بجيش أمنحاتب الرابع (أخناتون) وهو يحمل البومران¹، والظاهر أنها كانت وسيلة مهمة عندهم، إذ كانوا ينتقلون بها أينما حلوا ويحملونها في هجراتهم كما يظهر في اللوحات المصرية². (أنظر الشكل (24)، الصفحة 134).

وتشير الأستاذة أم الخير العقون أنها أصبحت فيما بعد تستخدم كرمزاً في الكتابة المصرية القديمة، وظهر هذا الرمز على لوحة ليبيا للإشارة إلى الليبيين، كما وجدت هذه الأداة مرسومة في الكثير من مواقع الرسوم الصخرية، وخاصة بمرتفعات الصحراء الوسطى³، ونجد في النصوص الأدبية إشارة إلى استعمالها أيضاً، ففي رواية لسليوس ايطاليكوس نقلها عنه غزال مفادها أن قبيلة الماسينز (Maces) كانوا يحملون في أيديهم سلاحاً محذباً يستعملونه في الرمي (Cateia)، ويُرجح أنها البومران.

ت- المقاليع (Frondes):

استعمل الليبيون المقاليع في حروبهم، ويذكر غزال أن زُمة المقاليع كانوا ضمن جيوش يوغرطة لمساندة الرومان في إسبانيا لمحاربة نومنصا⁴، وقد كان المشاة الليبيون تحت قيادة هسدروبال سنة 206 ق.م يتقدمون ويحملون المقاليع، وكانوا يُسمون بالضارين بالمقلاع ومكانهم في الجيش هو القلب، ومن الواضح أن الليبيون كانوا بارعين في قذف الحجارة بالمقاليع⁵.

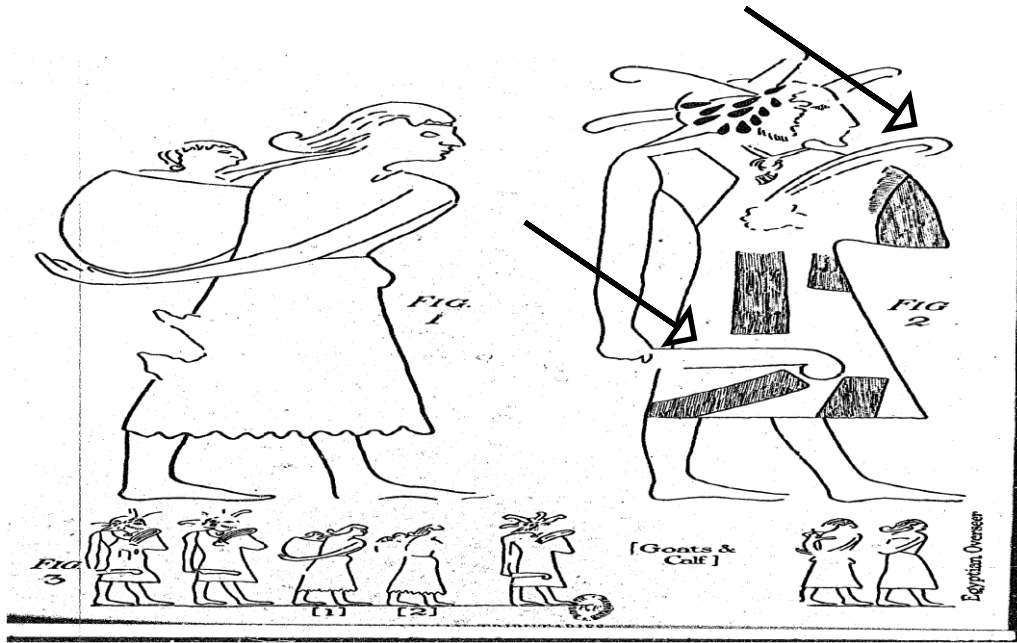
¹ أم الخير العقون ، نماذج عن تطابق الآثار المصرية والرسوم الصخرية بالصحراء حول تاريخ المغرب القديم، المرجع السابق ، ص99.

² Oric Bates, The Eastern Libyans, Macmillan and Co., London, 1914, p131.

³ أم الخير العقون، نماذج عن تطابق الآثار المصرية والرسوم الصخرية بالصحراء، المرجع السابق، ص-ص 99-109.

⁴ أصطيفان أكصيل، ج6، المرجع السابق، ص، ص 42، 43.

⁵ الناجي منصور الحربي، المرجع السابق، ص136.



الشكل (24)

أسرة ليبية في طريقها نحو مصر يُلاحظ الرجل وهو يحمل البومران

نقلًا عن:

Oric Bates, op.cit , p130

ويُرجحُ غزال أن استعمال الليبيين للمقاليع يعود إلى الفترة القرطاجية، بدليل العثور على قذائف من الطين المشوي في آثار المدن القرطاجية، غير أن الراجح هو أن الليبيون قد عرفوه قبل ذلك، وأن الليبيون الرعاة كانوا يستعملونه في توجيه غنائمهم وماشيتهم.

ث - المنجنيق :

وردت الإشارة إلى استعمال المنجنيق خلال استيلاء الرومان بقيادة ماريوس على مدينة أوتيكّا، ابن عمّد القرطاجيون إلى المنجنيق الذي نَصَّبوه لحماية مدينتهم فراحوا يُلقون به الكرات المعدنية والأثقال والأحجار لمئات الأمتار على العدو، مما مكّنه من الصمود لما يقرب عشرون يوماً قبل انهزامهم وطلبهم للصلح، الذي اشترط فيه ماريوس على القرطاجيين تسليم جميع أسلحتهم و300 من الشباب كرهائن، إلى جانب استيلائه على 2009 منجنيق، وربما كان الليبيون ضمن من أُسر من أجل قرطاجة¹.

ويظهر أن الليبيون قد استعملوا إلى جانب الأسلحة الحربية السابق ذكرها وسائل أخرى لتنظيم صفوف الجيش، وتقديم الإشارات وإعلان بداية المعارك كالأبواق مثلاً، إذ عثر على بوق مزخرفة من بين الأدوات الحربية لدفين ضريح الخروب يعتقد أن ماسينيسا كان قد استخدمها لتشتيت انتباه الفيلة القرطاجية في معركة زاما² (أنظر الشكل (25)، الصفحة 136)، كما حمل الليبيون الرايات أيضاً، ففي رواية لسيلبيوس ايطاليكوس كلاودين عن حرب جيلدون يُذكر أن الرومان أثناء حروبهم ضده - سنتحدث عنه في الفصل اللاحق - كانوا قد ألقوا القبض على من كان يحمل الراية فأشاعوا الخبر أن جيلدون قد استسلم³.

¹ الناجي منصور الحربي المرجع السابق، ص 143.

² أحمد السليمان وآخرون، المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في الجزائر، المرجع السابق، ص 313.

³ Silius Italicus Claudien, ouvre complétés, sur la guerre conter Gildon, trad: M.

Nisard, Firmin-Didot, et c, Paris, p1.

<http://remacle.org/bloodwolf/poetes/clauidien/gildon.htm>



الشكل (25)

بوق نوميدي عثر عليه بضريح الخروب بقسنطينة

نقلًا عن:

Keltoum Kitoni Daho et autre, op.cit, p109.

إلى جانب ذلك كان الجندي الليبي يحمل معه عند خروجه للحرب قربة من الماء لتحفظ له الحياة، وقد جاء في لوحة تُخلد انتصار الفرعون مرنبتاح على الليبيين ما يلي: "أن الليبيين ولوا ملقين بقراب الماء التي كانت معهم على الأرض، وأنه من سوء حظ رئيسهم سقوط الريشة من على رأسه وفراغ قريته من الماء الذي يحفظ له الحياة"، فوجود القربة مع المحارب الليبي كان في ذلك الوقت أكثر من ضرورة لُبعد المسافة بين أرض لوبا وبلاد النيل¹.

وهكذا نرى بأن الأسلحة الليبية النوميديّة شهدت تطوراً متبايناً فرضته الظروف من أسلحة بدائية في العصور الحجرية إلى أسلحة متطورة ذات فعالية وقدرة كبيرة أثناء القتال، ولا شك أن ذلك حدث تباعاً بعد خوضهم لعدة معارك واحتكاكهم بمختلف الجيوش، فكان لزاماً عليهم تطويرها بما يتناسب وأساليب القتال آنذاك.

4. الحيوانات المستعملة في الحروب:

استعان الليبيون إلى جانب أسلحة الدفاع والهجوم والرمي بالحيوانات كالأحصنة والفيلة والجمال، وفيما يأتي تفصيل ذلك.

أ- الحصان :

يرى بعض الباحثين أن الحصان حيوان أجنبي عن حيوانات شمال إفريقيا، وأنه دخلها إما من جهة الشرق (مصر) أو عبر مضيق جبل طارق (أوروبا)²، غير أن الدراسات الأثرية تفند تلك الآراء، إذ عثر سنة 1980م على بقايا عظمية لحصان يعود تاريخها إلى 40 ألف سنة قبل الميلاد، وعثر على أخرى تعود للعصور الحجرية القديمة (الحضارة الوهرانية والعاترية) أي حوالي 30000 سنة قبل الميلاد³، كما وجدت صورة الحصان بوضعيات مختلفة في كهوف التاسيلي والأهقار، ويذكر المؤرخ الاغريقي هيروdot أن الجرمانت الليبيون استأنسوا الحيوانات منذ عصور سحيقة، وكانوا يمتلكون حيوانات كثيرة بما فيها الخيول التي استخدمت في جر العربات التي تجرها أربعة خيول لمطاردة الإثيوبيين⁴.

¹ أم الخير العقون، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية، المرجع السابق، ص92.

² فتيحة فرحاتي، نوميديا من حكم غايا إلى الاحتلال الروماني، منشورات أبيك، 2007، ص225.

³ الربيع عملي، التجهيزات العسكرية للقوات المساعدة النوميديّة والموريطانية في الجيش الروماني، مجلة الحوار الفكري، الع:11، الجزائر، ص41.

⁴ هيروdot، المصدر السابق، ص366.

والحقيقة أن الليبيين أولوا اهتماماً بليغاً بتربية هذا الحيوان، فقد كانوا يقيمون له يوماً مخصصاً لغرض التعشير ويحضره الملك ذاته بغرض الحفاظ على نسلها وزيادة عددها، وهو ما صرح به المؤرخ الإغريقي بوليب أثناء حديثه عن خيرات بلاد ليبيا "إن إفريقيا بلد مثير للإعجاب، ولا يوجد لها مثل في العالم، فهي مليئة بالكثير من الخيول والثيران والاعنام والماعز، وسكانها يتغذون على حيواناتهم بشكل أساسي....."¹.

وتسجل لنا المصادر التاريخية أن الخيول كانت محل اهتمام من طرف الأقاليد النوميدي فكانوا يخصصون يوماً سنوياً لإحصاء المهار التي كانت تبلغ في معظم الأحيان مائة ألف²، كما كانت مدينة سيرتا لوحدها في عهد ماسينييسا تستطيع تجهيز عشرة آلاف (10.000) فارس، وهي رهن إشارة الملك في أي وقت³، إذ تذكر المصادر التاريخية أنه زود الإغريق خلال حرب مقدونيا بعدد معتبر من الخيول، كما زود روما سنة 200 ق.م بألف فرس لمشاركتها في حربها ضد الملك فيليب المقدوني، ومائتي فرس أخرى عام 198 ق.م، وحوالي خمسمائة فرس في سنة 191 ق.م لتعزيز صفوف الجيش الإغريقي الذي كان يحارب أنتيوشوس ملك السلوقيين، وألفٍ أخرى تحت قيادة ابنه ميساجان (Misagene) لمساعدة القوات الإغريقية في حربها ضد برسيس (Perses) ابن فيليب الخامس ملك مقدونيا سنة 171 ق.م⁴.

كانت ممارسة الفروسية عادة معروفة عند الليبيين، إذ يجري التدريب على امتطائها منذ الصغر، وقد جاء في المصادر التاريخية أن الليبيين كانوا متمرسين في ركوبها بدون سرج، وأنهم يكتفون بشدها بواسطة حبل صغير فقط قصد توجيهها⁵، ونظراً لحاجة الملوك لها في أوقات الصيد والحرب فقد ظهرت صور الحصان على عملات الملوك النوميدي كما ماسينييسا، وغلوسة، وأذربعل، وهيمصال الأول والثاني بوضعيات متنوعة أكثرها يظهر في حالة العدو، وقد تظهر صورة حصانين معاً على

¹ Polybe, Histoire Générale, op.cit, liv:XII,3.

² Ouiza Ait Amara, Le cheval et le cavalier numides, La Statuette de Canosa, comite des travaux historique et scientifiques 2018, p1, WWW.openedition.org

³ Stéphane Gsell, T: 5, op.cit, p181.

⁴ خالدية مضوي، أضواء على العلاقات التجارية الأورو متوسطية خلال النصف الأول من القرن الثاني ق.م (قسنطينة وضواحيها نموذجاً)، مجلة كان التاريخية، الع:13، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2011، ص88.

⁵ Strabon, op.cit, liv: XVII, 3,7.

عملة واحدة كتلك التي عُثر عليها بروسياكاد محفوظة بمتحف سيرتا بقسنطينة¹. (أنظر الشكل (26)،
الصفحة 140)

تميز الحصان الليبي بالسرعة فكان قادراً على المنافسة وتحقيق الفوز في السباقات، فهذه خيول الملك مسطنبعل وهو أحد أبناء الملك ماسينيسا تحقق الفوز في سباق الخيول التي أقامتها روما سنة 168 ق.م و164 ق.م²، كما عُثر في مقبرة بطرابلس الليبية سنة 1920م على صورة تجسد سباق الخيول ورجل يحمل كأساً ليمنحه للفائز³.

ومن مميزات الحصان الليبي أيضاً الحيوية والنشاط فكان في حالة تأهب دائم⁴، إضافة إلى صبرة وتحمله للعطش والجوع والتعب، كما كان يأكل العشب ولا يشرب إلا نادراً، وترويضه سهل ويمكن للأطفال أن يمتطوه بسهولة⁵. أما بالنسبة لشكل الحصان النوميدي فيتميز برأسه القوي وجبهته المحدبة، وخذة القوي وشفته الرقيقتان وفمه الصغير، وأذناه مستقيمتان وخط عنقه المستدير والعريض وقامته القصيرة التي تبلغ 1.50م، وهو بذلك يعكس المظهر العام للحيوان القوي⁶، وأقرب السلالات للحصان النوميدي هي سلالة دونغولا (Dongola) التي توجد قرب نهر النيل السوداني اليوم، وقد أطلق الرومان على حصان شمال إفريقيا اسم (Equus Caballus Barbarus) وسماه الأوروبيون بارب (Barbe)⁷.

¹ Keltoum Kitoni Daho et autre , op.cit,(p, p,p,)(140,142,143).

² Stéphane Gsell, T:5, op.cit,p182.

³ أنيس أبو ميس وآخرون تحت الأرض أسرار وخفايا ، مجلة ليبيا، يناير ، 2016، ص10متوفر على :

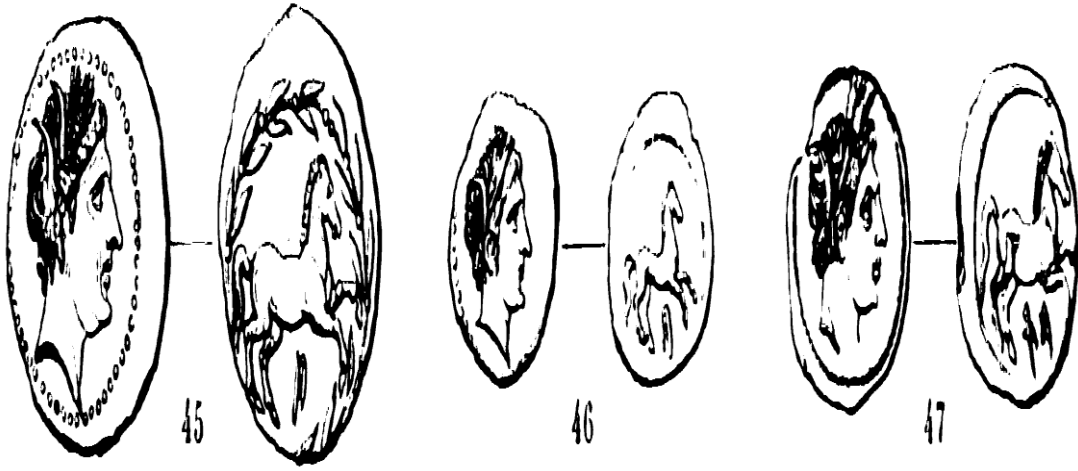
WWW.HISTORY.LY

⁴ M. Frédéric Lacroix, Afrique Ancienne, Riv. Afri, T:14, 1870, op.cit , p35.

⁵ Ouiza Ait Amara, Le Role de Massinissa dans la Deuxiem Guerre Punique, op.cit, p177.

⁶ Ouiza Ait Amara, Le Cheval et le Cavalier Numides, op.cit, p1.

⁷ Lassere J.M), « Barbe », *Encyclopédie berbère* ,N: 9 ,1991, 01 décembre 2012, P,P2348, 2360.



الشكل (26)

عملة للإقليد هيمصال الثاني ويظهر على أحد وجهيها الحصان في حالة عدو

نقلًا عن :

C.T. Falbe, J. Chr. Lindberg, L. Muller, op.cit, p38.

كانت تلك المميزات سبباً في استعانة القرطاجيين والرومان بالفرسان النوميدي في حروبهم، فقد أصطحب حنبعل فرقة من الفرسان النوميدي معه في حروبه ضد روما¹، كما جندهم ماسينييسا وقسمهم لأفواج، وجند منهم يوبا الأول أعداداً كثيرة في حربه ضد الرومان خلال الحرب الأهلية بإفريقيا²، وفي عهد الامبراطور تراجان ارتبطت انتصارات روما في حروبها ضد داكيا (Dacie) بالقائد البربري لوسيو كيتوس (Lusius Quietus) ووحدة الفرسان التي كان يقودها، والتي حظيت بالترسيم بنقشها على عمود تراجان، كما منح لقائدها لوسيو كيتوس لقب القنصل وعينه حاكماً على ولاية فلسطين ومسؤولاً عسكرياً على كل مقاطعات روما في الشرق، ولدوره البارز في إخماد حركة تمرد اليهود عام 117م اطلق على تلك الحرب اسم (حرب كيتوس)، بل ويُذكر أن تراجانوس كان يسعى لتوريثه منصب الإمبراطور، لولا تدخل زوجته لتنصيب هادريانوس الذي دبر للتخلص من منافسه كيتوس³.

استعمال الأحصنة في جر العربات الحربية :

ظهرت العربات الحربية كأحد الأسلحة التي أحدثت انقلاباً وتطوراً كبيراً في فنون الحرب، وقد أثار موضوع العربات الحربية بشمال إفريقيا جدلاً كبيراً بين المؤرخين خاصة حول أصولها، فرأى الفريق الأول أن أقوام شماليه (كريتية) هم من نقلوا إلى شمال إفريقيا الأسلحة والدرع والعربة، ومن القائلين بهذا الرأي المؤرخ بيتس (Oric Bates) الذي يرى أن العربة الليبية هي تقليد فقط للعربة الكريتية، ويرى الفريق الثاني أن الليبيون عرفوا العربات بفضل احتكاكهم بالمصريين⁴ الذين اقتبسوها بدورهم في نهاية أحداث حرب التحرير ضد الهكسوس وأدخلوا عليها بعض التقنيات.

¹ Tite Live, op.cit, liv: XXX,11.

² Stéphane Gsell, H.A.A.N, T:5, op.cit,p181.

³ محمد الحبيب بشاري، أوضاع الامبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن 4م، ثورة جيلدون 397-398م، مجلة الإتحاد العام للأثاريين العرب، الع:13، الإتحاد العام للأثاريين العرب والمجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية، القاهرة، 2012م، ص254

⁴ رضا بن علال، تقنيات كدن العربات في الرسومات والنقوش الصخرية، أنظر: مجموعة مؤلفين، بحوث ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، المرجع السابق، ص78.

وهناك من يعتقد أن العربات الليبية كانت ثمينة وباهضة، وبالتالي لا يمكن أن تكون محلية أصيلة بالمنطقة، وربما كانت هدايا قدمها المصريون لليبيون لكسب ودهم¹، ونصطدم في نصوص هيروdot برواية أخرى تفند الآراء السابقة مفادها أن الليبيون هم من علّموا الإغريق استعمال العربات التي تجرها الخيول².

غير أننا وبالرجوع لنتائج الأعمال الأثرية فإننا نجد أن العربات الحربية ظهرت في الرسوم الصخرية ومنذ العصور القديمة³ ببلاد ليبيا وآدرار ومالي والنيجر. كما تشهد آثار مدينة هابو أن الفرعون رمسيس الثالث كان قد غنم من حربه الثانية ضد القبائل الليبية بزعامة المشوش 92 عربية و184 حصان، مما يعني أن زوج من الخيول كان يستعمل لجرها (النوع المزدوج)⁴، كما كانت حاضرة في الأدبيات المصرية التي تحدثت عن الهجومات الأجنبية التي تعرضت لها مصر، ومنها القبائل الليبية وحلفائها من شعوب البحر. (أنظر الشكل(27)، الصفحة143)

يذكر المؤرخ هيروdot أن الجرمنتيون استعملوا العربات التي تجرها أربعة جياذ في مطاردتهم للأثيوبيين الترحلوديون سكان الكهوف⁵، لما كان يتمتع به هؤلاء الأخيرين من سرعة في الركض⁶، والظاهر أن استعمالها لم يكن مقتصر على الجرمنتيون لوحدهم فقد ذكر ذات المؤرخ أن قبيلة الأسبستاي الليبية كانوا يركبون العربات التي تجرها أربعة أحصنة⁷.

¹ أم الخير العقون، نماذج عن تطابق الآثار المصرية الرسوم الصخرية بالصحراء حول تاريخ المغرب القديم، أنظر: مجموعة مؤلفين ، بحوث ودراسات في التاريخ والآثار القديمة ، المرجع السابق، ص108.

² هيروdot، تاريخ هيروdot، المصدر السابق، ص366.

³ بوفيل ، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، تر: الهادي بولقمة ، محمد عزيز ، جامعة قارونس 1988 ، ص49

⁴ أم الخير العقون ، من مصادر تاريخ المغرب القديم ، الرسوم الصخرية والآثار المصرية، كتب كراسك 2016 ،

⁵ <https://ouvrages.crasc.dz> ، ص1.

⁶ نلمس في تصريح هيروdot تناقض واضح في قضية تحضّر الجرمنتيون، فنجد تارة يطلق أحكاماً مطلقة، إذ ذكر في إحدى فقراته أن الجرمنتيون أقوام منعزلون ولا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم، وليست لديهم أية وسيلة يدافعون بها عن أنفسهم، ثم يذكر بعدها أنهم استعملوا العربات في مطاردة الأثيوبيين وهي ضمن الدفاع عن الأرض. أنظر: هيروdot، المرجع السابق ، ص362.

⁷ محمد سليمان أيوب ، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية ، ط1، دار المصراقي ، ليبيا، 1969، ص37.

⁸ تشارلز دانيلز، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، تر: أحمد اليازوري، ط1، دار الفرجاني، ليبيا، 1974، ص12



الشكل (27)

عربة تجرها الخيول من الرسوم الصخرية للطاسيلي

نقلًا عن:

سليم سعيدي، الحصان النوميدي من خلال المصادر المادية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، مج:6، الع:3، جامعة الجزائر، 2018م، ص72.

كما أن نساء قبيلة الزويكس كن يقدن العربات القتالية، ومن عادت شعب الأوسينز حمل أجمل فتاة بقبيلتهم في عيد أثينا في عربة والدوران بها حول البحيرة الموجودة بموطنهم¹.

أما عن استعمالات العربات الليبية فيرى البعض أنها لم تستعمل في المعارك والحروب، إذ أنها تظهر في معظم المشاهد يمتطيها شخص واحد، في حين يتطلب أمر الحرب رجالان على الأقل يتكفل الأول بالتوجيه والثاني بالمواجهة²، وبالتالي كانت أداة للنزهة لا الحرب³، بينما يرى ستيفان غزال أن الليبيين استعملوا العربات في دورين أساسيين، الأول حربي، والثاني اقتصادي⁴، ويبدو أن ذلك صحيح لأن رسوم العربات وجدت متسلسلة على طول الطريق الصحراوي الذي يربط المتوسط بالنيجر، وهي الطريق التي كانت تسلكها القوافل التجارية مروراً بالسيرت والسودان وليبيا مما يؤكد دورها الاقتصادي، كما أن مشاهد الطاسيلي (وادي جرات) تصور إلى جانب سائق العربة رماح منتصبه عمودياً، وفي بعض الحالات نجد رُحمين، مما يعني أنها كانت تستعمل في الصيد والقتال.

ومن الدلائل على استعمال العربات الحربية عند الليبيين النصوص المصرية واللاتينية القديمة التي أشارت إلى استعمال الليبيين للعربات القتالية، ومنها إشارة سيليوس ايطاليكوس الذي ذكر في مؤلفه عن الحرب البونية أن نساء قبيلة الأستب كن يقدن العربات القتالية التي تجرها زوج من الخيول في المعارك، ولذلك نجده يُشبههن بالأمازونيات⁵، كما أن قبائل الجيتول كانوا يستعملونها كبيوت لهم⁶.

ويلاحظ أيضاً أن القرطاجيين والليبيين كانوا يستخدمون العربات في حروبهم، وذلك ما يؤكد ديودور الصقلي الذي ذكر أن الإغريقين بقيادة أغاثوكليس استعملوا العربات الليبية في حروبهم ضد

¹ هيروdot، تاريخ هيروdot، المصدر السابق، ص368.

² Picard Gilbert, Images de Chars Romains sur les rochers du Sahara , comptes rendus des séance de l'académie des inscriptions et Belles –lettres, N^o :1, année 102, 1958, p46.

³ Camps Gabriel, Les Chars Sahariens, Images d'une Société Aristocratique, Anti. Afri, N:25, 1989, p-p11-40.

⁴ محمد الطاهر العدواني ، الحروب والأسلحة في عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ، المرجع السابق، ص249.

⁵ Silius Italicus Claudien, op.cit, liv:2.

⁶ الناجي منصور الحربي ، المرجع السابق، ص156.

قرطاجنة¹. وإلى غاية العهد الروماني ظل المغاربة القدماء يمتطون العربات التي تجرها الخيول، والتي كانت حاضرة وبقوة في ميادين السباق التي كانت تنظمها السلطة الرومانية، ومن أشهر القبائل الليبية التي كانت تشارك فيه هي قبيلة الجرامنت، وغالباً ما كان الفوز من نصيب الليبيين، وتمت مكافأته مادياً كسكوربيانوس (Scorpionianus) الذي أصبح ثرياً بفضل نجاحاته².

والحقيقة أن التسليم بمحلية العربات الليبية واستعمالها في الحروب وارد لتعدد الإشارات إليها في المشاهد الطبيعية الصحراوية الواسعة الانتشار، والتي تشهد بما لا يدع مجالاً للشك على امتلاك الليبيين القدماء إلى إحدى وسائل النقل الأكثر تطوراً في ذلك الوقت والتي لعبت دور الدبابات في عصرنا الحالي في الحروب والمعارك، ووسيلة مهمة في نقل البضائع والسلع.

ب - الفيل :

تصور لنا النقوش الصخرية بالتاسيلي ناجر صوراً دقيقة للفيل الليبي القديم³، فقد كانت تعيش ببلاد ليبيا العديد من الحيوانات كالأفاعي والأسود⁴، وحسب بليني فإن الفيلة فيها كانت بأعداد كثيرة خصوصاً ما وراء صحراء السيرت وموريطانيا، أين تنحدر قطعان من الأفيال على حافة نهر (أميلاس)⁵. ويتميز الفيل الليبي عن الهندي بالذكاء، فقد ذكر سولين أنه كان يشبه الإنسان في ذكائه⁶، كما تميز بجلده السميك الذي استخدمه الليبيون في صناعة الدروع الواقية⁷، وله أنياب ذات طابع مميز استعمل عاجها في صنع إطارات الأبواب وأقفال الاسطبلات .

وقد كانت مادة العاج محل طمع عند الرومان، فكانوا حريصين على اقتنائها واستعملوا كل السبل لأجل ذلك، حتى أنهم كانوا يتخلصون من الفيل لذلك الغرض، وهذا ما يفسر الاختفاء المفاجئ لحيوان الفيل في بلاد ليبيا مباشرة مع بداية التاريخ المسيحي للمنطقة، وفي ذلك يذكر

¹ Diodore Sicile, Histoire Universelle, op.cit, liv: XX.

² عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 318.

³ إبراهيم العيد بشي، مدخل إلى تاريخ حضارات بلاد المغرب القديم، زاد الطالب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 49.

⁴ Strabon, op.cit, liv: XVII.

⁵ Pline L'Ancien, op.cit, liv: VIII.

⁶ Julius Solin, Polyhistor, trad: M.A. Agnant.C.L.F, Pankouke, 1847, liv: XXVI

⁷ Stéphane Gsell, H.A.A.N,T: 5, op.cit, p, p 170,171..

الاستاذ قوتبيه" لقد قتلت الحضارة الأوروبية تلك الدجاجة التي تبيض ذهباً من أجل ملذاتها" ولولا الانسان لكانت غابات الجزائر والمغرب تعج بالفيلة¹.

اهتم النوميدي بالفيلة كثيراً لأهميتها في حياتهم الاقتصادية ولدورها العسكري الهام، فظهرت صورته على عملات العديد من الملوك النوميدي كماسينيسا ويوغرطة ويوبا الأول ويوبا الثاني² الذين اهتموا بتربيتها وبنظام حياتها، وعوائدها وموتها ودفنها، فقد كانت حاضرة إلى جانب الملك في حروبه، لما لها من وقع شديدة على نفوس الأعداء بما تبثه من ذعر وخوف في صفوفهم. وقد ذكر أبيان أن القائد حنبعل عبر جبال البرانس ومعه تسعون ألف من المشاة، وحوالي ألف ومائتين من الفرسان، وسبعة وثلاثين فيلاً فعبر بهم جبال الألب نحو روما³، وفي ذات السياق قدّم المؤرخ ارماند الرقم 714 في احصائه لتعداد الأفيال التي استعملت في الحرب بالمغرب القديم⁴، (أنظر الجدول(2)، الصفحة143) وقد أشادت المصادر التاريخية بالحنكة العسكرية للقائد حنبعل ودور الفيلة الليبية في تحقيق النصر له في المعارك التي خاضها حتى صار سقوط روما قاب قوسين أو أدنى. في الغالب كانت توضع الفيلة في الخط الأمامي أو مقدمة الجيش لإثارة الرعب وتفكيك تنظيم جيش قوات العدو، وارغامهم على الفرار بعد بداية عملية الدهس في ساحة المعركة، ولزيادة الرعب في صفوف الخصم كان القرطاجيون يلبسون فيلتهم قطعاً مختلفة من الألوان، وكان سائق الفيل يرتدي هو الآخر لباس ارجواني، وهي نفس الخطة التي استعملها القرطاجي حنبعل والنوميدي يوبا الأول في معركة تابسوس ضد قيصر روما، ويذكر غزال أن يوبا الأول ذكر أن الفيلة كانت قد استعملت قبله أربعمئة مرة⁵.

¹ أ.ف. غوتبيه، ماضي شمال إفريقيا. تر: هاشم الحسيني، مؤسسة تالوت الثقافية، 2010، ص- ص89-95.

² H. Camps-Fabrer, Ivoire, encyclopédie berbère, N°:25, 2011, Aix-en-Provence, p4, <http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/1456> متوفر على

³ Appien, La guerre d'Hannibal, liv:I,4.: متوفر على

<http://remacle.org/bloodwolf/historiens/appien/hannibalique.htm>

⁴ محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع.....، المرجع السابق، ص20.

⁵ أصطيفان أكصيل، ج8، المرجع السابق، ص237.

عدد الأفيال	الحرب التي أستعملت فيها	فترة الحرب
140	الحرب البونية الأولى	241-264 ق.م
170	حرب الجند المأجور	237-241 ق.م
20	حرب أسدروبال في إسبانيا	221-228 ق.م
140	الحرب البونية الثانية	201-218 ق.م
80	معركة زاما	202 ق.م
44	الحرب الرومانية النوميديّة (يوغرطة)	105-111 ق.م
120	يوبو الأول حليف البومبيين ضد قيصر (حرب إفريقيا)	46-47 ق.م

الجدول (2)

جدول يمثل تعداد الأفيال التي استعملها النوميدي في حروبهم

نقلاً عن:

محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 23.

أما من ناحية العتاد الحربي فإن الفيلة لعبت دور العربات المصفحة لدى الجيوش الحديثة هذا في الدفاع، وكانت في الهجوم تلعب دور المشاة الثقيلة، وتُعلّق عليها قطع معدنية لإحداث أصوات ترعب العدو، وتنصب فوقها القلاع التي تحمل الرماة والمقلّعين¹. وفي عهد ماسينيسا ساهمت الفيلة النوميديّة في العديد من المعارك الخارجية، إذ أرسل عشرة منها عام 198 ق.م للمشاركة إلى جانب الرومان في حروبهم ضد الإغريق، وحوالي عشرون فيلاً سنة 191 ق.م لتعزيز الجيش الإغريقي ضد المملكة السلوقية، وزود الرومان باثنتا عشرة فيلاً سنة 170 ق.م وعشرة أخرى لمساعدة القنصل الروماني في إسبانيا².

وتجدر الإشارة أن الرومان كانوا قد مارسوا كل الطرق لمجابهة الفيلة بالهجوم عليها تارةً وقطع خرطومها كما يذكر صاحب "الحرب الإفريقية"، أو مهاجمتها بواسطة جنود مسلحين بأسلحة مزودة بالمسامير لا تترك للأفيال أية فرصة لحماية خرطومها، كما استعملوا المقاليع لرمي الحجارة لكسر الأبراج التي كانت تنصب فوق الفيلة وتحمل الجنود³.

إلى جانب الدور الحربي لعبت الفيلة الليلية دوراً ترفيهياً أيضاً، فكانت حاضرة في السرك سنة 79 ق.م وهي تتصارع مع الثور، كما لوحظت في الاحتفالات التي أقامها بومي سنة 55 ق.م والتي حشد لها 410 نمرًا، ونحو 600 أسد، و20 فيلاً لتتصارع مع الجيتولين حملة الرماح لما تميزوا به من شجاعة، كما ظهر قطيعان من الفيلة بكل قطيع عشرون فيلاً مرة أخرى في ملعب المصارعة مع 400 أسد في الاحتفالات التمجيدية ليوليوس قيصر سنة 46 ق.م، والتي أقامها بمناسبة انتصاره في حرب إفريقيا⁴. كما يذكر بلوتارك أن بوميوس بعد نهاية مهمته العسكرية في إفريقيا كان يخرج في رحلات صيد للاستمتاع بصيد الأسود والأفيال، واستعملها في جر عرته بدلاً من الحصان⁵.

وإضافة للدور الترفيهي، استخدمت الفيلة أيضاً كضريبة تدفع للرومان، فقد اشترط الرومان على يوغرطة أن يدفع لهم مقابل الهدنة ثلاثون فيلاً نوميدياً⁶، بالإضافة للماشية والخيول ومبلغ من

¹ محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص 195.

² خالدية مضوي، المرجع السابق، ص 88.

³ محمد العربي عقون، حملة يوليوس قيصر على إفريقيا وكفاح يوبا الأول، ط 1، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص 85.

⁴ Stéphane Gsell, T: 5 ,op.cit, p171.

⁵ محمد العربي عقون، حملة يوليوس قيصر المرجع السابق، ص 85

⁶ Sallust, op.cit, XXIX.

المال، ولاشك أن هذا ساهم في إفنائها أيضاً من المغرب القديم في أطار ما يطلق عليه ارمندي (Armandi) سياسة الإفناء الممنهج¹، الذي مثلت فيه بلاد ليبيا دور مظمورة روما من القمح ومصدر الحيوانات اللازمة لعروض المسارح والسيرك في روما²، وتذكر المصادر التاريخية أن ميتلوس نقل من ليبيا حوالي مائة واثان واربعون فيلاً على طوافات مدعمة بالبراميل إلى روما، وأن الكثير منها أطلق عليهم الرومان الرماح في السيرك لأنهم لم يعرفوا كيفية التعامل معها³.

ت - الجممل:

تختلف الآراء حول زمن ظهور الجممل في منطقة شمال إفريقيا، إذ يرى "قوتيه" أن الجممل ظهر بشمال إفريقيا القديم في القرن الثالث والرابع للميلاد، وأن الفرق الرومانية المساعدة من السوريين هي التي أدخلته، وتبناه البدو الرحل من الليبيين عند إصابة بلادهم بالجفاف، ويذهب ستيفان غزال وتيسوت (Tissot) إلى نفس الرأي⁴، بينما يرى الرحالة هنري بارث أن الجممل كان موجوداً منذ عهد الملوك النوميدي، لكنه انتشر على نطاق واسع في القرن الرابع للميلاد، وفي سنة 200م كان راكبوا الجمال من الجرامنت يمولون حصن بونجم (Bunjem) حيث عم الجفاف كل المنطقة مما أدى إلى التخلي عن استعمال الخيول بالصحراء⁵.

ويرى فريق ثالث أنه دخل للمنطقة عن طريق مصر، ومنها انتقل إلى قورينا والمدن الثلاث ببلاد ليبيا، وانتشر على نطاق واسع في الألف الأولى، ثم عمّ استخدامه خلال القرن الثالث للميلاد⁶، غير أن انتشار صورته في كامل أنحاء الصحراء الغربية والطاسيلي والحقار وفزان، والتي تعود للألف الثانية قبل الميلاد تجعلنا نورد رأي آخر وهو أن الجممل حيوان محلي وأصيل بالمغرب القديم، ومن الممكن أن

¹ Armandi .p, Histoire Militaire des Eléphants, librairie d'Amyot, Londres, Paris, 1843, p1.

² الحسن بودرقا، المجال والتاريخ مساهمة في تاريخ شمال إفريقيا القديم، أنظر: مجموعة مؤلفين، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا والمغرب القديم، المرجع السابق، ص70.

³ Plin L'Ancien, op.cit, liv: VIII.

⁴ Emilienne Demougeot, Le Chameau et l'Afrique du nord romaine, Annales, Economies, Sociétés, Civilisation, N: 2, Année: 15, 1960, p83.

⁵ لخضر بن بوزيد، الجممل في ما قبل التاريخ الشمال الإفريقي، مجلة علوم الانسان والمجتمع، الع: 6، جامعة بسكرة، جوان 2013م، ص، ص93،94.

⁶ أحمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، المرجع السابق، ص150.

يكون قد انقرض في فترة معينة ثم عاد للظهور في النيوليتي بالشرق الأدنى، واستأنس هناك خلال الألف الثالثة قبل الميلاد.

يرتبط الجمل ببلاد ليبيا بقبيلة الجرمانت الذين كانوا يستخدمونه في تنقلاتهم قبل استعمال الأحصنة، ويذكر المؤرخ اميليان ديموجو أن الجمال كانت موجودة بالمغرب القديم وبأعداد كثيرة، وأن قطعان الإبل الصغيرة كانت تحظى باهتمام الملوك النوميدي، وبنهاية الحرب الأهلية بإفريقيا عام 46 ق.م استولى قيصر على اثنين وعشرين جملاً كانت ملكاً للملك النوميدي يوبا الأول بمدينة زيتا الصغرى (جنوب شرق سوسة)، وهي المنطقة التي أودع فيها بومبي وحليفه يوبا الأول مؤنتهم¹.

والحقيقة أن الليبيون كانوا يسخرون الجمال لتنقلاتهم ومعاركهم، فقد شوهد الانسان القديم في النقوش الصخرية وهو يركبه في مشهد حرب أو معركة²، وقد استمر استعماله لنفس الأغراض في الفترة الرومانية، فقد عثر على نقش بمدينة دوقة يتضمن تكريس للمعبد الذي بناه سكان المدينة للملك ماسينيسا عام 201 ق.م، والذي يحمل أسماء المهندسين والمعماريين ورجال الأعمال الذين ساهموا في تشييده ونجد من بينهم سائق الجمل.

وتشير المعطيات التاريخية أن الجمل لعب دوراً عسكرياً بارزاً بالمغرب القديم بعد الاحتلال الروماني للمنطقة، خصوصاً مع التوسع نحو الجنوب، حيث كانت الجمال الوسيلة المفضلة للوحدات العسكرية الرومانية المتمركزة في الجنوب، كما استعملها الموريون المحليون في حروبهم ضد روما، ويتضح ذلك من خلال رد الحاكم الروماني بإفريقيا الكونت روماتوس (Rumatus) (363-373م) على سكان مدينة لبدّة الكبرى الذين طلبوا منه النجدة والحماية من هجمات قبيلة الأوسترياني (Austuriani) التي عاثت في أرضهم فساداً، فقتلت وشردت واشعلت النيران في ممتلكاتهم فاشترط عليهم أن يمدوه بكميات كبيرة من المؤن، وأربعة آلاف جمل مقابل مساعدته لهم، ومع صعوبة تنفيذ الطلب طلبوا النجدة من الإمبراطور فالنتيان الأول (364-365)، وفي انتظار الرد باغتتهم القبيلة مرة أخرى³.

¹ Emilienne Demougeot, op.cit, p21.

² لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص85.

³ هدى الطاهر الهادي، المقاومة الليبية للوجود الروماني منذ العام 19م إلى 429م، مجلة كلية الآداب، الع:23، ج:2، ليبيا، 2017، ص112.

وهناك إشارة أخرى وان كانت متأخرة تشير إلى استعمال الجمال كوسيلة حربية من طرف القبائل الليبية، إذ خاضت قبيلة الجمالة ثورة عنيفة ضد الاحتلال الوندالي بقيادة كاباون (Cabaon) الذي وضع جماله في شكل دوائر، وأخفى جنوده وعتادهم بين الإبل¹.

والحقيقة أن الأهالي النوميدي استأنسوا الجمال منذ ظهوره في المنطقة، وخاصة البدو الرحل، فاستعملوه في تنقلاتهم بين التل والصحراء وكان وسيلتهم المفضلة² لما يتميز به الجمال من صبر وتحمل للعطش والحرارة والقوة والسرعة حسب بلييني³، كما استعمل كوسيلة لربط العلاقات التجارية بين منطقة طرابلس ومناطق الشمال والجنوب في عهد الامبراطور سبتيموس سيفيريوس .

بالإضافة إلى الحصان الليبي والفيلة والجمال لعبت حيوانات أخرى دوراً بارزاً في حياة الليبيين كالحمير التي كانت تستعمل لحمل السلع التجارية نحو الأسواق، إذ يُذكر أن أحد التجار من أسوان قطع الصحراء بقافلة من الحمير قوامها 300 حمراً، ولا يستبعد أن يكون الليبيون قد استعانوا بها لنقل الأسلحة والمؤونة أثناء الحروب، ومن ثمّ عرف القرطاجيون أهميتها فاستخدمها ماغون القرطاجي أثناء عبوره للصحراء، ومن الواضح أنّها حلت محل الثيران بعد ما أصاب الصحراء القحط والجفاف، وربما استخدمت في المعارك أيضاً إلا أن الإشارة في النصوص المصدرية كانت مقتصرة على الحيوانات الأكثر أهمية كالأحصنة والفيلة.

ومن الحيوانات أيضاً نجد الأفاعي التي كانت من أهم الأسلحة الحربية التي استخدمها القرطاجيون وربما الليبيون، حيث يذكر هيرودوت أن الأفاعي الضخمة كانت تعيش في ليبيا التي تقع غرب نهر تريتون، ويذكر ديودور الصقلي أن الأفاعي الليبية كانت متنوعة ومختلفة الأحجام وأنّها كانت سبباً في خراب جزء كبير من إقليم مصر الذي يجاور الليبيين في الجنوب، وقد كان أفراد قبيلة المارماريدي الليبية بارعين في ترويض الثعابين، ومن استخداماتها في الحروب يُذكر أن حنبعل كان يحمل معه في حروبه جرار مليئة بالثعابين لقصف الأساطيل البحرية، وربما خصّص لذلك أشخاص ليبيين لخبرتهم في التعامل معها، ولمعرفتهم بأساليب حياتها لضمان بقائها على قيد الحياة لفترة طويلة واستعمالها وقت الحاجة⁴.

¹ عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم (من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي)، منشورات تامغناست، ص 331.

² شافية شارن، أهمية القنطرة الاستراتيجية والاقتصادية في العصر الروماني، المرجع السابق، ص 271.

³ Pline L'Ancien, op.cit, liv: VIII, XXVI.

⁴ الناجي منصور الحربي، المرجع السابق، ص 163.

نخلص مما سبق أن منطقة شمال إفريقيا ومملكة نوميديا كانت تمتلك جيشاً منظماً ومجهزاً بأحسن التجهيزات العسكرية، وقد صُقلت مواهب ذلك الجيش عبر تاريخ المنطقة الطويل، فجمع بين الخبرة العسكرية القرطاجية والرومانية، بالإضافة إلى المهارات المحلية النوميديّة التي ساهمت فيها الخصائص الطبيعيّة والسياسيولوجية، وبفضل تلك الخصائص استطاع أن يفرض نفسه في المعادلات الدوليّة في ذلك الوقت بالمشاركة في الصراع الذي كان حوض البحر الأبيض المتوسط مسرحاً له .

الفصل الثالث

الاستراتيجيات العسكرية للمقاومات النوميديّة

الفصل الثالث: الاستراتيجيات العسكرية للمقاومات النوميديية

. المبحث الأول: سلاح المال والدبلوماسية

. المبحث الثاني: استراتيجية التحالفات

. المبحث الثالث: نصب الكمائن وأسلوب الكر والفر

. المبحث الرابع: ردم الآبار واستهداف ممتلكات العدو

. المبحث الخامس: أسلوب الحصار العسكري والسلاح الاقتصادي

. المبحث السادس: المقاومة الدينية

قبل الحديث عن الاستراتيجيات العسكرية للمقاومات النوميديّة وجب علينا تحديد مفهوم الاستراتيجية أولاً.

الاستراتيجية (Strategy) مصطلح يوناني الأصل واسع المعنى يرتبط بفن الحرب وقيادة القوات العسكرية، والكلمة مأخوذة من كلمة (Stratego) وتعني القائد¹، وترتبط في كتابات أخرى بكلمة (Strategema) وتعني الحيلة أو الخديعة أو الوسيلة في الحرب، أو هي فعل عقلي يتميز به الجنرال أو القائد².

وفي معنى الاستراتيجية يقول الاستاذ كلاوزيفتز: "الاستراتيجية هي فن استخدام المعارك كوسيلة للوصول إلى هدف الحرب"، أي أنها تضع مخطط الحرب، وتحدد التطور المتوقع لمختلف المعارك التي تتألف منها الحرب، كما تحدد الاشتباكات التي ستقع في كل معركة³، ويعرفها الأستاذ مولنكة: "إنها إجراء الملاءمة العملية للوسائل الموضوعية تحت تصرف القائد إلى الهدف المطلوب"⁴، ولدى ليدل هارت تعريف آخر للاستراتيجية إذ هي: "فن توزيع واستخدام مختلف الوسائل العسكرية لتحقيق هدف السياسة، إذ أن الاستراتيجية لا تعتمد على حركات الجيوش فحسب، بل تعتمد أيضاً على نتائج تلك الحركات"⁵. ومن هنا يمكننا طرح الاشكالية التالية ماهي أهم الاستراتيجيات العسكرية التي اتبعها النوميدي في حروبهم ضد روما؟

¹ مفهوم الاستراتيجية، الموسوعة السياسية، متوفر على: <https://political-encyclopedia.org/dictionary/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9>

² عبد النور العمري، الاستراتيجية العسكرية الرومانية وفشلها ببلاد المغرب القديم (146ق.م-439م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، الع:6، 2015، ص10.

³ خالد موسى، تلخيص كتاب كارل فون كلاوزفيتز "عن الحرب"، مركز نورس للدراسات، (د.ت)، ص4.

⁴ شفيق منير، الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008، ص53.

⁵ ب.ه. ليدل هارت، الاستراتيجية وتاريخها في العالم، تر: الهيثم الأيوبي، ط4، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2000م،

المبحث الأول: سلاح المال والدبلوماسية:

تسعى الأطراف المتصارعة في الحرب إلى انتهاج أساليب حربية متنوعة، فيعمل كل طرف على جمع بعض المعلومات عن العدو من حيث حجم جيشه وطريق سيره وخطته، لأن ذلك يُفيد في رسم خطط حربية جديدة ومضادة، وقد تُستعمل الحيل والمؤامرات لخرق ذلك التنظيم دون الدخول في حرب لا يملك الخصم عُدتها فيكون بذلك قد كسب عصفورين بحجر واحد.

وُتسجل لنا المصادر التاريخية التي أرخت لمقاومة يوغرطة (112-104 ق.م) أن الأخير تنبّه لمخططات الرومان الذين عمدوا إلى تقسيم المملكة بينه وبين ابني مكيسا هيمصال وأذربعل كاستمرار لأسلوب التحالف بتعيين الموالين لروما وتجنّبها هدر الأموال، واعداد الجيوش للسيطرة على منطقة شمال إفريقيا بتقسيمها بين الأخوة ولذلك شق عصا الطاعة عنها.

استعان يوغرطة بعيونه المتواجدين بروما، وأصدقائه من الرومان الذين حارب إلى جانبهم في معركة نومنصا بإسبانيا إبان فترة حكم عمه مكيسا لمعرفة كل ما يجري في روما¹، ولعلمه بالظروف السيئة التي كانت تمر بها الامبراطورية²، رأى يوغرطة بأن الوقت مناسب ليتربّع على عرش نوميديا كلها، فقتل ابن عمه هيمصال لكن أذربعل أراد الانتقام لأخيه وجازف بالدخول في معركة غير متكافئة مع يوغرطة فخسر، وفر إلى روما.

ولحسم الأمور لصالحه أرسل يوغرطة بعثة لشرح موقفه أمام مجلس الشيوخ الروماني -حملها بالمال لشراء ذمم بعض أعضائه- فعقد المجلس الروماني جلسة لبحث القضية، وخلال الجلسة توسّل أذربعل وطلب مساعدة الرومان مذكراً إياهم بخدمات والده وجدته الجليلة وطالبهم بحماية روما

¹ Salluste, op.cit, XX.

² عاصر يوغرطة روما في عهدها الجمهوري وبالضبط عصر الثورة، وهو القرن الأخير من عصر الجمهورية 133 ق.م-27 ق.م الذي بدأ بمحاولات الإصلاح التي قام بها الأخوان جراكوس وتيبريوس والتي كان مصيرها الفشل بسيطرة مجلس الشيوخ على الدستور الروماني رغم الفساد الذي استشرى بين أعضائه، ومن امثلة ذلك إصدار مجلس الشيوخ الحكم ببراءة أو بيمبوس من تهمة اعدام المواطنين دون محاكمة رغم اثبات ذلك بالأدلة، وهي دليل واضح على الانهيار الاخلاقي للنبلاء الذين تواصلت اختياراتهم الاخلاقية بإعادة المنفيين لروما وفق قانون جراكوس مما أدى الى احتدام الصراع بين الشعبيين والنبلاء. للمزيد من التفاصيل أنظر: محمد عواد حسين، الثورة الرومانية، المرحلة الثانية، مجلة كلية الآداب والتربية، الع:15، جامعة الكويت، 1979م، ص، ص177، 203 (بتصرف).

من أطماع يوغرطة، فكان رد سفراء يوغرطة أن هيمصال ارتكب جرائم فظيعة في حق النوميدي ولذلك قتلوه، كما استعطفوا المجلس بتذكيرهم بخدمات يوغرطة في نومتيا إلى جانبهم.

ورغم انقسام المجلس بين مؤيد ومعارض، إلا أنه في النهاية تقرّر ارسال عشرة من المندوبين برئاسة القنصل اوبيميوس (Opimius) عام 121 ق.م ، والذي كان قد أعلن قبل رحيله من روما معارضته ليوغرطة إلا أن أموال هذا الأخير كانت كفيلة بتغيير موقفه، وبذلك تقرّر منح الجزء الغربي من نوميديا ليوغرطة، والجزء الشرقي الممتد من غرب الولاية الافريقية حتى سيرتا لأذربعل¹، ولعل الرومان قد عمدوا إلى هذا التقسيم لتحقيق هدف مهم، إذ أن تنصيب اذربعل الذي تميز بضعفه من شأنه أن يُجنب روما الدخول في مشاكل عويصة من جهة، ومن جهة أخرى تكون روما قد خلقت حاجزاً سياسياً أمام يوغرطة للحد من أطماعه وتزايد نفوذه.

قيل يوغرطة تلك التسوية مؤقتاً لكنه ما لبث أن عاد إلى تحريك الخلاف مجدداً، فعسكر قريباً من سيرتا، وهاجم قبل طلوع الفجر على جيش أذربعل ابن مكيبسا فقتله، ونكل بالجالية الإيطالية هناك سنة 112 ق.م التي كانت تتدخل في الشؤون الداخلية للمملكة واتخذ من سيرتا عاصمة له². وبطبيعة الحال لم يكن مجلس الشيوخ بروما ليغفر له خطوة كهذه، إذ بدأوا يفكرون في إيجاد وسيلة لتأديبه وإعلان الحرب عليه، ومن جهته كان يوغرطة على وعي بذلك.

ولتفادي الصدام مع روما راح يوغرطة يتظاهر بالضعف أمامها محاولاً إثبات أن ما قام به لم يكن موجه نحو روما، بل ضد ابن عمه أذربعل الذي بدأه بالحرب، مستعيناً بسلاحه السابق سلاح الدبلوماسية والمال، فأرسل مبعوثين لمجلس الشيوخ رفقة ابنه محمّلين بالكثير من الذهب³ لشرح القضية، إلا أن مجلس الشيوخ هذه المرة رفض ذلك، وطلب منهم مغادرة إيطاليا في غضون عشرة أيام رغم توسط رجاله لدى مجلس الشيوخ لاستقبالهم⁴.

¹ عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، روما وإفريقيا، ط1، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 2007، ص87.

² سالوست، المصدر السابق، ص38.

³ أصطيفان أكصيل، ج7، المرجع السابق، ص142.

⁴ سالوست، المصدر السابق، ص43.

أرسل الرومان بعدها بعثة بقيادة أحد النبلاء وهو القنصل سكاوروس (Aemilius Scaurus) عام 115 ق.م لبحث المشكل ففشل¹، وفي 111 ق.م أرسل الرومان بعثة أخرى بقيادة القنصل كلبورونيوس بيستيا (Bestia) على رأس حملة عسكرية للإطاحة بيوغرطة، غير أن يوغرطة وإيماناً منه بعدم جدوى وحماقة موقف خوض المعركة مع الرومان ومع أعدائه التقليديين المنافسين له في الحكم في آنٍ واحد، والذي سيكون حتماً انتحاراً لا انتصاراً، فانه رأى أن يلجأ لأسلوبه القديم والناجح، وهو الإغراء بالأموال والهدايا² كجزء من العلوم العسكرية، وفن من فنون الحرب عند سن تزو "..... إذا كان العدو في حالة أفضل منك فتجنبه"³

وتطبيقاً لذلك أرسل يوغرطة للقنصل بستيا ثلاثون فيلاً وكثير من الماشية والخيول، فضلاً عن كمية من الفضة⁴، ثم وعده بأنه مُستعد للمثول أمام مجلس الشيوخ لمحاسبته على أفعاله، ويبدو أن يوغرطة قد قدم تلك التعهّدات إيقاناً منه بالدعم الذي سيتلقاه من طرف ثلّة من أعضاء مجلس الشيوخ أو الشخصيات البارزة في روما والمتحالفة معه.

لما وصل الخبر لمجلس الشيوخ الروماني أرسل لبستيا للمثول أمامه، واستدعي يوغرطة الذي حضر أمام مجلس الشيوخ بمظهر مُثيرٍ للشفقة كشاهد ، لكنه لزم الصمت بإشارة من أحد ترابنة⁵ العامة وهو جايوس بايبوس⁶، وهذا ما يؤكّد دعم بعض أعضاء مجلس الشيوخ له.

واستكمالاً لتسوية أوضاعه بنوميديا دبّر يوغرطة مكيدة للتخلص من ماسيفا (Massiva) ابن غلوسة⁷، والرجل البديل الذي كانت تُحضره روما ليحل محلّه على عرش نوميديا، فاستطاع قتله

¹ عبد العزيز عبد الفتاح حجازي ، المرجع السابق ، ص90.

² Charles Saumagne, La Numidie et Rome , Massinissa et Jugurtha, presses universitaires de France, Paris, 1966,p7.(بتصرف)

³ سن تزو، فن الحرب، تر: رؤوف شبايك، 2007، ص15.

⁴ سالوست، المصدر السابق، ص45.

⁵ التربيون : وهو شخص منتخب مهمته الدفاع عن مصالح الرومان أمام مجلس الشيوخ، ويكون من عامة الشعب، ولذلك كانوا يبنذون النبلاء والارستقراطيين عامة، يتم تعيينهم في منصبهم لمدة سنة . انظر عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، المرجع السابق، ص91.

⁶ محمد عواد حسين، الثورة الرومانية، المرحلة الثانية، المرجع السابق، ص180.

⁷ سالوست، المصدر السابق، ص53.

بواسطة جواسيسه واتباعه بروما، وتمكن بفضل ذكائه من ابعاد التهمة عنه¹، كما نجح في تدبير أمر هروب مُنفذ الجريمة حليفه بوميلكار (Bomilcar) إلى نوميديا، فخرج يوغرطة بعد ان استخف بالرومان بارتكابه لفعلة تلك وهو في عقر دارهم² وهو يقول: " إن روما معروضة للبيع إن وجدت مشتري في يوم ما"³.

(Urbem Venalem et Perituram Siemptorem Invenerit)⁴

والقارئُ لكتاب سالوستيوس " حرب يوغرطة" يجد أن هذا السلاح قد ورد فيه بمصطلح "الرشوة" للإشارة إلى الهدايا والأموال التي منحها يوغرطة للرومان، محاولاً سالوستيوس بذلك الانتقاص من وزن يوغرطة بدل من إلقاء اللوم على الجانب الروماني الذي نُخر جسمه الفساد السياسي وُحِب المال والتنافس على السلطة باستعمال طرق ملتوية، ومنها شراء الأصوات.

في هذه المسألة لا بد أن نُشير إلى أن أغلبية أعضاء مجلس الشيوخ التي ساندت يوغرطة ربما كانت مؤمنة بقضيته، خصوصاً أنه الأقدر والأجدر لحكم نوميديا، كما أن سياسة "الرشوة" التي يُعول عليها سالوستيوس ليست صحيحة، فيوغرطة كان يطمح لكسب مؤيدين له داخل مجلس الشيوخ، ولعله استخدم المال والهدايا كوسيلة ثانوية، إلى جانب أن أعضاء مجلس الشيوخ ورجال السياسة عامة كانوا يدافعون ويُجاهدون من أجل القيم الإنسانية لا من أجل الأموال ويعاقبون من مس بها⁵.

ولكن سالوستيوس حاول تصوير الأمر من زاويته هو، وربما كان يوغرطة يمتلك الأدلة الكافية لتبرير موقفه أمام مجلس الشيوخ الروماني الذي كان أغلب رجاله مؤيدين له، وقد كان لجدده ماسينيسا وعمه مكيبسا أتباع بمجلس الشيوخ أيضاً ولم يطلق على أعطياتهم تلك مصطلح الرشوة، كما أن القائد ميتيلوس الروماني كان يسعى أيضاً لكسب حلفاء له من النوميدي، وكذلك كان يوليوس قيصر

¹ Camps , S. Chaker, Jugurtha, Encyclopédia Berbère, N°:18, juin 2011,p2.

² محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص302.

³ Florus, Abrégé de l'Histoire Romane, trad: M. Nisard, Firmin Didot, Paris, liv: III, II.

⁴ عبد العزيز عبد الفتاح حجازي ، المرجع السابق، ص 92.

⁵ محمد حسين فنطر، يوغرطة، المرجع السابق ، ص - ص139-142.

وغيرهم يبحثون عن حلفاء لهم من النوميدي، وفي حصار ميتلوس لزاما عام 109 ق.م كان ليوغرطة أتباع من الجنود الرومانيين الذين قاتلوا إلى جانب سكان مدينة زاما خشية سقوطها في يد ميتلوس.

ثم أن بلوتارك يذكر أن القنصل الروماني سيلا قد عمد إلى تطبيق سلاح المال والهدايا، فكان يُكرم سفراء الملك الموري بوخوس ويغدق عليهم بالهدايا والأموال ويزودهم بجراس لحمايتهم، وقد سكت سالوستيوس عن ذلك فلم يرد أثناء حديثه عن ذلك مصطلح الرشوة، وراح يركز عليها أثناء حديثه عن يوغرطة معتبراً آياه الشخص الوحيد الذي وظف هذا الأسلوب¹.

والظاهر أن يوغرطة كان على علم بعقلية الرومانيين من خلال تعامله معهم، إذ كان يعلم جيداً أنهم من عُشاق جمع الثروة والأموال، وقد أكدت ذلك الروايات التاريخية للرومانيين أنفسهم فتحدث شيشرون عن الفساد السياسي وانتشار الرشوة وشراء الأصوات للانتخابات في روما²، ثم إن سالوستيوس ذاته الذي أعاب على يوغرطة تقديم الهدايا والأموال كان قد عُزل من ولاية إفريقية الجديدة على عهد يوليوس قيصر بسبب تُهم الفساد السياسي والرشوة والنهب³!!

وربما تفتن يوبا الأول في حربه ضد روما إلى طبيعة الرومانيين المحبّة لامتلاك الثروة فاستعمل ذات الأسلوب أيضاً، ففي سنة 75 ق.م استطاع الحزب الشعبي أن يظفر بقرار يقضي برفض المصادقة على ملكية هيمصال لضيعات من تراب ولاية إفريقية بدعوى أنها أرض عمومية، غير أن القرار لم يتم تنفيذه، ولم يشمل القانون الفلاحي الذي قدّمه سيرليوس (Serullius) بايعاز من يوليوس قيصر، وقد أوعز المؤرخون سبب ذلك إلى المال الذي أغدقه يوبا الأول ابن هيمصال على

¹ بلوتارك، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، مج2، تر: جرجيش فتح الله، الدار العربية للموسوعة، ص890.

² حسين الشيخ، بعض مظاهر الفساد السياسي في أثينا وروما الرشوة والاختلاس في أثينا أوائل القرن 4 ق.م وشراء الأصوات الانتخابية في روما أواخر العصر الجمهوري، د.ت، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، (ص-ص) (126-128).

Cicéron, Lettres Aatticus, trad: M. Nisard, Firmin Didot frères, Paris, liv: IV, 11, 12.

³ محمد البشير شنيقي، قضية السيادة النوميديّة من خلال المصادر القديمة، مجلة الدراسات التاريخية، الع: 5، جامعة الجزائر، ص41.

ثُلّة من حزب المحافظين والشعبيين معاً، لكن علاقات الحزب الشعبي بالأسرة النوميديّة الحاكمة ظلت على ما كانت عليه من التوتر¹.

وفي رواية تاريخية لسويتوس ذكر فيها أن الملك النوميدي هيمصال والد يوبا الأول أتى الرومان شاكياً من صنع أحد أفراد الأسرة الحاكمة الذي رفض دفع الضريبة، فقابله يوليوس قيصر بالتعنيف²، وإبطال تنفيذ الحكم الذي أصدره مجلس الشيوخ لفائدته، ولعل ذلك هو السبب الذي جعل يوبا الأول يتحالف أثناء الحرب الأهلية بإفريقيا مع أعداء يوليوس قيصر³، وسنشير إلى ذلك في موضع آخر.

وفي بحثنا عن مقاومة فيرموس⁴ ابن نوبيل⁵ (372-375م) نقرأ أن هذا النوميدي الذي نجح في استقطاب العديد من القبائل الليبية والطبقة الفقيرة في المملكة النوميديّة¹، كان عليه أن يُغير من

¹ عمار المحجوبي، المرجع السابق، (ص-ص) (82-85)

² تجدر الإشارة هنا أن الملك يوبا الأول كان يُرافع على القضايا التي تخص ممتلكات الأسرة الملكية النوميديّة التي ورثتها عن أسلافها أمام مجلس الشيوخ الروماني، ما يدل على ثقافته اللاتينية العالية، إذ من المعروف أن المرافعة في مجلس الشيوخ كانت مجالاً للتباري بين الفصحاء الرومان، حيث كانت تلعب الفصاحة دوراً كبيراً في كسب القضايا بما لها من تأثير على الحضور، وقد كسب يوبا الأول قضية المطالبة بتسليم المنشق النوميدي ماسينثا (Masintha)، الأمر الذي أثار غضب يوليوس قيصر فقام ومسك بلحية يوبا الأول، ولذلك كان الصراع على أشده بينهما. لمزيد من التفاصيل أنظر: محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص 321.

³ متوفر على الرابط، Suétone, vie de Jules Césaes, trad: Bibliotheca Classica Selecta, 2011، <http://bcs.fltr.ucl.ac.be/SUET/CAES/plan.html>

⁴ يذكر أميان أن سبب الثورة هو الكونت رومانوس الذي اتهمه بالتسيب، وبث التفرقة بين أبناء الملك نوبيل بمساندته لسماك بن نوبيل ضد فيرموس؛ فما كان إلا أن اغتال هذا الأخير أخيه وأعلن الثورة ضد روما، ويبدو أن النزاع كان بسبب الزعامة، حيث كان فيرموس ابن شرعي بينما كان سماك ابن غير شرعي. أنظر: ب.هـ. ورمنقنن، تاريخ ولايات شمال إفريقيا الرومانية، تر: عبد الحفيظ الميار، ط 1، 1994، ص 29

⁵ نوبيل: ينتمي نوبيل إلى قبيلة جوباليني (Jubaleni) التي تنحدر من جبال البيبان (القبائل الصغرى)، كانت له مكانة عالية في موريتانيا، حيث كان قائد وحدة عسكرية وحمل لقب ملك، ويُرحح أنه مات حوالي سنة 370 ق.م، وقد ترك من الأولاد سبعة وهم: سماك (Smmac)، وفيرموس (Firmus)، وجيلدون (Gildon)، وماكزيل (Mascizel)، ومازوكا (Mazuca) وديوس (Diouos)، وفتاة هي كيريا أو سيريا (Cyria)، لمزيد من التفاصيل أنظر:

استراتيجيته الحربية باستعمال أسلوب المال والدبلوماسية مباشرة مع تعيين الرومان للقنصل الجديد الكونت تيودوز (Théodise) الذي نزل بإيجيلجيلي (جيجل حالياً) في 372م واتخذ من سطيف قاعدة لعملياته، وأعلن حالة الطوارئ بإصدار قوانين لأعضاء المكاتب بالانضمام للجيش الروماني، وإجبار الموجودين في حالة الانتداب المؤقت بالالتحاق به، مما يعني تفوق الجيش الروماني من حيث العدة والعتاد على القائد الليبي فيرموس².

رأى فيرموس أمام هذه الأوضاع أن يُجنب نفسه وجيشه حرباً غير متوازنة، فاستعان بسلاح المال والدبلوماسية بأن أرسل مُوفديه إلى تيودوز يعرض عليه الهدنة والسلم، ويذكر أميان أن موفدي فيرموس كانوا قد حملوا معهم الهدايا لتيودوز، وأنهم استطاعوا التأثير عليه فأجابهم إلى ذلك قبل أن يتراجع بفرض شروط تعجيزية، ومنها تقديم عدد من أولاد فيرموس كرهائن لديه.

يبدو أن فيرموس قد لجأ لهذا السلاح لتحقيق عدة أغراض، منها: ربح الوقت، وإعادة تنظيم الجيش، ولجعل جنود خصمه يشعرون بالثقة الزائدة في إمكاناتهم فيركبهم الغرور، كما هدف من وراء ذلك إلى إشعارهم بالملل خصوصاً أن الظروف المناخية كانت غير ملائمة حيث انتشرت موجة من الحر التي أتعبت جنودهم³.

وحسب ذات المؤرخ فان تيودوز كان قد استعان لمواجهة أعدائه في الصحراء بقرقه المساعدة، التي كانت تتكون من عناصر محلية على دراية بالبلاد جغرافياً واجتماعياً، واتباع أسلوب التفرقة بين أبناء نوبيل، فعقد حلف مع جيلدون أخو فيرموس الذي ظل وفياً له، فتمكن بفضل ذلك من احتلال توبوسكو (Tupusuctu) قرب الصومام، وفيها استقبل تيودوز موفدين من فيرموس، ولما لم يجد معهم الرهائن رفض التفاوض وقام بالهجوم على قبيلتي تيندنس (Tyndenses)

=Jean- Pierre la porte, Nobil , Sammac, Firmus et les Autres Une Famille Berbere dans l'Empire Roman, l'Africa Romana, atti deXIX, Carocci editore, 16-19-12, 2010, p981.

¹ محمد الصالح زموشي ، من ملامح المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الأجنبي بمنطقة متيجة في العصور القديمة ، مجلة متيجة ، الع: 3، جامعة البليدة ، 2013، ص21.

² Ammien Marcellien, Histoire de Rome, trad: M. Nisard, Firmin Didot, Paris, 1860, liv: XXIX, IV, 4,5.

³ Ibid, liv: XXI, IV, 7, liv: XXIX, V, 15

والماسينيسنس (Masinissenses)¹ اللتان كانتا تحت قيادة ماكريل وديوس أخوي فيرموس، كما احتل ممتلكات شقيقهم الآخر سماك².

لمواجهة الوضع قام فيرموس بإجراءاتٍ تذكرنا بسلفه يوغرطة، وهو أنه استغل سلاح المال لإغراء العناصر الرومانية، وتحييد العناصر الأهلية من زعماء الفرق المساعدة على الأقل، وتوزع مبعوثوه في مختلف جهات البلاد واتصلوا بالقبائل القريبة والبعيدة داعين لوحدة الموقف والكفاح ضد الاحتلال الروماني، ولا ريب أن ذكرى يوغرطة ويوبا الأول كانت حيّة في نفوس النوميدي رغم تشويه المؤرخين الرومان لها، وفي قيصرية استقبل فيرنوس استقبال الأبطال من قبل جماهيرها، وقام تربيون عسكري بوضع التاج الملكي فوق رأس فيرموس، وكذلك فعلت تيبازة التي فتحت حاميتها الباب له.

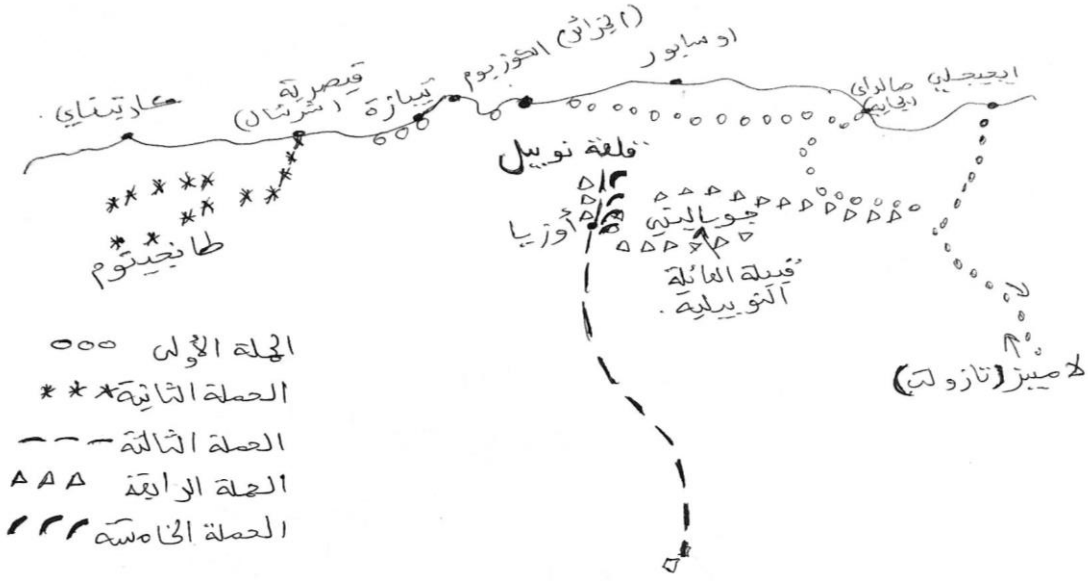
وصلت أخبار هذه الأحداث لتيودوز من خلال عيونه بنوميديا فزحف نحو قيصرية، ومن خلف أسوارها خطب في الجماهير داخل المدينة مركزاً على العنصر الروماني واعداً إياهم بمكافأتهم إن تراجعوا عن تأييد فيرموس، فاستطاع التأثير على قلة من العناصر الرومانية من الكاثوليك والتي فتحت الأبواب له فاستباح هو وجنوده المدينة وارتكبوا فيها جرائم النهب والسلب والقتل الجماعي، كما أمر تيودوز فرق الفرسان بتتبع الفارين وحرق المشاتي والقرى، واعتصم فيرموس بجبل شنوة، وهناك قرر أن يغير تكتيكة بالعودة إلى أساليب الحروب الإفريقية (النوميديّة) التقليدية وهي الكروالفر وحرب الكمائن وتجنب المعارك المباشرة بسبب اختلال القوة لصالح الرومان. (أنظر الخريطة (05)، الصفحة 164)

تجدد الإشارة إلى أن تيودوز في حد ذاته قرر اللجوء إلى سلاح المال بعد اشتداد المقاومة التي اندلعت كرد فعل على أعماله الوحشية في إقليم قبيلة المازيغ (Maziques) ما بين زكار والأطلس البليدي حتى الونشريس، وبفضل المال استطاع تجنيد عدد هام من الأفراد لفك الحصار عن معسكره، وتحصن بمكان حصين، ومن هناك كثف اتصالاته بالقبائل وعرض عليهم الأموال مقابل التخلي عن فيرموس³.

¹ تشكل القبيلتان التينديس والماسينيسنس، وقبيلة إيسافلنس (Isaflenses) وقبيلة جوباليني السابق ذكرها، وقبيلة جيسالانس (Jesalenses) ما يسمى بقبائل الحلف الخماسي (Quinquigentanei) التي كانت تتمركز ما بين بجاية ودلس. أنظر: R. cagnat, op.cit, p63.

² محمد الهادي حارش، ثورة فيرموس 372-375، مجلة الدراسات التاريخية، الع7، جامعة الجزائر، 1993، ص13.

³ محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص421.



الخريطة (05)

حملات القائد العسكري الروماني ثيودوز ضد فيرموس

نقلًا عن:

Camps(G), Firmus, Encyclopedie Berbere, Vol:19, Eilage-Gastel,Aix-en-provence,edisud, 1940, p5.

<https://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/194>

وهكذا أثبت سلاح المال والدبلوماسية نجاحته في العديد من المقاومات النوميديّة من خلال الاستفادة من نتائجه، ومنها: ربح الوقت لإعادة ترتيب الجيش وزيادة عدد أفرادها، والاستعداد لمواجهة أكبر ضد روما.

المبحث الثاني: استراتيجية التحالفات

قبل الخوض في تفاصيل هذه الاستراتيجية نشير إلى أن المقصود هنا بالتحالفات ليس تحالف ملوك النوميديّ فيما بينهم ضد الرومان، بل تحالف النوميديّ مع أحد الأطراف المتصارعة من الرومان (حزب ضد حزب) خلال الحروب الأهلية التي نشبت بروما، وكانت شمال إفريقيا مسرحاً لإرتداداتها.

أولاً: تحالف الملك النوميدي هيرباص مع القنصل الروماني ماريوس:

نشبت بروما حرب أهلية بين أنصار ماريوس وسيلا¹ بطل المؤامرة والخديعة ضد يوغرطة والتي رفعت مجده في روما، وهو ما أثار غضب ماريوس الذي كان يرى دوماً أن سيلا أقل منه مكانة²، ومع انتقال الصراع إلى شمال إفريقيا رأى الملك النوميدي هيرباص (Hirbas) ضرورة استغلال الظروف، فثار معلناً وقوفه إلى جانب ماريوس، وتمكنت حركته تلك من انتزاع السلطة من الملك هيمصال الثاني الموالي لسيلا³، وتدخل ملك موريطانيا بجيش بقيادة ابنه بوغود (Bougoud) لنصرة هيمصال الثاني⁴ والتقى الجيشان سنة 82 ق.م في أوتيكا، وكان هيرباص فيها إلى جانب

¹ يعود سبب تلك الحروب إلى الكراهية التي كان يكتها الطرفان لبعضهما البعض، فقد سطع نجم سيلا سليل الاشراف في حرب يوغرطة، وهذا لم يكن يعجب ماريوس كمثل عن الشعبين، وازداد الأمر سوء عندما عين سيلا قنصلاً لعام 88 ق.م، فكان على رأس الجيش الروماني في الشرق محاربة ميتريداتيس ملك بونيتيوس (Ponitus) في آسيا الصغرى الذي خرج عن طاعة روما، فاتخذ تريبون العامة وهو سيليكوس قراراً يقضي بحرمان سيلا من مهامه وتكليف ماريوس بها، فكان رد سيلا بان زحف بجيشه نحو روما، بينما فرّ ماريوس وحليفه سيليكوس خارج روما لكنهما عادا إليها بعد مغادرة سيلا لروما، وفي 87 ق.م فاز ماريوس في انتخابات القنصلية فاعتبر سيلا عدو للدولة وصادر املاكه غير انه لم ينعم بذلك المنصب كثيراً إذ وافته المنية عام 86 ق.م، ولم يكن سيلا لينسى تلك الاهانة التي تعرض لها فزحف نحو روما ليثأر لنفسه ولاتباعه بعد موت ماريوس الصغير منتحراً، وعُين ديكتاتوراً عام 82 ق.م ففضى على اتباع خصومه جميعاً. لمزيد من التفاصيل أنظر: محمد عواد حسين، الثورة الرومانية، المرحلة الثانية، المرجع السابق، ص - ص 194-199.

² بلوتارك، المصدر السابق، ص 891.

³ محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني.....، المرجع السابق، ص 60.

⁴ عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 84.

دوميتوس ينتظران جيش بومبيوس بجيش قوامه عشرون ألف (20000) محارب أغلبهم من النوميدي المتحالفين معه¹.

لكن سوء الأحوال الجوية جعلهم يترددون في بدء المهاجمة، فاستغل بومبيوس ذلك الظرف وباغتتهما، حيث انقض على جيش هيرباص الذي فقد سبعة عشر ألف (17000) مقاتل من جيشه وفر من جراء الهزيمة²، ليصطدم ببوغود الذي تتبعه حتى تمكن من إلقاء القبض عليه وإعدامه في أواخر عام 81 ق.م.

وخلال أربعون يوماً فقط أخضعت شمال إفريقيا كلها إلى سيلا الذي أعاد هيمصال الثاني وماسينيسا، وعاد بومبيوس إلى إيطاليا ومُنح لقب الكبير (Magnus) واحتفل بانتصاره هناك رغم معارضة البعض³. وهكذا خاض هيرباص محاولة اتسمت بالجرأة لتحرير مملكة نوميديا وتوحيدها رغم اخفاقها عسكرياً بسبب عدم توحيد الجهود النوميديّة بقبائلها المترامية الأطراف.

ثانياً: تحالف الاقليد النوميدي يوبا الأول مع القنصل الروماني بومبيوس:

في حوالي سنة 50 ق.م توفي هيمصال الثاني فخلفه ابنه يوبا الأول الذي اتسم منذ صغره بالدهاء السياسي، وميله للعمل العسكري، وتمسكه بعبادات وتقاليده، كان أول ما قام به بمجرد اعتلائه للعرش شن حملات ضد القبائل المتمردة واخضاعها، ثم حصّن عاصمته (زاما ريجيا) بأسوار ثلاثية منيعة تضمنت ملجأ منيعاً لاستعماله وقت الحاجة⁴، وعمل على تنظيم قواته العسكريّة فأدخل عناصر من شعوب البحر المتوسط في تشكيلة جيشه قصد الاستفادة من خبراتهم القتالية،

¹ Stéphane Gsell, T: 7, op.cit, p285.

² Plutarque, Vies des Hommes Illustres de Plutarque, Pompée, trad: Alexies Pierran, op.cit, III, 12.

³ محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول (203-46 ق.م)، المرجع السابق، ص81.

⁴ محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومو للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001، ص255.

فكان جيشاً نظامياً مُحترفاً يخضع لقوانين خاصة وترتيب خاص ويتميز بالاحترافية، ولاشك أن ذلك كله كان استعداداً للحرب وحماية لمملكته¹.

أثارت الأعمال التي قام بها يوبا الأول مخاوف الرومان وحلفائهم فصاروا يرون فيه خصماً قوياً لا بد من تأديبه قبل أن يُعلن تمردّه عليهم، كما فعل يوغرطة سابقاً، خاصة بعد مهاجمته لمقاطعة لبتيس التي كانت حليفة للرومان، والتي قدم أعيانها شكوى ضده إلى مجلس الشيوخ الروماني، فأرسل بدوره لجنة لحل المشكل (الدبلوماسية) وتحمل يوبا كل تبعاته، فكان أن أعاد كل ما استولى عليه من ممتلكات، ورغم ذلك ظلت المناوشات قائمة بينه وبين الرومان²، ولعل يوبا الأول قد تعمد إظهار الرضوخ للأمر لأنه لم يكن مستعداً لمواجهة روما بما يكفي، وهو أسلوب كان قد اعتمده سابقه .

عاشت روما في منتصف القرن الأول قبل الميلاد فوضى واضطرابات سياسية وصراع حزبي³ بين بومبيوس والسيناتور من جهة، وقيصر والشعبيين من جهة أخرى، عرفت بالحرب الأهلية الثانية⁴، وكان لزاماً على منطقة شمال إفريقيا المشاركة فيه⁵.

¹ محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص322.

² أصطيفان أكصيل، ج7، المرجع السابق، ص260.

³ ظهرت منافسة حقيقية بين بومبيوس وقيصر بعد عام القنصلية سنة 55 ق.م، إذ بقي بومبيوس في إيطاليا، ولم يذهب لولايته في أسبانيا وإفريقيا، بل اكتفى بأن يديرهما عن طريق وكلاء بحجة مباشرة مهامه كمشرف على تموين القمح، وفي سنة 54 ق.م توفيت زوجته يوليا ابنة قيصر فقطع علاقته نهائياً به، واستمرت المفاوضات بينهما فسار قيصر إلى الجنوب على رأس جيشه الذي دربه لعدة سنوات في غالة فآكسب ولاءهم وحبهم له، ولما أحس بقوته بزيادة عدد أتباعه وقوة جيشه توجه بسرعة نحو روما فأعلنت الكثير من المدن ولاءها له، وتقابل الجيشان عند فارسالوس الفاصلة في الحرب الأهلية والتي انتصر فيها قيصر. لمزيد من التفاصيل أنظر: مصطفى العبادي، المرجع السابق، (ص-ص) (55-61). وأيضاً

-Florus, op.cit, liv: 4, 2.

⁴ أندريه إمار، جانين أبوايه، تاريخ الحضارات العام، مج2، روما وامبراطوريتها، تر: فريد م. داغر، فؤاد .ج. أبو ريجان، ط2، عويدات للنشر. بيروت، باريس، 1986، ص266.

⁵ مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص61.

في 11 جانفي 49 ق.م أخذ صراع قيصر مع خصومه أبعاداً جديدة، إذ خرجوا من إيطاليا لتنظيم صفوفهم في البلقان وإسبانيا وإفريقيا، وقد قاد قيصر حملة ضدهم في إسبانيا بنفسه، وكلف قائده (كوريو Curion) بتوجيهها نحو إفريقيا¹.

استغل يوبا الأول تلك الأوضاع للاقتصاص من روما، وذلك بالانحياز للحزب الأرستقراطي (أنصار بومبيوس) لعدة أسباب منها²:

- أ- إدراك يوبا الأول بخفايا سياسة قيصر التوسعية في نوميديا عكس الحزب الأرستقراطي المحافظ (قاعدة أهون الشرين)³.
- ب- أن قيصر كان قد رفض قرار مجلس الشيوخ الذي استجاب لاحتجاج يوبا الأول ضد أحد المتمردين عليه ماسينتا (Masintha)، بل إن قيصر شتمه واحتقر النوميدي أمام الملأ⁴.

راح يوبا الأول وحلفائه البومبيين يهيئون الجو في إفريقيا لمقاومة يوليوس قيصر، فصكوا النقود باسم يوبا والآلهة الإفريقية، وقدموا وعوداً ليوبا بتنازلهم عن الأراضي التي يحتلوها في إفريقيا⁵؛ بيد أن ليوبا الأول أهداف أخرى تمثلت في تحقيق حلمه القديم الذي ظل يراود الملوك النوميدي، وهو تكوين مملكة إفريقية عاصمتها قرطاج منفصلة عن روما، ولا يستبعد أنه كان يُخطط لضرب يوليوس قيصر والقضاء عليه، ثم الدخول في مواجهة مع الحزب الأرستقراطي والانفراد بالسلطة⁶. (أنظر الشكل (28)(29)، الصفحة 169)

¹ جمال مسرحي، المقاومة النوميديّة للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري، ماجستير قديم، اشراف: محمد الصغير غانم، جامعة قسنطينة، 2009، 2008، ص 82.

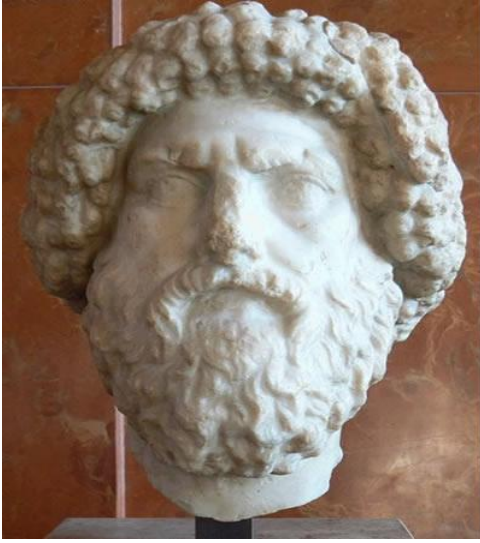
² Dion Cassius, Histoire Romane, librairie de Firmin Didot frères, Paris, 1855, liv: XLI,41

³ محمد البشير شنيّتي، الاحتلال الروماني.....، المرجع السابق، ص 61.

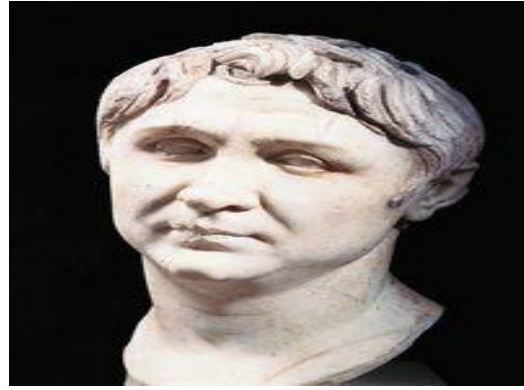
⁴ Stéphane Gsell, T:7, op.cit, p294.

⁵ محمد البشير شنيّتي، الاحتلال الروماني.....، المرجع السابق، ص 61.

⁶ محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص 320.



الشكل (28): تمثال نصفي للإقليد يوبا الأول



الشكل (29): تمثال رأسي للقائد الروماني بومبيوس

1 <http://www.musee-cherchell.dz/Arabe/JubaII.html>

2 <https://www.marefa.org>

أبحر كوريو مع مساعده ريبيلوس إلى إفريقيا على رأس حملة من فرقتين عسكريتين قوامها عشرة آلاف جندي واثنى عشرة سفينة حربية مع أخرى للشحن¹، وقد استغرق عبورها يومين أو ثلاثة، وحط رحاله بأنكيلاريا (Anquillaria) شمال هضبة رأس الطيب (الحوارية حالياً) وأطلق العنان لجنده بالسلب والنهب²، ويذكر أبيان أن النوميديين والبومبيون عمدوا إلى تطبيق خطة جديدة هي تسميم الينابيع - سنفصل في ذلك لاحقاً - فأصيب جيش كوريو بآلام حادة في الجسم، فأمر جيشه بالرجوع إلى المعسكر³، وبعد تجاوز الأزمة تقدم نحو أوتيكا، أين أحرز بعض الانتصارات الأولية التي بثت في نفسه ثقة كبيرة⁴ حتى أن جنوده لقبوه بالإمبراطور، فضرب كوريو حصاراً شديداً على أوتيكا التي لم يبدي سكانها أية مقاومة والبعض منهم صار موالٍ لقيصر⁵.

كان يوبا على علم بكل تلك الانتصارات فكان عليه حسم الأمر برسم خطة استراتيجية بمساعدة فاروس الذي كان يحكم إفريقيا، تقضي الخطوة الأولى فيها بإرسال بريد إلى أوتيكا يعلن فيها أنه آتٍ بقوات عظيمة، ويدعوا فيها أهل أوتيكا إلى الصمود، وكان كوريو على علم باقتراب جيش يوبا الأول، مما أضطره إلى رفع الحصار والذهاب إلى موقع آخر منتظراً الدعم الذي سيأتيه من صقلية⁶.

وكانت الخطوة الثانية ليوبا بأن عسكر بجيشه على بعد حوالي 6 أميال من أوتيكا وأن يرسل سابورا حليفه عيونته نحو معسكر كوريو، وفي حالة القبض عليهم يوهمون جيش كوريو بأن الملك يوبا وصلته أخبار عن وقوع اضطرابات في مملكته، وأنه عاد أدراجه لفرض الأمن وتهدئة الوضع⁷، ثم انتظار نتيجة هذه الخطة، وفي حال خروج جيش كوريو يتم نصب كمين له.

¹ Appien, op.cit, liv: II, 44.

² Stéphane Gsell, T: 8, op.cit, (p,p)(7,10).

³ Appien, op.cit, liv: II, 44.

⁴ إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ج2، منشورات الجامعة الليبية، 1973، ص229.

⁵ أصطيفان أكصيل، ج8، المرجع السابق، ص21.

⁶ Stéphane Gsell, T: 8, op.cit, p20.

⁷ محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص327

نجحت خطة يوبا الأول، فقد انطلت الحيلة على كوريو الذي صدّق أن سابورا مع قلة من جيشه هو الذي أتى لنجدة أوتيكا، واستكمالاً لما رسمته خطة يوبا الأول كان على سابورا أن ينسحب عندما يعلم بمقدم العدو وأن يوهمه بأنه أنهزم حتى يجره إلى منطقة شديدة الحر (شهر جوان)، مما أدى إلى إرهاب الجيش الروماني. وفي تلك الأثناء أرسل يوبا 2000 من الفرسان الغالين والإسبانيين بالإضافة إلى المشاة المدربين إلى سابورا وتبعهم هو وبقية من جيشه و60 فيلاً وفاجأوا كوريو الذي لم يكن أمامه من حلٍ سوى الاستسلام أو الموت فقد طوقه يوبا، فقتل كوريو وتفككت قوات جيشه بين من يحاول الفرار وامتطاء السفن والنجاة بنفسه، وبين من لم يسعفهم الحظ فأرسلوا إلى فاروس يطلبون العفو عنهم، غير أن يوبا أباد الكثير منهم، واحتفظ بأخرين فضّمهم إلى جيشه¹، ومثّل بجمجمة كوريو ودخل أوتيكا منتصراً وسيداً، واستقبل من طرف الحاكم الروماني أتوس فاروس ومساعديه وسكان المدينة².

وهكذا كان ليوبا الأول الفضل الكبير في الانتصارات في شمال إفريقيا بفضل حنكته السياسية والعسكرية وبفضل جيشه القوي، فكافأه مجلس الشيوخ بمنحه لقب الصديق للشعب الروماني، وذكره بعودهم التي قدموها له بمنحه إقليم المقاطعة الرومانية لأنه أحق بها في حالة الانتصار³. من ناحية أخرى كان يوبا قد دخل خانة من لابد من وضع حد لتجاوزاتهم عند القيصرين لأنه حرّم قيصر من ولاية إفريقيا وقمّحها لمدة عامين ونصف، فكان لابد من إعادتها لأنها صارت تمثل معقد آمال البومبيين خصومه بعد مقتل سيدهم في معركة فارسالوس⁴.

أمام هذا الوضع كان على يوبا وحلفائه الاستعداد مرة أخرى لمواجهة قيصر، فأعادوا تنظيم قواتهم وتأمين القوات المساعدة رغم اختلاف الرؤى بينهم، فقد كان سكيبيو يحاول التقرب من يوبا الأول عن طريق محاولة إبادة أهل أوتيكا التي أصبحت تحت سيطرتهم لأنهم كانوا موالين لقيصر، لكن كاتو رفض الأمر، وهذا ما أثار غضب يوبا الذي كان حريصاً منذ دخوله في التحالف على فرض

¹ أصطيفان أكصيل، ج8، المرجع السابق، ص26

² محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص331.

³ يحاول بعض المؤرخين الغربيين تشويه صورة يوبا الأول باعتباره بليداً وعاجزاً، وأن تلك الانتصارات التي حققها كانت بفضل سابورا، وأنه كان متعجرفاً ومتكبراً وهذا غير صحيح، إذ لا يمكن لبليد وعاجز أن يقود معركة وأمة. أنظر: أصطيفان أكصيل، ج8، ص، ص34،35.

⁴ ابراهيم نصحي، المرجع السابق، ص299.

استقلاله بقواته وخططه العسكرية وعدم خضوعه لأية سلطة أو طاعة لأي قائد روماني، وقد رأينا سابقاً أنه كان يقاتل منفرداً ويقود جيشه بنفسه معتبراً نفسه حليفاً غير ملزم بطاعة روما¹، وإيماناً منه بضرورة بقاء التحالف ولو مؤقتاً كان لا بد من مواصلة الخطة المرسومة من قبله .

كان قيصر مقتنعاً تماماً بأن السيطرة على ولاية إفريقية مرهونة بتحييد الملك يوبا الأول، وفي محاولة بائسة منه طلب من كاسيوس (Cassius) حاكمه بإسبانيا أن يعبر إلى إفريقية مع جيشه نحو نوميديا عن طريق موريطانيا لأن حاكمها بوخوس الثاني وبوغود كانا حليفين لقيصر² ولأن يوبا قد أرسل قواته لدعم قوات بومبيوس³. أدرك قيصر بعد ذلك خطورة الوضع فكان عليه الانتقال بنفسه لحسم الأمر، فحشد عشرة (10 فرق) من المشاة و40 ألف من الخيالة، وعبر صقلية أبحر نحو هادروميت (Hadrumet) (سوسة حالياً) التي وصلها في 31 أكتوبر 47 ق.م بعدما فقد معظم جيشه بفعل سوء الأحوال الجوية، ولم يبقى معه سوى 3 آلاف من المشاة و150 فارساً⁴.

ولما كانت هادروميت محصنة اختار قيصر التوجه إلى بلدة الصغرى مع جيشه الصغير، وبعد وصول التعزيزات له استولى على روسبينا (Ruspina) (المنستير اليوم)، وفي نفس الوقت كان حليفه سالوستيوس قد استولى على جزيرة قرقينة، لكن سرعان ما هاجمه سكيبيو حليف بومبيوس على رأس ثمانية فرق و3000 فارس⁵ إضافة إلى المساعدات التي وصلته من يوبا الأول الذي كان قد وضع تحت تصرفهم جزءاً من خيالته والتي كانت تتلقى رواتبها من أتباع بومبي⁶.

وهكذا حوَصر قيصر الذي نجى فيما بعد بوصول الامدادات له في الوقت المناسب⁷. بينما تفرغ يوبا الأول للدفاع عن مملكته ضد مرتزقة سيتيوس (Sitius) والملك الموريتاني بوخوس الثاني اللذان

¹ أصطيفان أكصيل، ج8، المرجع السابق، ص36.

² Dion Cassius, Histoire Romane, op.cit, liv: XLI, 42.

³ César, Guerre d'Alexandrie, trad: M. Nisard, Paris, 1865, 51 . متوفر على الرابط: .

<http://bcs.fltr.ucl.ac.be/CAES/BA.html>

⁴ César, Guerre d'Afrique(1-48) , 1,2,3,4.

⁵ César, op.cit, p-p 20-34

⁶ يوليوس قيصر، المصدر السابق، ص14.

⁷ محمد الهادي حارش، التطور السياسي.....، المرجع السابق، ص96.

حاصراً عاصمة المملكة سيرتا واحتلوها¹، بالإضافة إلى تعرضها للهجمات الجيتولية القادمة من الجنوب، والتي نجح قيصر في استقطابها لصالحه، وبذلك كانت قوات يوبا تحارب على ثلاثة جبهات وهو ما سهل المهمة على قيصر².

أصبحت الأوضاع جيدة بالنسبة لقيصر لحسم المعركة لصالحه خصوصاً عند وصول القوات المساعدة له ليصبح عدد فرقه ثمانية، فراح يستدرج خصومه للاشتباك معهم قبل وصول يوبا بقواته، فنزل في 26 يناير 46 ق.م بأوزيتا (UZITA) ثم إلى أغار (Aggar) واستولى على سارسورا (Sarsura) ثم أغار في فبراير 46 ق.م، وقضى هناك على الحامية النوميديّة واستولى على مخازنها³.

أمام هذه المتغيرات الجديدة رأى يوبا الأول أن يترك مهمة الدفاع عن سيرتا لأحد مساعديه وهو سابورا (Saborra)، وانضم هو مع عدد من قواته المتكونة من ثلاثة فرق و 800 من الفرسان المدربين، وعدد من الفرسان النوميدي والمشاة المسلحين تسليحاً خفيفاً وثلاثون فيلاً إلى قوات سكيبيو، وقد أثار قدومه الذعر في نفوس القيصرين⁴.

بعد فشل قيصر في استدراج سكيبيو إلى موقع من اختياره فضّل هذه المرة السير إلى تابسوس (Thapsus)⁵ يوم 6 فيفري 46 ق.م، وهي مرتفع يمثل زاوية تكاد تكون قائمة تطل على البحر من الجهة الشمالية والشرقية، ولا يمكن الولوج لها إلا عن طريق ممرين أحدهما شرقي، والآخر شمالي⁶، فعسكر أمامها وشرع ببناء التحصينات والحواجز والخنادق وفرض حصاراً على أهلها، ولعله فضّل عدم الابتعاد عن البحر لكي لا يتوغل في البر فتفتك به قوات يوبا. (أنظر الخريطة (6))،
الصفحة 175

¹ Appien, Guerres Civiles, op.cit, liv:2, 96.

² محمد الهادي حارش، التطور السياسي.....، المرجع السابق، ص 97. وأيضاً
Colonel Moinier, Compagne de J.César en Afrique, Riv. Afri, vol: 46, 1902,
op.cit, p171.

³ César, op.cit, 41.

⁴ Ibid, 48.75,76.

⁵ تابسوس: هي رأس الديماس بتونس اليوم، انظر: أصطيفان أكصيل، المرجع السابق، ج 8، ص 109.

⁶ المرجع نفسه، ص، ص 109، 110.

ظن سكيبيو أنه سيقضي على القيصرين بتضييق الخناق عليهم ومحاصرتهم لكنه فشل وفتر من المعركة، فلما سمع يوبا بالخبر قفل راجعاً إلى مدينته للدفاع عنها خشية أن يعاود ستيوس وبوخوس الهجوم عليها، كما أنه كان يعلم بأن نكبة كوريو لم يكن ليغفرها له يوليوس قيصر مطلقاً¹. (أنظر الشكل (30)، الصفحة 176)

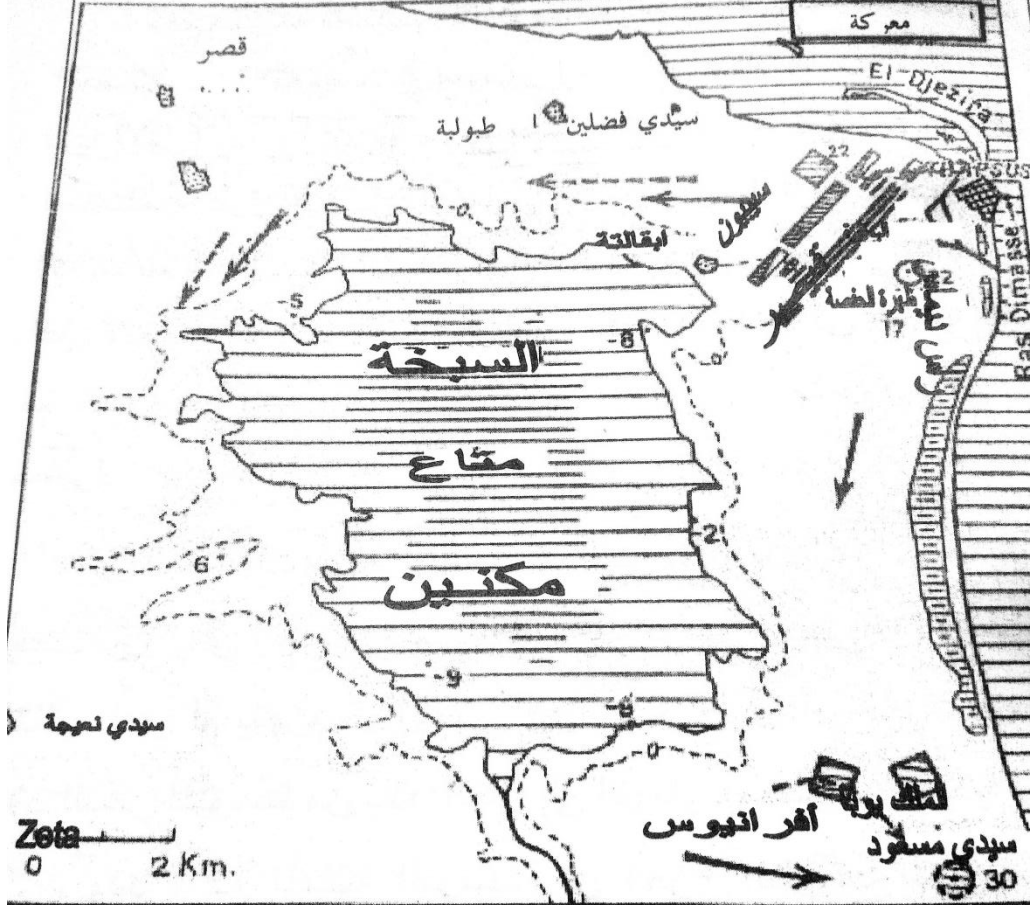
وهكذا كُتبت لخطّة يوبا الأولى الرامية إلى القضاء على القيصرين ثم الالتفاف على البومبيين، واسترجاع السيادة النوميديّة على أراضيهم الفشل العسكري في المرحلة الثانية بسبب الخيانات وموالات الموريين وبعض القبائل للقيصرين التي اخترقتها وغيّرت من سيرها، ورغم تمكن قيصر من القضاء على يوبا الأول، إلا أن صورته ظلت راسخة في أذهان الرومانيين بفضل انتصارات خططه العسكريّة المتنوعة (استهداف ممتلكات العدو ونصب الكمائن)، والتي تُثم عن وعي وخبرة في المجالين العسكري والسياسي.

ثالثاً: تحالف الأمير النوميدي أرايون مع الوالي الروماني سكستوس:

لم تهدأ روح المقاومة عند النوميديّ بالقضاء على يوبا الأول، فقد ظهر ثائر آخر اسمه أرايون، الذي سار على نهج سابقه فاستغل الأوضاع المضطربة التي عاشتها روما بعد اغتيال يوليوس قيصر سنة 44 ق.م وما تبعها من صراع جديد بين الشعبيين والارستقراطيين²، وانتقال الصراع إلى ولاية إفريقيا بين حاكم إفريقيا القديمة كورنيفيكيوس (Cornificius) وحاكم إفريقيا الجديدة سكستوس.

¹ محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة البونية، المرجع السابق، ص 99.

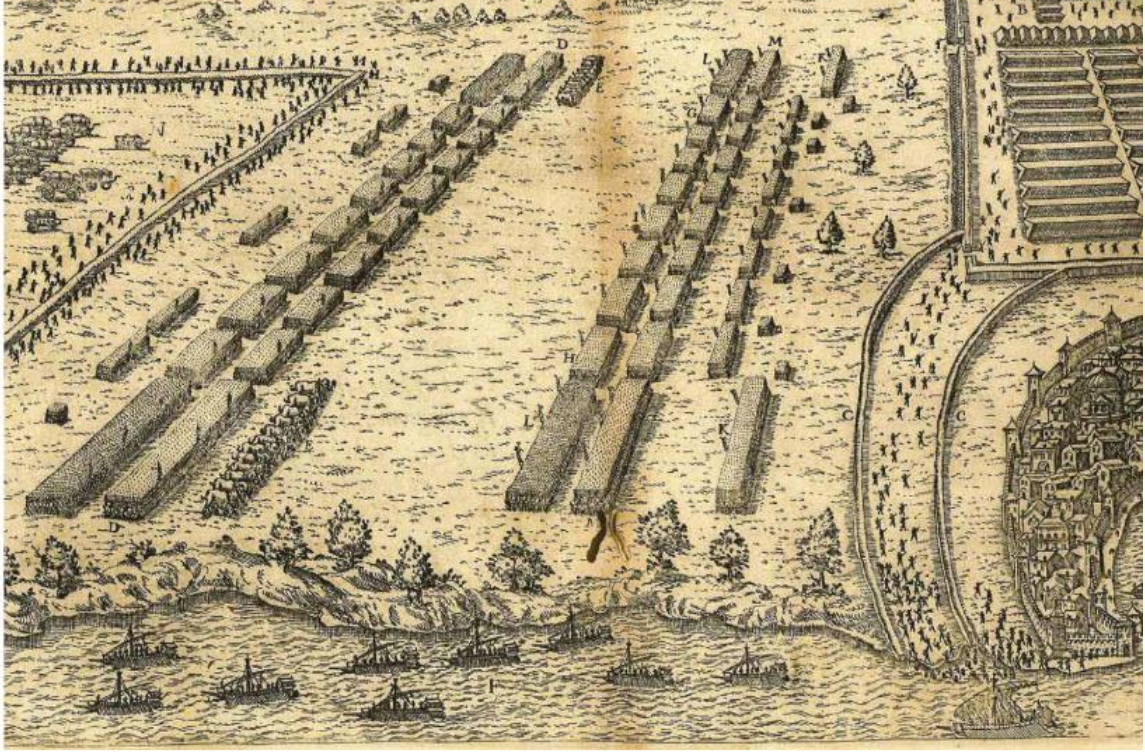
² بمجرد مقتل قيصر نشب صراع جديد على الزعامة السياسيّة بين السيناتور من جهة، وبين أنطونيوس وأوكتافيوس من جهة ثانية، فاقسما الامبراطوريّة بينهما؛ فكانت الولايات الشرقيّة لأنطونيوس، والولايات الغربيّة لأوكتافيوس، ولم يأت عام 33 ق.م حتى كان الصراع على أشده، فكانت معركة أكتوم هي الحاسمة وانتحر أنطونيوس وكليوباترا ملكة مصر، وسيطر أوكتافيوس على الحكم، أنظر: محمود ابراهيم السعدي، حضارة الرومان منذ نشأتها وحتى نهاية القرن 1م، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، 1998، ص 127. (بتصرف بسيط)



الخريطة (6)

خريطة توضيحية لموقع معركة تابسوس 46 ق.م.

نقلاً عن: محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص 341



الشكل (30)

توزيع قوات القيصرين (على اليمين) والبومبيين (على اليسار) حيث نلاحظ الفيلة في الصف الأمامي لجيش البومبيين وحليفهم يوبا الأول في معركة تابسوس.

نقلًا عن:

Katharine March, Julius Caesar , Future Publishing, 2015, p76.

سعى كل من حاكمي ولاية إفريقيا الجديدة وولاية إفريقيا القديمة إلى توحيد إفريقيا تحت قيادته¹ فوجد بذلك أرابيون الجو مناسباً لضرب روما واسترجاع أملاك أجداده، فهو ابن ماسينيسا الثاني كما شارك في مقاومة هيرباص السابق ذكرها²، وكان قد فرّ بعد انتصار قيصر على ابن بومبي إلى إسبانيا وعاد بعد وفاة قيصر .

جمع أرابيون جيشه من النوميديّ الذين آمنوا بمواقفه، ومن أتباعه الذين أتوا معه من إسبانيا، فكانت أول خطوة قام بها أرابيون هي محاولة استرجاع الشطر الغربي من نوميديا الذي كان تحت سيطرة بوخوس الثالث حليف الرومان، ثم توجه نحو إمارة المرتزق ستيوس وقضى عليه عام 44 ق.م، وبذلك سيطر أرابيون على نوميديا الغربية³ .

في تلك الأثناء كانت الحرب مشتعلة بين حاكمي إفريقيا القديمة والجديدة بسبب تعيين أوكتافيوس (الذي كانت إفريقيا من نصيبه عند توزيع المقاطعات بين الثلاثي أوكتافيوس - أنطونيوس - لبيدوس)، لسكستوس كحاكم عام على الولايتين الإفريقيتين القديمة والجديدة؛ الأمر الذي لم يقبله كورنيفيكيوس والي إفريقيا القديمة فبقي بمنصبه محتجاً بأنه شغله بتعيين من مجلس الشيوخ⁴، ودارت معارك بين الاثنين أسفرت عن هزيمة سكستوس في نواحي هادروميت ، ولم يجد من حل أمامه سوى الاعتماد على القوة النوميديّة للانفراد بها على خصمه كورنيفيكيوس الذي حاول استمالة أرابيون أيضاً، إذ ذكر أبيان أن كلاهما قد أرسلوا سفراء يطلبون منه التحالف والانضمام إليه⁵.

كان على أرابيون أن يختار الجانب الذي يخدم استراتيجيته، فكان أن مال لكفة الضعيف (سكستوس) لتكون له الكلمة العليا عليه وللقضاء معاً على الطرف الأقوى، فقد تمكن أرابيون من

¹ أصطيفان أكصيل، ج 8، المرجع السابق، ص 161.

² Camps G, Arabion, Encyclopidie Berbère, N:6, Aix-en-Provence, 1989, p,p 1,2.

³ محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني.....، المرجع السابق، ص 68.

⁴ محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص 355.

⁵ Appien, Guerres Civiles, op.cit, IV, 53.

فك الحصار على عاصمة إفريقيا الجديدة التي كانت محاصرة بجيش كورنيفيكيوس، وأجبر ليليوس (Lelius) حليف كورنيفيكيوس على الانسحاب إلى أوتيكا حيث معسكر كورنيفيكيوس¹.

تتبع أرابيون جيش ليليوس مستعيناً بقرقة الخيالة السريعة فأدركه قبل وصوله لمعسكر كورنيفيكيوس، وأمام تأزم الوضع لجأ ليليوس إلى هضبة للاحتباء بها، فأحكم عليه أرابيون حصاراً شديداً فكانت خيالته من الأمام وجيش سكستوس من الجانب، فلما رأى كورنيفيكيوس ما حل بحليفه ليليوس خرج لنجدته، وهذا ما كان ينتظره أرابيون فقد سارت الخطة كما خطط لها، فأمر جيوشه بالمهجوم على معسكر العدو فاستولوا عليه، وفي نفس الوقت أعطى لفرسانه الأمر بمحاصرة كورنيفيكيوس ففضوا عليه وعلى جيشه، بينما انتحر ليليوس من جراء الهزيمة².

عاد الجيش النوميدي بقيادة أرابيون إلى مملكته محملاً بالغنائم، وقد انتقم للشعب النوميدي من الظلم والتسلط الذي سُلط عليهم من أيام قيصر، فقد أكد ذلك النجاح الذي تحقق بفضل وحدة النوميدي، ونمو الروح الوطنية فيهم وإيمانهم بعدالة قضيتهم واستعادة السيادة الوطنية للمملكة التي توج عليها أرابيون كملك على منطقة شاسعة تضم الإقليم السيري ونوميديا الغربية (السطايفية)، بالإضافة إلى نوميديا الداخلية أي منطقة السهول العليا الشرقية والكتلة الأوراسية³.

لابد أن نشير هنا إلى ملاحظة مهمة وهي أن هذا التحالف كان ظاهرياً فقط، ولداعي المصالح المشتركة خاصة بالنسبة لأرابيون، إذا علمنا أن سكستوس كان محسوباً على القيصرين وأرابيون كان عدواً للقيصرين، فقد ذكرنا سابقاً أن أرابيون فر بعد انتصار قيصر على ابن بومبيوس الذي كان بإسبانيا.

¹Mercier Ernest, *Histoire de l'Afrique Septentrionale (Berberie) depuis les Temps les Plus Reculés jusqu'à la Conquête Française 1830*, Tome: 1, Ed: Ernest Leroux, Paris, 1888. (p,p)(84,85).

² Appien, op.cit, liv: IV, 55,56.

³ محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص360.

رابعاً: الأمير أرابيون يتحالف للمرة الثانية

لم تدم فترة الهدوء طويلاً إذ تآزمت الأوضاع في إفريقيا مرة أخرى، فقد تم إعادة تقسيم المقاطعات الرومانية بين أوكتافوس وأنطونيوس، فكانت إفريقيا القديمة من نصيب أنطونيوس الذي ثبت سكستوس عليها، أما إفريقيا الجديدة فكانت من نصيب أوكتافوس الذي عين فوفيكوس فانغو (Fango. Fuficius) والياً عليها؛ وبذلك عاد الصراع من جديد بين والي إفريقيا الجديدة والقديمة .

رفض سكستوس تسليم الولاية لفوفيكوس فانغو الذي كان جندي من أصل وضيع دخل مجلس الشيوخ بفضل قيصر فاندلعت الحرب بينهما¹، وأما تآزم الوضع استنجد سكستوس بحليفه القديم أرابيون للاستفادة من خيالاته السريعة والنوميد الذي انضموا إليه والمتذمرين من بطش فانغو فوفيكوس، وكانت النتيجة لصالحهما².

أدرك سكستوس أن انتصاره بات مرتبطاً بمساعدة أرابيون وجيشه القوي والنوميد المواليين له، فصار يتخوف منه خصوصاً أن أرابيون كان يتميز في علاقاته مع الرومان بالغموض لتحقيق استراتيجيته، ويبدو أن سكستوس قد فهم ذلك أوخمن في الأمر، فما كان إلا أن دبر مكيدة لاغتياله سنة 40 ق.م بحجة الشك في ولائه³، وبذلك فقدت المملكة النوميديّة شخصية قيادية أخرى خاضت نفس الاستراتيجية العسكرية التي انتهجها هيرباص ويوبا الأول كسبيل للخلاص من عدو كان في أوج قوته وهو الامبراطورية الرومانية لتفكك النوميد بين موالي للرومان ومؤمن بالقضية النوميديّة الوطنية⁴.

أثبت أسلوب التحالفات نجاعته بتحقيق الكثير من الانتصارات التي لم يُكتب لها بالضرورة الاستمرار، فقد تمكن ملوك نومديا من استرجاع حكمهم لردح من الزمن ذاق فيه النوميد طعم الاستقلال ولذة الانفصال عن روما، والتي ربما كان ليُكتب لها عمر آخر لو تضافرت جهود النوميد

¹أصطيفان أكصيل، ج8، المرجع السابق، ص166.

²محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص361.

³محمد البشير شنيقي، أضواء جديدة على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص83.

⁴المرجع نفسه، ص83.

فيما بينهم، وإيمانهم بأن روما هي المكر والخداع في أسمى معانيه، وقد توفرت لديهم مبررات الانتصار حيث كانوا مقاتلين متمرسين مشهود لهم بالشجاعة وتمكنهم من فون الحرب المختلفة.

المبحث الثالث: نصب الكمائن وأسلوب الكر والفر:

ذكر المؤرخ ديودور الصقلي (90-20 ق.م) أن الليبيين كانوا بارعين في الأساليب القتالية ومنها الكر والفر ونصب الكمائن، ويرجع ذلك إلى أنهم كانوا خفيين الأجسام، ويتفوقون على عدوهم في سرعة الحركة سواء عند الانقضاض أو عند التراجع، إضافة إلى تسليحهم الخفيف والمتمثل في ثلاث رماح وحجارة في أجربة من الجلد¹، وتعتمد هذه الاستراتيجية على عنصرين أساسيين هما:

أ- عنصر المفاجأة:

ويتم بالاعتماد على نُجبة من الفرسان والرماة في مكان ما وانتظار عبور العدو وثم مباغتته، ويكون ذلك في أوقات الليل أو الاستراحة أيضاً حيث يكون العدو غير مستعد.

ب- الاستعانة بالطبيعة :

إن القائد الجيد لا يجهل أن النصر يعتمد إلى حد كبير على طبيعة ميدان المعركة، فمن يريد النصر عليه اختيار المناطق المناسبة لضرب العدو، كالأماكن المرتفعة حتى تكون سرعة رمي السهام نحو المناطق المنحدرة قوية، كما أن من يكون المنحدر معاكساً له سيضطر لمواجهة طبيعة المكان والعدو معاً²، وتشكل الخوانق الجبلية والقمم والمنحدرات والغابات الكثيفة مكاناً مناسباً لاختفاء الرماة خلفها، وضرب العدو في الوقت المناسب³.

وقد استعمل النوميدي هذا الأسلوب في مقاوماتهم المختلفة نظراً للتباين الواضح بين القوتين النوميديّة والرومانية من حيث العُدّة ومن حيث العتاد، وقد أثمر هذا الأسلوب في العديد من المقاومات، فبعد أن دبر يوغرطة لقتل ماسيفا داخل روما، كان لابد من ردة فعل قوية من الرومان

¹ علي فهمي حشيم، المرجع السابق، ص115.

² لعباضي حفيظة، تقديس الجبل في بلاد المغرب القديم، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج:16، الع: 4، ديسمبر 2020، جامعة معسكر، الجزائر، ص97.

³ محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص335.

على ذلك التصرف حيث أرسلوا إليه عام 110 ق.م القنصل ألبينوس (Albinus) الذي أعد العدة لحسم الأمر في إفريقيا، لكنه فوجئ بخصم مراوغ وذكي هو الملك النوميدي يوغرطة يناوش أحياناً ويتظاهر بالاستسلام أحياناً أخرى ويفر أحياناً ويواجه في أخرى، فأثار ذلك اليأس في صفوف الرومان وطال الأمر دون نتيجة أو انتصار حاسم¹، ومع اقتراب موعد الانتخابات بروما غادر ألبينوس إفريقيا وترك قيادتها لأخيه أولوس (Aulus)² الذي حاول هو الآخر أن ينهي الحرب مع يوغرطة فجهز جيشه في فصل الشتاء للقيام بحملة نحو مدينة سوثل (Suthul) - قرب قلمة -.

أولاً: كمين يوغرطة في سوثل 110 ق.م

يذكر سالوستيوس أن القائد الروماني أولوس استغل تأخر رد الفعل الروماني، فكثف هجماته على يوغرطة لإشباع رغبته الجارحة في السيطرة على الأموال والغنائم، وضرب حصاراً على مدينة سوثل المكان الذي كان يخبئ فيه يوغرطة ثروته، وعلى الرغم من قلة جيشه وسوء الأحوال الجوية إلا أنه أصر على احتلال المدينة مستعملاً أبراج الحصار متحدياً الوحل ووعورة التضاريس³.

ولكي يُعزز يوغرطة من ثقته أكثر أرسل إليه مبعوثين يطلبون منه العفو والسلم، وفي نفس الوقت كان يُطبق خطته القاضية باستدراج الرومان نحو المناطق الصعبة ثم الإجهاد عليهم، فقاد جيشه وسط الغابات والمناطق الضيقة مستغلاً معرفته الجغرافية لمنطقته، وقد انطوت الحيلة على أولوس الذي ترك سوثل، فتتبعه يوغرطة وجرّه إلى مناطق جبلية معزولة وراح يتظاهر بالفرار أمامه واستعطف مجموعة من جنوده⁴، ثم فاجأه في الليل وألحق به هزيمة نكراء ظلت عالقة في أذهان الرومان، وكان من آثارها أن تم تعليق الاجتماعات الخاصة بالانتخابات بروما سنة 110 ق.م، واهتزت مكانة ألبينوس مما جعله يُصمم على العودة إلى إفريقيا، غير أنه فوجئ بجيش منهار نفسياً.

يحاول المؤرخون الرومان تبرير هزيمتهم تلك بجهل الفرق العسكرية الرومانية بطبيعة المنطقة التي تسببت في إعاقة حركتهم، غير أن الحقيقة هي أن استراتيجية يوغرطة هي التي كانت المفصل في

¹ محمد حسين فنطر، يوغرطة، المرجع السابق، ص168.

² سالوست، الحرب اليوغرطية، المصدر السابق، ص55.

³ Salluste, op.cit, XXXVII.

⁴ Stéphane Gsell, T: 7, op.cit, p171.

حدث تلك الهزيمة لأن المنطقة الممتدة من خلف باجة ودوقة إلى أوتيكا كانت معروفة عند الرومان قبل سنة 110 ق.م.¹

ثانياً: يوغرطة ينصب كمين لميتلوس في الموثول 109 ق.م.

عينت روما قنصلاً جديداً هو ميتلوس الذي نزل إفريقيا عام 109 ق.م معزراً بقائدين عسكريين لا يقلان عنه في الدهاء السياسي وإتقان فنون الحرب وهما: ريتلوس (Rutilus) وماريوس (Marius)² - الذي تظاهر له يوغرطة بالخضوع، فسيطر على بعض المدن ثم أرسل له مبعوثين يُعبران عن رغبته في الاستسلام، لكن ميتلوس تعامل معه بنفس الأسلوب، فتارة كان يسيطر على المدن وأخرى يبدي رغبته في التفاوض، وأمام هذا الوضع قرر يوغرطة حسم الأمر فأرسل عيونته لتتبع قوات ميتلوس، ثم استدرجه للكمين الذي نصبه له مستفيداً من خبرته بجغرافية المنطقة وبمسالكها وممراتها³.

بقيت هزيمة أولوس مع يوغرطة عالقة في ذهن روما، فقرر ميتلوس أن يرفع عنها ذلك العار بمعركة يكون النصر فيها حليفه، وربما كان يستهدف مقر المملكة النوميديّة سيرتا، فكان عليه أن يشق بعساكره إقليماً واسعاً من باجة حتى سيرتا، وقد وافق ذلك خطة يوغرطة الذي عمل على استدراج خصومه للدخول في مناطق يجهلها، ومن ثمّ الإجهاز عليه بعد التحكم في الممرات الضيقة ومراقبتها انطلاقاً من كمين يكون قد رسمه مسبقاً في مسالك وعرة تضمن المياغطة الخاطفة ثم الانسحاب، وهذه المرة كان المكان المناسب هو الموثول (وادي ملاق)⁴.

لما وصل ميتلوس إلى إفريقيا اتجه نحو نوميديا وأقام معسكراً له قرب باجة استعداداً للقتال، في نفس الوقت كان يوغرطة يعدّ العدة لمواجهته فجند عدة فيالق من القبائل النوميديّة، وأرسل نفرًا منهم

¹ محمد العربي عقون، المؤرخون القدامى غايوس كريسبوس سالوستيوس وكتابه حرب يوغرطة، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م، ص55.

²Saumagne Charles, Le Champ de Bataille de Muthul, Rev.Tun, N^o :1, société anonyme de l'imprimerie rapide de Tunis, Tunis, 1930, p3.

³ محمد حسين فنطر، يوغرطة، المرجع السابق، ص179.

⁴ محمد العربي عقون، المؤرخون القدامى، المرجع السابق، ص56.

ليتعقبوا تحركات العدو، وأمرهم بالتخفي خلف الأشجار¹، وذهب هو ومن معه من المشاة والخيالة قرب الجبل وكلف قائده بوملكار (Bodmilqart) بحراسة جهة النهر مع فيلته ومشاته². اعتمد يوغرطة على عنصر المفاجأة فانتظر الجيش الروماني حتى تجاوزه، وهناك أشار لمشاته (2000 من المشاة) باحتلال الجبل الذي انحدر منه ميتلوس حتى يقطع عليه طريق العودة إليه، فلما أحس ميتلوس بالخطر الذي يحيط به أعاد تنظيم جيشه، وأوعز إلى ضابطه روتيليوس بنصب معسكر لهم قرب النهر.

بينما اتهمك الرومان في ذلك العمل باغتهم النوميدي، فانتشر الهلع والخوف في صفوفهم، فقد طوقهم النوميدي من الجهتين، واستمروا في القتال حتى الليل³، ويذكر سالوستيوس أنهم كانوا يتراجعون بعد تقديم ضرباتهم للجيش الروماني ليعيدوا تنظيم فيالقهم من جديد ثم يعودون لمتابعهم (الرومان) من الخلف وعلى الجانبين مستعملين خيولهم المدربة على الجري وخفة حركة المشاة⁴، وتذكر المصادر التاريخية أن يوغرطة كان يتنقل بين صفوف جيشه بنفسه ويحثهم على المواصلة ويقوي من عزيمتهم، ويذكرهم بالانتصارات التي حققوها بسيرتا ويناشدهم الدفاع عن مملكتهم⁵. (أنظر المخطط (2)، الصفحة 185)

لم تكن مهمة روتيليوس مع فرسانه لإقامة معسكر للرومان قرب وادي تاسا بالمهمة السهلة، فقد فوجئ هناك بالقسم الثاني من جنود يوغرطة، والتي كانت تحت قيادة بوملكار الذي كان يتبع تحركات روتيليوس فنزل بقواته إلى السهل بهدوء، وفي نفس الوقت كان ضجيج الحرب تحت قيادة يوغرطة يتزايد، فخاف بوملكار أن يُسرّع روتيليوس لنجدة قائده فقرر الزحف بجنوده عليه، إلا أنه لم يفلح ولاذ بالفرار⁶.

¹ أحمد السليمان، ماسينيسا ويوغرطة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص، ص 57، 58.

² أصطيفان أكصيل، ج 7، المرجع السابق، ص 169.

³ محمد العربي عقون، المؤرخون القدامي.....، المرجع السابق، ص 58.

⁴ المرجع نفسه، ص 170. وايضاً سالوست، المصدر السابق، ص 71.

⁵ Salluste, op.cit, LI.

⁶ سالوست، المصدر السابق، ص 72.

رأى ميتلوس بعد تلك الهزيمة أن يغير من أسلوبه فراح يخرب المدن والقرى الواحدة تلو الأخرى دون أن يدخل إلى معقل المملكة النوميديّة، أما يوغرطة فتوجه إلى منطقة كثيفة الأشجار واستطاع تأمين عدد من الجنود¹ وراح يتتبع ميتلوس لكنه لم يدخل معه في مواجهة مباشرة.

حاول ميتلوس أن يرفع من معنويات جيشه المنهار فتوجه نحو زاما وحاصرها في محاولة بائسة منه لاستدراج يوغرطة لمواجهة مباشرة، لكن يوغرطة فاجأه بأن تقدم إلى المدينة وحث أهلها على الدفاع عنها، وقد استعمل الرومان القذائف والسهام لإخضاع المدينة²، وفي أثناء المعركة انقض يوغرطة على المعسكر الروماني، وعات فيه فساداً وقتل العديد من الرومان³ كل هذا وميتلوس منهمك في عملية الزحف على زاما، ولما أحس يوغرطة بالهزيمة فرّمع جنوده متخفياً بين مسالك وغابات وطرق ملتوية ومرتفعات (انظر الشكل (31)، الصفحة 186) دون أن يعرف العدو موقعه وهو ما يعرف بسياسة الكر والفر.

وعن استراتيجية الكر والفر يذكر المؤرخون في وصفهم للنوميد أنهم كانوا يندفعون كتلة واحدة حتى أنك ترى الخيالة مندجين في صفوف المشاة، ويتقدم الجميع دفعة واحدة مما كان يدهش الرومان، فالخيالة يتقدمون للزحف على جيش العدو فيكسرون نظامه وصفوفه ويفتحون فيها فجوة، وعندها يتراجعون ويتركون المجال للمشاة حتى يقسموا العدو ويشتتوه أو يقتلوه.

وفي حالة تفرّق شمل العدو وفرارهم ترى الخيالة تطاردهم، فللخيالة دورين فتح الفجوة ومطاردة فلول العدو⁴، ويعرف هذا التكتيك اليوم بحرب العصابات، وقد أعيت الرومان كثيراً، إذ صرح ميتلوس في حربه ضد يوغرطة " إن يوغرطة مُقاتل، لا بد من الحذر منه غائباً أو حاضراً، مهاجماً أو مسالماً"⁵.

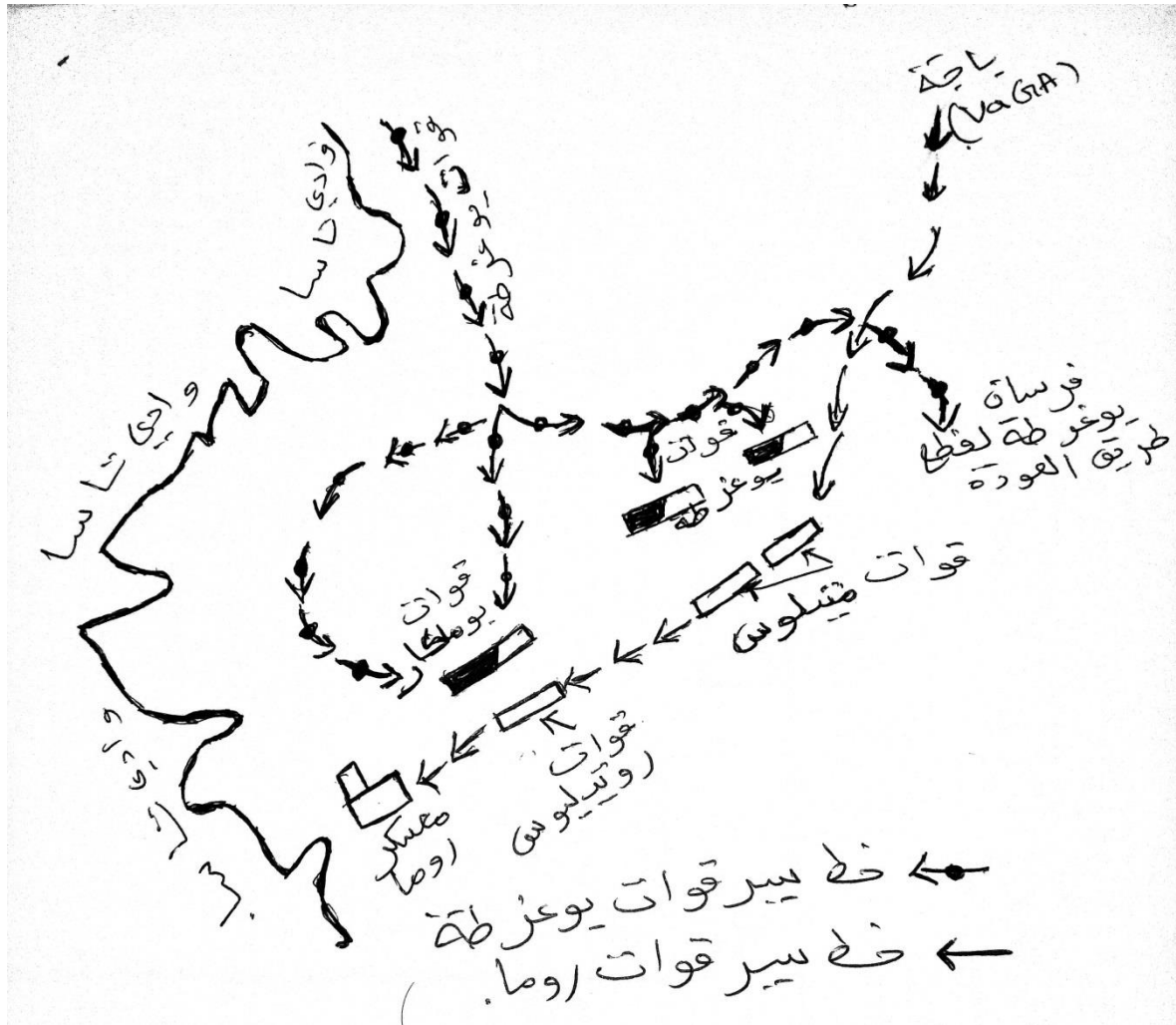
¹ محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص 183.

² محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص 97.

³ Salluste, op.cit, LVIII.

⁴ محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص 191.

⁵ Salluste, op.cit, LVI.

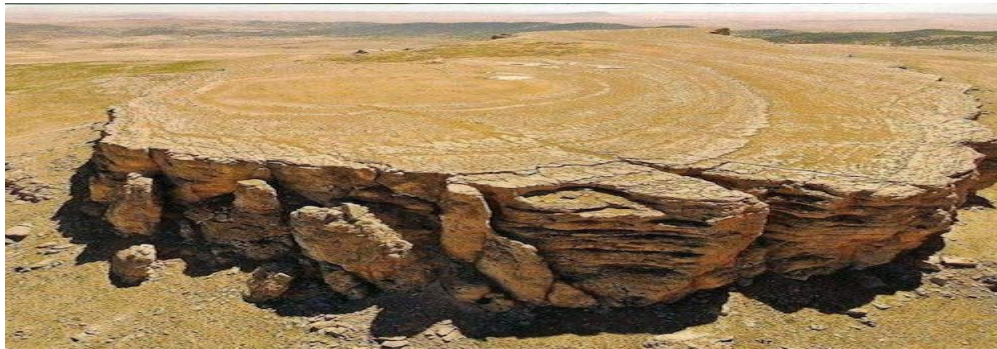


المخطط (2)

توزيع قوات يوغرطة في معركة الموثول (استراتيجية نصب الكمائن)

اعتماداً على:

Saumagne Charles, op.cit, p15.



الشكل (31)

صورة علوية وأخرى جانبية لمائدة يوغرطة التي مثّلت حصناً منيعاً له في حروبه ضد روما بتونس

نقلاً عن:

<https://www.ultrasawt.com> -

تاريخ الزيارة: يوم 7-4-2020م، على الساعة 10:30.

في باجة سنة 108 ق.م نصب يوغرطة كميناً لجنود إحدى الثكنات العسكرية بأن استدرجهم بالاتفاق مع أعيان المدينة للمشاركة في احتفالاتهم، ثم فاجأوا القيادة الرومانية قبل أن يصطفوا ويحملوا عتادهم، واستمرت المعركة حتى الليل فخاف ماريوس على جنوده وانسحب¹.

بعد تلك الانتصارات التي حققها يوغرطة استجمع الرومان قواهم وسجلوا بعض الانتصارات عليه في زاما سنة 108 ق.م وتالة²، مما أوجب على يوغرطة التوغل نحو الصحراء ليرفع من عدد قواته، فدرب الجيتوليين على القتال واتباع النظام، كما تحالف هناك مع الملك بوكوس الأول الذي نجح في إقناعه بضرورة الانضمام إليه ضد روما ووطد علاقته به بأن تزوج من ابنته.

خاض الطرفان الحرب معاً في سيرتا ضد ماريوس - الذي عين على قيادة الجيش في 107 ق.م- والتي اختير لها التوقيت المناسب، إذ اندلعت عند الغروب، وهي الساعة التي تلائم النوميد، وتعرقل حركات الجيش الروماني الذي لا خبرة له بالمكان والطرق الملتوية، وفاجأوا القوات الرومانية قبل أن يتلقوا التعليمات من القيادة، فكان الفرسان النوميد يسددون ضرباتهم نحو العدو ويدوسونه، ثم يتراجعون متفرقين بسرعة وكأن قوة ما تصدت لهم، وذلك ما أثار الرعب والفوضى في نفوس الرومان، حيث عبر عن ذلك سالوستيوس بقوله "إنها أشبه بحروب قطاع الطرق".

فرغم انتشار الظلام كان يوغرطة يحث جنوده على المواصلة إلى أن شعر ماريوس بالهزيمة فسحب قواته ليُعيد تنظيمها ويستعد لتوجيه ضربة أخرى ليوغرطة إلا أن الأخير نصب له كميناً آخر، إذ حمل عليه خيالة المورين وجيش بوكوس الأول من الجهة الغربية وهو من الجهة الشرقية³، كما يذكر سالوستيوس أنه عمد إلى استعمال أسلوب الدعاية بأن حمل سيفه المملخ بالدماء وصرخ بالرومانية أن ماريوس قد قُتل، فكان لذلك وقع كبير على الجيوش الرومانية فكادت تنهزم لولا تدخل سيلا بقواته⁴.

¹ أحمد السليمانى ، ماسينيسا ويوغرطة، المرجع السابق، ص74.

² Rinn Louis, La Guerre de Jugurtha, Rev. Afri, tome: 29, 1885, op.cit, p179.

³ محمد حسين فنطر، يوغرطة، المرجع السابق، ص، ص254، 255.

⁴ سالوست، المصدر السابق، ص131.

والحقيقة أن أسلوب نصب الكمائن لم يكن حكماً على يوغرطة فقط، فقد اعتمد الملك النوميدي يوبا الأول على نفس التكتيك في حروبه مع القائد الروماني كوريو الذي استدرجه في الغابات حتى أرهقه، ثم طوقه بفرسانه من الغالين والاسبانيين¹ والليبيين المشاة والخيالة من جهة، وخيالة حليفه سابورا من جهة أخرى، وبذلك وُضع كوريو بين كفي كماشة يوبا الأول، ولم يستطع صد تلك الهجمات ولكن كان عليه أن يقاوم حتى هزم، فنكل يوبا الأول بجنوده الذين فروا إلى السفن للفرار عبر البحر، ثم نكل بكوريو ودخل أوتيكا منتصراً وسيداً².

كما نجد أن أسلوب الكر والفر انتهج من طرف الثائر النوميدي تاكفاريناس³ في حروبه ضد الرومان (17م - 24م)، فجمع جيشاً من القبائل المؤيدة له، والتي كانت في الأصل ناقمة على الأوضاع التي تعيشها كقبيلة: الموزولامي⁴ والجيتول⁵ والسينيثيين (Cinithiens)⁶ والموريين، فدرّب قسم منه على النظام والامتثال للأوامر والقتال على الطريقة الرومانية التي تعلمها في فترة عمله بالجنديّة في الجيش الروماني⁷، والقسم الآخر تولى قيادته وتدريبه القائد مازيبا (Mazippa) قائد الموريين.

كان قائد القوات الرومانية آنذاك هو فريوس كاميلوس (Furius Camillus) الذي كان مدعوماً بالفرقة الأوغسطية الثالثة، والتقى الطرفان لأول مرة سنة 17م قرب وادي المثول، ويذكر

¹Stéphane Gsell, Tm: 8, op.cit, p21.

² محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص329.

³ كان تاكفاريناس يعمل في الجيش الروماني بصفة مساعد (Auxiliare)، ثم فر لما رأى من عنصرية الرومان وعداوتهم لأبناء جلدته من النوميدي فتحرّكت فيه غريزة الوطنية والدفاع عن الوطن أنظر:

Tacit, Annales, trad: J. Burnouf, librairie de L. Hachette, Paris, 1859, liv: II, LII.

⁴ الموزولامي: هي قبيلة ليبية يمتد إقليمها من منطقة الأوراس من سوق أهراس إلى ما وراء النمامشة (تبسة) جنوباً. كان سبب انضمامها لتاكفاريناس هو سيطرة الرومان على قسم هام من أراضيها، وطردهم لمناطق فقيرة. أنظر: محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، المرجع السابق، ص177.

⁵ من أهم الأسباب التي دعت الجيتوليين إلى المشاركة في مقاومة تاكفاريناس هو سحقهم على يوبا الثاني، فتمردوا عليه وعلى ابنه بطليموس. أنظر: محمد البشير شنيقي، أضواء جديدة على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص275.

⁶ السينيثيين: وهم قبيلة ليبية كثيرة العدد تتمركز بجوار السيرت الصغرى. أنظر: أم هاني رمضاني، أهم المقاومات الوطنية في شمال إفريقيا القديم، مجلة تاريخ المغرب العربي، مج2، الع:3، جامعة الجزائر 2، ص10.

⁷ Tacit, Annales, op.cit, liv: II, LII.

تأكيثوس أن النصر كان حليف الرومان رغم قلة عددهم، وأن كاميلوس قد تُوج بعد ذلك بوسام النصر¹، والظاهر أن تاكفاريناس قد انهزم في هذه المعركة لأنه لم يأخذ الوقت الكافي للاستعداد الجيد لمجابهة الرومان، أو أنه صُعبت عليه السيطرة على تقنيات القتال الرومانية²، إضافة إلى تلقي الرومان المساعدة من يوبا الثاني³ وبعض العناصر من النوميدي، وقد كان هؤلاء الأخيرين مدرّبين على الطريقة التقليديّة وأسلوب المباغثة⁴.

ورغم ذلك لم يستسلم تاكفاريناس بل واصل تدريب جيشه على التقنيات العسكريّة الرومانية مع الاحتفاظ بأسلوب المباغثة الذي يعتمد على عنصر المفاجأة والاستعانة بالطبيعة، إضافة إلى حرق المحاصيل الزراعيّة في موسم الحصاد، وهي مهمة الفيلق الذي كان بقيادة مازيبا والتي كان يؤديها بنجاح، ورغم هزيمة تاكفاريناس أمام كاميلوس كان يواصل ضرباته القويّة للمؤسسات الرومانية، فيظهر تارة ويختفي تارة أخرى مثيراً الرعب والفرع في كل مكان يحلّ به. وفي قلب قبيلة الموزولامي وقع اشتباك بينه وبين ديكريوس (Decrius) الذي نصب له تاكفاريناس كميناً عند نهر باجيدا (Pagida) ففضى عليه، ولم ينجو من رجاله إلا القليل بعد فشله في جرّ تاكفاريناس إلى معركة نظاميّة مكشوفة⁵.

واصل تاكفاريناس انتصاراته بالجنوب النوميدي، بينما كان المور يسيطرون على الجنوب الموريتاني مكبدين جيش يوبا الثاني خسائر فادحة، وقد كان لأسلوب الغارات المفاجئة والمناوشات والعمليات المحدودة (الكر والفر) دوراً فعالاً في تحقيقها، وبما أن الغارات كانت تعتمد على الهجوم المفاجئ في الأماكن غير المتوقعة وفي الزمن غير المتوقع فلم يكن بمقدور القادة الرومانيين التحكم فيها أو إيقافها⁶.

¹ Ibid, liv: II, LII.

² محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص55.

³ René Cagnat, op.cit, p, p 10, 11.

⁴ محمد البشير الشنيقي، المرجع السابق، ص54.

⁵ Tacite, op.cit, liv: III, XX.

⁶ مصطفى أعشي، ثورة تاكفاريناس ومجموعة الموسولام نموذج المقاومة ضد الرومان، الحركة، الع:3978، أكتوبر 2000،

ص- ص 1-3، متوفر على الرابط : <http://www.tawalt.com/?p=23776>

أثارت الهزائم المتتالية للرومان الرغبة في الانتقام فأرسلوا البروقنصل الروماني أبرونيوس (Apronius) سنة 20م، الذي قرر قيادة الجيش بنفسه ومعاينة الفارين من الحرب ضد تاكفاريناس، فسلط عليهم عقوبات صارمة حتمت عليهم البقاء في ميدان المعركة مهما كانت النتيجة¹، وقد استطاع تحقيق الانتصار في تالة بالقرب من الحدود الجزائرية التونسية حسب تاكتيوس، فاضطر تاكفاريناس إلى الانسحاب إلى السهول المحاذية للسواحل الجنوبية التونسية لكن ابن أبرونيوس كايسيانوس (Caesianus) لحق به بفرسانه فهزمه فاضطر تاكفاريناس للتراجع مرة أخرى إلى الجنوب²، والظاهر أن انسحابه ذلك كان فراراً لأنه تراجع نحو الجنوب ليعود مرة أخرى، وفي ذلك يذكر تاكتيوس " فرَّ تاكفاريناس لكنه سرعان ما عاد إنه يتبع خطته لقد كان الجيش الروماني مرهقاً في متابعته"³.

ولما كانت السيطرة على أراضي الموزولامي سبب مباشر في اندلاع الحروب فان تاكفاريناس بعد تسجيله لتلك الانتصارات أرسل برسالة إلى الإمبراطور الروماني تيريوس يطلب منه إعادة الأراضي التي تم السطو عليها من قبل الرومان وإلا فالجرب⁴، إلا أن تلك الرسالة أثارت غضب تيريوس الذي لم يقدم أي تنازلات للتعامل معه قبل تحقيق الانتصار العسكري عليه واعتبر ذلك وقاحة⁵ وتنقيصاً من سمعة الرومان، فعين قنصلاً جديداً للمهمة هو القنصل يونيوس بلاسيوس (Junius Blaesus)، الذي أصدر قانون العفو⁶ عن كل جندي نوميدي يضع السلاح.

¹ رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981،

Dion Cassius, liv: XLI, 35.

² محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص374.

³ Tacite, op.cit, liv: III, XXI.

⁴ René Cagnat, op.cit, p18.

⁵ شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص179

⁶ يبدو أن هذه السياسة لم تنجح رغم أن تاكتيوس يفند ذلك، والحقيقة أن الجرمنتيون طلبوا العفو من تيريوس، ولكن الراجح أن طلبهم ذلك كان بعد وفاة تاكفاريناس، ويؤكد ذلك النصب التذكاري لقوس تيريوس ببلدة أن عملية استعادة السكان المحليين لأراضيهم الزراعية كانت صحيحة. أنظر: محمد علي عيسى تبليط شوارع مدينة لبدّة وثورة تاكفاريناس، جولات في التاريخ الليبي، متوفر على :

<https://historylibya.wordpress.com/2013/10/23/%d8%aa%d8%a8%d9%84%d9%8a-%d8%b7-%d8%b4%d9%88%d8%a7%d8%b1%d8%b9->

أما على مستوى غرفة العمليات العسكرية فكان بلاسيوس يجهز لتكتيك قتالي مختلف يتوافق مع أسلوب المباغته الذي سلكه تاكفاريناس حيث قسم جيشه إلى تشكيلات صغيرة مستقلة وسريعة الحركة بقيادة ضباط متمرسين وبنى الحصون لتطويق النوميدي¹، كما شدد الحراسة على حيدرة التي كان قد اتخذها تاكفاريناس مركزاً له، وكادت هذه الخطة أن تُفشل ثورة تاكفاريناس إذ تم القبض على أخيه.

ظن الرومان بذلك أنهم أحرزوا انتصاراً، لكن سرعان ما ظهر تاكفاريناس من جديد مستغلاً الظروف الجديدة بوفاة يوبا الثاني حليف الرومان وتولي ابنه بطليموس السلطة من بعده من جهة²، وحصوله على الدعم من قبائل الجرامنت من جهة أخرى، وهكذا انتشرت الثورة في كامل المقاطعة الإفريقية، فحاصر تاكفاريناس المدن وشن حروباً على كل ما يرمز لسلطة الرومان، ومن أهم المدن التي حاصرها مدينة توبورسيكو (Tubursicum)، تيكالت غرب بجاية³، التي كانت تحت السيطرة الرومانية غير أن حاكم ولاية إفريقيا أسرع إليها مما أجبر رجال تاكفاريناس على التوجه غرباً نحو أوزيا (Auzia)⁴ أين فاجأه الجيش الروماني وهناك لقي تاكفاريناس حتفه بأن رمى بنفسه من الأعلى سنة 24م⁵.

وهكذا انتهت ثورة تاكفاريناس غير أن الاستراتيجية العسكرية ظلت مستمرة مع ثائر آخر هو ايدمون (Aedmon)⁶ الذي انضمت إليه القبائل الرعوية والريفية وسكان الصحراء والموزولاميين، حتى قال عنها بعض المؤرخين أنها شملت كل شمال إفريقيا .

[= %d9%85%d8%af%d9%8a%d9%86%d8%a9-%d9%84%d8%a8%d8%af%d8%a9-%d9%88%d8%ab%d9%88%d8%b1%d8%a9-%d8%aa%d8%a7%d9%83%d9%81%d8%a7%d8%b1%d9%8a%d9%86](#)

¹ بديع العمر، المرجع السابق، ص 278.

² مصطفى أعشي، المرجع السابق، (ص، ص) (2، 3).

³ Tacit, op.cit, liv: IV, XXIV.

⁴ هي مدينة سور الغزلان اليوم بالجزائر

⁵ Tacit, Ibid, liv: IV, XXV

⁶ يذكر بعض المؤرخين أن ايدمون كان أحد رجال بطليموس المقربون، وأنه تمرد تحت ذريعة الانتقام لاغتيال بطليموس من طرف الإمبراطور الروماني كاليغولا عام 40م، وتعيين حاكم جديد بدله، ويرى آخرون أن سبب ثورته هي اسباب سياسية تمثلت

نُجح إيدمون في تنفيذ استراتيجية نصب الكمائن والكر والفر، إذ استدرج الجيش الروماني في معاركه إلى الداخل وأجبره على التوغل داخل الغابات كي يضلّ طريقه بجهات ويليي وزرهون، وهي مناطق معروفة بجبالها التي كان يحتمي خلفها جنوده عند الحاجة فيتم نصب الكمائن للجيش الروماني معتمداً على أنصاف البدو في عملياته الهجوم لما كانوا يتمتعون به من استعداد دائم بحكم نمط حياتهم التي تعتمد على الحل والترحال فامتعتهم وأسلحتهم دوماً فوق خيولهم، كما كانوا ماهرين في الفروسية وخفيفي الحركة¹. وفي ذلك يذكر غزال "إن الرومان ومنذ عهد حنبعل قد أدركوا جيداً أن هؤلاء الأفاقة ليسوا من الأعداء الذين يُستهان بهم، إنهم يتنقلون بسرعة سواء في الحرب أو الهجرات بأسرهم وقطعانهم وماشيتهم"²

والواضح أن هذه المقاومة هزت مكانة الرومان في العالم إلى درجة أنهم استقدموا للقضاء عليها الفرقة الأوغسطية الثالثة (Augusta III) والفرقة المقدونية الرابعة (IV Macedonic)، والفرقة السادسة الفيكتيرية (VI Victrisc) والفرقة الجيمينية العاشرة (X Gemina)³، والتي كان يتم تموينها من القمح من طرف أمبونيوس سيلو (Silo Umbonius) الذي عُوقب فيما بعد بسبب تهاونه في مهمته تلك.

كما عينوا عدة قناصل لإلقاء القبض على إيدمون ومنهم سويتونيوس باوليتوس (Suetonius Paulinus) الذي لاحق الجيوش الموريتانية إلى غاية جبال الأطلس و نهر "غار" دون أن يحرز نصراً نهائياً، فكان على خلفه هوزيديوس جيتا (Hosidius Geta) أن يبذل جهوداً أكثر في منازلة ملك المور صالايوس (Salabus) ومتابعة تحركاته وتعقبه حتى الصحراء، مما كلفه خسائر كبيرة بسبب

= في محاولته الاستيلاء على السلطة والانفراد بما بعد اغتيال بطليموس، وقد ساندته القبائل المورية خوفاً مما يمكن أن يؤدي إليه الاحتلال من مصادرة للأراضي لمصلحة المستوطنين، أو تقليص مجال الرعي والحد من تحرك الرحل وأنصاف الرحل، وإجبارهم على الاستقرار ودفع الضرائب. أنظر: محمد مقدون، على واحدي، إيدمون، معلمة المغرب، المجلد: 3، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، الرباط، 1410، 1989، (ص، ص)، (923، 925). وكذا: René Cagnat, op.cit, p30.

¹ محمد العربي عقون، الونشريس الهوية والمقاومة في القديم، أنظر: مجموعة مؤلفين، اسهامات منطقة الونشريس في المقاومة الجزائرية عبر التاريخ، منشورات دار الثقافة لولاية تيسمسيلت، 2012م، ص 25.

² أصطيفان أكصيل، ج 7، المرجع السابق، ص 143

³ René Cagnat, op.cit, p26.

وعورة الصحراء، بينما ساعدت المور في جر الرومان إلى المناطق الرملية التي اعتاد على قساوتها الأفارقة، وعلى معرفة مسالكها¹.

وبعد وفاة ايدمون في ظروف غامضة اندلعت ثورات أخرى محلية كثورة البوار، والقبائل الخمس، وثورة تيسدروس (الجم) والتي يظهر أنها كانت تمارس نفس الأسلوب القتالي²، وفي إشارة لأميان يذكر أن فيرموس انتهج حرب الكمائن والكر والفر بسبب اختلال التوازن في القوة بينه وبين الرومان بقيادة تيودور مستفيداً من بعض العثرات وأوقات الراحة وتضاريس المنطقة لتنفيذ هجوماته، فلم يستطع الرومان القضاء عليه إلا بعد التنويع في أساليبهم القتالية وتدبير المؤامرات ضده³.

مما سبق يمكننا القول أن أسلوب نصب الكمائن والكر والفر كان من أهم الاستراتيجيات العسكريّة التي كان لها الفضل في تحقيق العديد من الانتصارات التي سجلها النوميدي والموريطانيون في مقاوماتهم، فكانت بالنسبة لهم الحل الأمثل للتصدي لقوة عسكريّة استطاعت على مر التاريخ أن تؤسس امبراطورية مترامية الأطراف هي روما، فكان السبيل الوحيد للتغلب عليها هو إثارة الرعب في جنودها ومفاجأتهم في المناطق غير المتوقعة مع الاستعانة بطبيعة الجغرافيا. وفق قاعدة " ا هجم بينما هو غير مستعد، وأظهر في المكان الذي لا يتوقعك فيه"⁴

المبحث الرابع: ردم الآبار واستهداف ممتلكات العدو

يسعى طرفي الحرب إلى تحقيق النصر بكل الوسائل وبأقل تكلفة، بتخريب كل ما يمكن أن يساعد العدو من مصادر غذائية ومائية، وكل ما من شأنه أن يُعكّر صفوة العدو ويهزمه نفسياً، وفي الغالب يُتبع هذا الأسلوب من طرف الفريق الأكثر خبرة بجغرافية تلك المنطقة.

¹ Dion Cassius, op.cit, LX, 9.

²الباسمين أقويني، السياسة الرومانية في الجهة الشمالية الشرقية لموريطانيا القيصرية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، الع:2، الجزائر، 2015، ص20.

³Ammien Marcellin, op.cit, liv: XXIX, IV, 7.

رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص328.

⁴ سن تزو، المصدر السابق، ص24.

فالنوميد وبحكم قلة العدة والعتاد أمام خصومهم من الرومان استفادوا من معرفتهم بجغرافية منطقتهم ومجاريها المائية فسمموا آبار المياه التي تتواجد على طول الطرقات المحتمل المرور بها وردموها حتى لا يستفيد عدوهم منها فيهلكوا عطشاً وتهلك ماشيتهم وحيولهم. وقد استعمل يوغرطة هذا الأسلوب أثناء حروبه ضد ميتلوس وماريوس بأن أعطى الأمر لجنوده بتسميم آبار المياه التي يلجأ إليها الرومانيون للتزود بالمياه، وسمموا الأعشاب أيضاً على طول الطريق الذي سيمرون منه¹، ويذكر المؤرخين أن الجرمنتيون في حروبهم ضد فاليريوس فستوس في عهد الإمبراطور فسباسيان كانوا يعمدون إلى غمر الآبار بالرمل، كما أنهم كانوا بارعين جداً في حفر آبار جديدة عند الحاجة².

وورد في كتاب أبيان أن البومبيين وحليفهم يوبا الأول عمدوا إلى المياه فسمموها في حروبهم ضد كوريو حليف قيصر، وفي وصف تأثير السم يُذكر أن جنوده قد شربوا منه فصاروا في حالة سكر، وأصيبوا بتشنجات في كامل أجسامهم، وتولدت لديهم رغبة في النوم والقيء، فاضطر كوريو إلى نقلهم إلى معسكره بأوتيككا³، ويُفند غزال رأي أبيان فيوعز سبب الألم الذي ألم بجيش كوريو إلى الحرارة المرتفعة التي لم يعتد عليها الرومان في بلادهم، وتسمى بمرض الديدسونطري (Dysenterie)⁴.

إلا أننا نرجح أن تلك الأعراض التي ذكرها أبيان لا تعود أسبابها لارتفاع درجة حرارة الجو لوحدها إنما هي نتيجة لتجرع نسبة من السم، كما أن اللييون كانوا معروفين تاريخياً بالتداوي بالأعشاب والعقاقير التي تنمو بمنطقتهم، وكثيراً ما استعملوا السم كآداة لإنهاء الشرور أو الموت بكرامة، فتذكر الروايات أن ماسينيسا الذي رفض الاستجابة لطلب شيبيون الإفريقي والذي رفض زواجه من الأميرة صفونيزب ابنة عزربعل بن جرسكن القرطاجية كان قد وضع حداً لحياتها بأن قدم لها كوباً من السم ليضمن لها كرامتها⁵، وهو يقول: لا تبكي صفونيزب!!! إنك تموتين موت

¹ أحمد السليمانى، ماسينيسا ويوغرطة، المرجع السابق، ص 62

² تشارلز دانيلز، المرجع السابق، ص 34.

³ Appien, op.cit, liv: II, 44.

⁴ Stéphane Gsell, T: VIII, op.cit, p,p 18,19

⁵ محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج، منشورات البحر الأبيض المتوسط، أليف مركز النشر الجامعي، ص 30.

الأعجام¹، فتجرعته بدون تردد مُفضلة الموت على حضور مراسم الاحتفالات التي يقيمها الرومان فرحاً بانتصارهم على وطنها قرطاج².

وفي حروب تاكفاريناس ضد روما خصص قسماً كاملاً من جيشه للقيام بهذه المهام، والذي كان تحت إمرة حليفه مازيبا قائد القوات الخفيفة التي كانت تعمل على بث الرعب في كل مكان بإضرام النار في الغابات لإرهاب الرومان كما ذكر تاكيتوس الروماني³، ويذكر المؤرخون أن الموريطانيون والجيتول في تالة كانوا يشعلون النيران ويقضون معظم ليلهم في الاحتفال بانتصاراتهم مع قادتهم⁴. وتفيد الدراسات الأركيولوجية في كل من تمودة وسيدي عبد السلام وموقع جرف الحمر أنّها تعرضت للتخريب والدمار، كما أن البوادي هي الأخرى تعرضت للتخريب وحرق المستودعات الفلاحية في ثورة إيدمون كرد فعل من الرومان⁵.

مع انتشار المسيحية بشمال إفريقيا وظهور التيارات المحددة وأهمها الدوناتية - سنشير إليها فيما بعد- التي أعلنت استيائها من السلطة الرومانية، وفي نفس الوقت لقيت استحساناً وقبولاً من طرف الليبيون بشمال إفريقيا بسبب أن دوناتوس ضمّن حركته مطالب اقتصادية واجتماعية وسياسية جعلت جمهور الفقراء والمضطهدين وجماعة الدوارين ينضمون إليها.

كُلّت سنة 347م بتحالف الدوارين أو الثوار الريفيون (Les Circoncellion) - وهو نعت أطلقه عليهم الرومان للإنتقاص من دورهم ووصفهم بقطاع الطرق واللصوص- مع الدوناتيين، فصاروا يسمون أنفسهم " مقاتلي الله " أو جنود المسيح " ويفتتحون معاركهم بذكر الرب والحمد لله⁶.

¹ محمد حسين فنطر ، صغنية ، مؤتمر المرأة في الوطن العربي عبر العصور، الأكاديمية الدولية للعلمية والتحكيم ، تونس ، 2017، ص11.

² خديجة منصوري ، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال الآثار المادية والمصادر الأدبية ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، الع:25، 2008، ص277.

³ Tacite, op.cit, liv: II, LII.

⁴ محمد السيد محمد عبد الغني، نماذج من الكفاح الجزائري ضد الهيمنة الرومانية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1999م ، ص85.

⁵ سعيد البوزيدي، المرجع السابق، ص234.

⁶ Bruno Porttier, Les Circoncellions, Anti- Afri, N°: 44, Edi: C N R S, Paris, (p, p)(44,45).

وقد انتهجوا في مقاومتهم عدة أساليب كالنهب والسلب وإثارة الفوضى وغيرها، وكانت هجماتهم ضد أصحاب العقارات أو المجتمع الارستقراطي المدني في نوميديا، إذ كان الثوار الريفيون يجومون حول المزارع ومستودعات المؤن الرومانية في الليل وينهبونها، فصار الأسياد يعيشون في رُعب وخوف من عبيدهم ولم يعد للاعتراف بالديون أية قيمة، ولم يعد لأي دائن أن يُرغم مديونه على أداء الدين الذي عليه، بل وتعدى الأمر بإرسال رسائل تهديد للدائنين في حالة تأخره في تنفيذ مطالبهم لأن الثوار في هذه الحالة سيعمدون إلى الطرق فيقطعونها عنه ويقتصون منه¹.

كان الأسياد كثيراً ما يمسخون تلك الديون مهما كان حجمها حتى يفلتوا من العقاب، فالطرق غير آمنة و في الكثير من الأحيان كان الثوار يقطعون طريق الأسياد فيُنزلونهم من العربات ويأمروهم بأن يكملوا سيرهم راجلين، ويركب العبيد في العربات، وكثيراً ما مزقوا أمام الأسياد عقود شراء العبيد، وفي حالة رفض الأسياد تحرير عبيدهم كانوا يذيقونهم شتى أنواع العذاب، لأنهم يُدركون جيداً أن الطبقة الأرستقراطية هي المسؤولة على ما حلَّ بهم من بؤس وشقاء وضنك في العيش بسلبهم أراضيهم وتحويلهم إلى عمال مستقلين أو مستأجرين بأجور زهيدة في مواسم الحصاد²، وفي ذلك يذكر القديس أوغسطين: " لقد أصبح الأسياد يخافون من عبيدهم، لقد تحول خوف العبيد إلى الأسياد لدرجة أن صاروا يُزلونهم في الطرقات"³

والظاهر أن هذا الأسلوب كان منتشرًا بكثرة عند الليبيون القدماء، فقد ذكر المؤرخون أن قبائل الأوستيريان (Austuriens) بطرابلس كانت تسطوا على المؤسسات الزراعية للرومان وتُخرّبها بقلع أشجار الزيتون والكروم⁴، ولعل اختيار هذا من طرف الثوار الريفيين أو الدوارون كان عن قناعة منهم بفشل الحرب المباشرة أو المواجهة مع القوات الرومانية التي تفوقهم عدة وعتاد، ومعتادة على

¹ محمد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية.....، المرجع السابق، ص314.

² S.Lancel, Circoncellions, Encyclopédia Berbère, N°:13, 1994,p2,

<https://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2288>

Vannier Odette, Les Circoncellions et leur Rapportes avec l'église Donatiste d'après le Texte d'Optat , Riv. Afri, op.cit , N°:67, 1926, p17.

³ Augustin, Les lettres de S. Augustin, trad: Rangées Selon l'ordre des temps du bois , Jean Baptiste Coldnard, Paris, tome: V, P149.

⁴ Réne Cagnat, op.cit, p77.

إتقان ذلك الفن إضافة إلى خبرتها في ذلك سواء في الحروب التي خاضتها في شمال إفريقيا أو في مناطق أخرى .

ومن هنا جاءت فكرة استهداف ممتلكات العدو على أنها الوسيلة الوحيدة للتأثير على نفسية الطبقة الأرستقراطية المحتكرة للسلطة والمال والأرض، فهم وفقاً للقانون الروماني يتمتعون بالشخصية القانونية باعتبارهم أحرار من الدرجة السفلى لكونهم طبقة اجتماعية متجانسة من الأهالي التي تعيش ظروف اجتماعية بائسة، وتضم شريحة بشرية استُغلت من طرف المعمرين للقيام بالأعمال الفلاحية وهم المهزومون أو الغارمون والأجانب¹ .

وعلى الرغم من أن البعض يذهب في تفسير اسمهم بالدوارين لأنهم يدورون حول المخازن والمزارع لسرقتها، إلا أن الحقيقة أنها شملت المنازل أيضاً والطرق مستعملين العصي التي كانت تستعمل في جني الزيتون كسلاح لهم قبل استعمال السيوف فيما بعد، وقد راعى الدوارون التوقيت المناسب للقيام بتلك العمليات، فكانوا ينتظرون حتى ساعات متأخرة من الليل حيث تخلوا المزارع من أسيادهم فيأخذون ما بها من غلات، فصارت باغاي بخنشلة معقل للمقاومة والكنيسة مخزن للحبوب² .

ظلت الدوناتية والدوارون يمارسون أعمالهم رغم المضايقات والتنكيل الذي لحق باتباعهم، واستمرت أعمالهم تلك التخريبية مستمرة طيلة القرن الرابع متحالفة مع المقاومات الأخرى التي اندلعت كمقاومة فيرموس وأخوه جيلدون، ومن هنا يجوز لنا القول أنها أطول مقاومة على الإطلاق من حيث مدتها ونجاح أسلوبها الحربي الذي استطاع الثوار بفضلها من الاستمرار في المقاومة، كما أن تباين موقف الإمبراطورية الرومانية ضد الثورة كانت دليل واضح على نجاح أسلوب النهب والسلب، فتعامل الرومان معهم تارة بالشدة، وأخرى بالليونة والتسامح والإغراء .

لقد كانت آثار ثورة الريفيين وخيمة على الرومان، فكانت ضربة موجعة للاقتصاد الروماني والأمن القومي العام، ولم يعد القضاة قادرين على كبح جماحهم لكثرة عددهم وانتشار الثورة في جميع المناطق (أنظر الخريطة (7)، الصفحة 199)، فلا القوانين صارت تُطبق ولا الإداريين وأعوان جمع

¹ محمد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية.....، المرجع السابق، ص، ص 309، 310.

² شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص، ص 299، 301.

الضرائب صاروا قادرين على جمع الضرائب، لقد كانوا يأخذون كل ما يجدونه أمامهم فيأكلون ويتصدقون بالباقي على الفقراء¹، كما أدى تسريح العبيد إلى نقص اليد العاملة الموسمية خاصة وأن روما كانت تعتمد عليهم في موسم الحصاد، ولذلك نجد أن البعض يصفهم بأنهم مجموعة من العمال الزراعيين².

ونظراً لنجاعة هذا الأسلوب فإننا نجد بأنه أنتهج من طرف الثوار الذين انضموا للقائد فيرموس فيما بعد، فقد كانوا ينهبون الثروات ويُسرحون الماشية في مزارع الرومانيون ويحرقون المدن، وتذكر المصادر أن فيرموس أحرق مدينة قيصرية (شرشال) وايكوزيوم (الجزائر) بالكامل، ولذلك نجدهم يُعتونهم بـ"اللصوص والمتمردين"³.

استمر اعتماد استراتيجية استهداف ممتلكات الرومان في حرب جيلدون شقيق فيرموس الذي انقلب على الرومان بعد توليه الحكم مستغلاً الظروف المضطربة التي كانت تعيشها روما، فكان جيلدون يشن الغارات ويسطو ويثير الرعب، ولذلك يعتبر البعض أن مقاومة فيرموس وجيلدون هي استمرار للثورة الدوارين خصوصاً أنهم كانوا يشكلون معظم جيشهم⁴.

وفي ذلك يذكر ستيفان غزال ".....انهم يعرفون كيف يحاربونفيخلون المجال من حول العدو ثم يسدون المنابع والآبار ويسمونونها ويجتثون المحاصيل الزراعية ثم يسوقون الماشية ويتلفون خطوط المواصلات ويقتلون المتباطئين من جنود العدو"⁵

¹ عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في المغرب القديم، دكتوراه تاريخ قديم، اشراف: محمد الصغير غانم، جامعة منتوري قسنطينة، 2010، 2011، ص257.

² Bruno Porttier, op.cit, p44.

³ Camps(G), Firmus, op.cit, p5.

⁴ France Jérôme, L'Afrique Romaine des Flaviens aux Vandales , Université Michel de Montaigne-Bordeaux3,tome: 2, p23.

⁵ اصطيفان أكصيل، ج7، المرجع السابق ، ص143.



الخريطة (7):

خريطة تقريبية للمناطق التي شملتها ثورة الدوايرن

نقلًا عن:

عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 254.

وهكذا كان لأسلوب ردم الآبار واستهداف ممتلكات العدو بالغ الأثر على المدنيين والجنود الرومانيين في آن واحد، وقد ادت دورها في ضرب العدو وكسر قوته وإضعافه اقتصادياً دون قتال أو مواجهة مباشرة، وهو ما يسمى بـقمة المهارة والتفوق الأعظم في فنون الحرب .

المبحث الخامس: أسلوب الحصار العسكري والسلاح الاقتصادي :

سنعالج مضامين هذا العنصر وفق جزئيتين أساسيين هما الحصار العسكري ثم السلاح الاقتصادي في مقاومة جيلدون .

أولاً: الحصار العسكري

استعمل أسلوب الحصار العسكري منذ القدم لاستهداف منطقة معينة وقطع الامدادات عنها تمهيداً لاقتحامها أو استسلامها، ونظراً لنجاعة هذا الأسلوب الحربي نجد أن النوميدي انتهجوه أيضاً، ففي حرب يوغرطة وفي فترة تربيته لعملية الاستئثار بالعرش النوميدي ظل هذا الأخير يُراقب تحركات ابن عمه أذربعل للتخلص منه، وبعد فراره لسيرتا ضرب عليه حصاراً استمر لمدة خمسة أشهر، رغم أن روما أرسلت له مطالب بوقف الحصار وانهاء الحرب استجابة لنداءات أذربعل، ولم ينتهي الحصار إلا باستسلام المدينة، إذ يذكر المؤرخون أن أهالي المدينة وبعد ادراكهم بعدم جدوى ردود الفعل الروماني أمام يوغرطة طالبوا أذربعل بتسليم المدينة ليُوغرطة فاستجاب لذلك وسلّمه المدينة بشرط الحفاظ على حياته، غير أن ذلك لم يشفع له عند يوغرطة الذي تفنن في تعذيبه ثم قتله، وأطلق العنان لجنده بقتل كل من يحمل سلاح بالمدينة من تجار إيطاليين ونوميدي، فكانت مجزرة لا سابق لها حسب سالوستيوس¹ .

وبذلك يكون يوغرطة قد ألزم على روما الحرب ضده، ووجد أعداء النبلاء الفرصة سانحة لهم ليُهيحوا الشعب ضد يوغرطة، فصار باستطاعتهم القول بأن النوميدي يوغرطة تجرأ على ارتكاب جريمة شنعاء ضد الايطاليين بسيرتا بشرائه لدمم سادة الجمهورية، وكان يقود الديمقراطيون آنذاك

¹Salluste, op.cit, XXIV.

ك.ميميوس (C.Memmius)¹؛ ونتيجة لذلك قرر مجلس الشيوخ إرسال حملة لتأديبه بقيادة كابورنيوس بستيا الذي استعمل معه يوغرطة سلاح المال والدبلوماسية- كما ذكرنا سابقاً².

ونقرأ في سير وقائع مقاومة أرابيون أن هذا الأخير حاصر بفرقة خيالته السريعة وجيش حليفه سكستوس معسكر كورنفيكيوس، واستمر الحصار طويلاً لدرجة أن جيشه أصبح مهدد بالموت جوعاً وعطشاً فاضطر إلى الخروج، لكن أرابيون فاجأه بقواته فهجموا على معسكره³ وغنموا ما فيه من ذخائر وغنائم، وكان من نتائجها القضاء على كورنفيكيوس وانتحار ليليوس حليفه، وتفكيك جيشه والقضاء عليه فكان نصراً مبيناً لأرابيون⁴.

ولاشك أن هذه الاستراتيجية والاستراتيجيات السابقة لم يكن ليكتب لها النجاح في بعض الحالات دون الاعتماد على الإخباريين والجواسيس والعيون التي كان ييئها الأقاليد النوميدي لتقصي أخبار العدو، وقد خصصوا لذلك فرقة من الفرسان مهمتها جمع المعلومات عن العدو من حيث عدته وعتاده، وفي بعض الأحيان كانت تتم الإغارة على معسكر العدو وخطف بعض جنوده وإجبارهم على تسريب معلومات عن جيوشهم كما فعل يوبا الأول وحلفائه للنيل من قوات كوربو حليف قيصر⁵.

ثانياً: السلاح الاقتصادي (السلاح الأخضر)

كانت بلاد ليبيا (المغرب القديم) محط أنظار الرومان منذ الحقبة القرطاجية بسبب خيراتها الطبيعية المتنوعة وأراضيها الخصبة، وبعد احتلالها للمغرب القديم كانت تستفيد من تلك الثروات بانتظام، فكان الشمال الإفريقي القديم مطمورة روما خصوصاً القمح الليبي الذي كان يغذي الشعب الروماني لفترات طويلة، ولم تكن روما تعلم بأن تلك الثروة سوف تستعمل كسلاح في وجهها يوماً ما.

¹ أصطيفان أكصيل، ج7، المرجع السابق، ص-ص 13-142.

² بديع العمر، المرجع السابق، ص230.

³ Appien, op.cit, liv: IV, 55

⁴ محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص359.

⁵ فتحي دردار، الثورات النوميديّة في مواجهة التدخل الروماني (111-46ق.م)، ماجستير قديم، إشراف: ويزة ايت عمارة، جامعة الجزائر2، (2014-2015م)، ص121.

شهدت روما بعد ثورة فيرموس بن نوبيل أوضاعاً مزريّة وصراعات داخلية، فتوقفت توسعاتها الجغرافية كما ضربتها الأوبئة والكوارث الطبيعية (فيضانات)؛ وأمام تأزم الوضع الاقتصادي كان على روما أن تستعين بمطرمها الإفريقية¹، والظاهر أن جيلدون بن نوبيل الذي كان قد حصل على لقب الحليف من طرف الرومان لوقوفه معهم ضد أخيه فيرموس² كان قد غير من سياسته اتجاه الرومان مستغلاً سلاح القمح .

فهم جيلدون الوضع السيء الذي كانت تعيشه روما فاستغل ذلك لصالحه، فصار يتقاعس عن دفع الحبوب والمنتجات الزراعية التي كانت تُرسل إلى روما متحججاً بسوء الأحوال الجوية ورداءة المنتج أو قلته، رغم أن البعض يذكر أنه قاد مشروعاً حقيقياً في إفريقيا في مجال الإصلاح الزراعي فشهدت السوق الإفريقية وفرة في الانتاج مما جعل الأسعار مواتية للطبقة المحرومة، كما رفض تقديم المساعدات المادية والبشرية للإمبراطور بين سنتي 386 و388م للتصدي للمتمرد ماكسيموس (Maxime)، والأكثر من ذلك أنه دعم هذا الأخير بالحبوب وتعامل معه على أنه الامبراطور الشرعي، ورغم ذلك لم ينقم عليه الإمبراطور تيودوز³ لحاجته الملحة لقمح إفريقيا، وقد كرّر جيلدون نفس الموقف سنة 392م عندما رفض دعم الإمبراطور بالقمح والجنود في حربه ضد المتمرد

¹ عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في المغرب القديم، المرجع السابق، ص 276.

² تجدر الإشارة هنا أن جيلدون بن نوبيل شقيق فيرموس كان قد وطد علاقاته مع الرومان عن طريق المصاهرة بأن زوج ابنته سالفينا (Salvina) من ابن أخ زوجة الإمبراطور تيودوز، فعينه الرومان دوقاً على ولاية إفريقيا ومنحته لقب الرجل الشريف (Vir Spectabilis) وهي مرتبة لم يصل إليها إلا القليل من الأفارقة، وهو ما سمح له بقيادة القوات الرومانية بإفريقيا، حتى أننا لا نعرف كم من منطقة كانت خاضعة له، وقد منحه المنصب ذلك حق عقد الاتفاقيات مع زعماء القبائل النوميديّة والمورية لتجنيد وحدات قتالية عند الضرورة. لمزيد من التفاصيل أنظر: محمد الحبيب بشاري، ثورة جيلدون، أنظر: بلقاسم رحمان وآخرون، أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016م، ص 153.

³ تيودوز أو ثيودوسيوس الكبير: ولد في سنة 347م، وهو ابن القائد الروماني ثيودوز الذي خاض الحرب ضد فيرموس، عين امبراطوراً على الغرب سنة 394م بعد موت الإمبراطور فالنتيان الثاني مات وترك ولدين هما: اركاديوس (377-408) امبراطور بيزنطا الذي حكم النصف الشرقي من الامبراطورية الرومانية منذ 395، وهو الابن الأكبر لثيودوسيوس الأول، و هونوريوس (384-423 م) امبراطور الامبراطورية الرومانية الغربية وعاصمتها ميلانو. أنظر: www.marefa.org يوم 22-5-2020، على الساعة 15:23.

أوجين (Eugene)، كما يذكر المؤرخون أنه وزع أملاك الإمبراطور الروماني في نوميديا وقسم ممتلكات الملاكين الكبار على الفلاحين المحليين.¹

وما إن توفي تيودوز سنة 395م حتى أخذ جيلدون يجس نبض السلطة الرومانية الجديدة التي كانت بقيادة ستيلكون وزير الإمبراطور هونوريوس ابن تيودوز الذي كان بمثابة الحاكم الفعلي لإمبراطورية الغرب فبدأ بتقليص كمية القمح الذي كان يُرسل إلى روما في نطاق ضريبة التموين السنوية (الأنونة)، ومع خريف 397م أوقفها نهائياً² مستعملاً القمح كسلاح اقتصادي ضد روما وهي في أحلك فتراتها، فالأوضاع مزرية والصراع قائم بين ستيلكون وزير هونوريوس وأوتوب وزير أركاديوس، بالإضافة إلى غزو الأريك ملك القوط لمقدونيا وتراقيا وتهديده لمناطق البلوبونيز.

لقد ساهم قرار جيلدون في بث الخوف والهلع في روما وقياداتها، فأعلن ستيلكون حالة الطوارئ وأسرع إلى مجلس الشيوخ يطلب منه إعلان جيلدون عدواً لروما، كما حذر سيماك حاكم مدينة روما ومسؤول التموين مما قد ينتج عن قرار جيلدون الجريء من هيجان الشعب الروماني وانتشار الجوع مما سيهدد الاستقرار، وهذا ما دفع ستيلكون إلى التحرك بسرعة لتجنيب روما شبح المجاعة فأمر باستيراد القمح من مقاطعات غالة الداخلية، وأعلن في نفس الوقت الدخول في الحرب مع جيلدون، هذا الأخير الذي أعلن تمرده عن روما وتبعيته لإمبراطور الشرق أركاديوس الأمر الذي لقي استحساناً وقبولاً من طرف الوزير أوتوب.³

وعن أسباب تمرد جيلدون يذكر المؤرخون أن التحالف بينه وبين الرومان كان تحالفاً ظرفياً لا غير، وفي ذلك يورد كلاوديان أن تيودوز وقف ذات يوم عند فراش جيلدون وهو يقول: ".....أيحمل أطفال يوبا(يقصد يوبا الأول) الحمقى السلاح ولايزالون يقتبسون قوتهم من قوة ابن الفاتح (ويقصد والده ثيودوز) وينسى عقوبة فيرموس....."، أتواجه اللاتين دون خوف من

¹ سليم عنان، مقاومة جيلدون أهم ملوك تامازغا، الملتقى الوطني حول المقاومة الجزائرية عبر العصور، المتحف العمومي الوطني لسطيف، سطيف، يومي 11 و12 ديسمبر 2012، ص 103.

² محمد الحبيب بشاري، أوضاع الامبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن 4م، ثورة جيلدون 397-398م، مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب، الع: 13، الاتحاد العام للآثارين العرب، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية، القاهرة، فبراير 2012م، ص 249.

³ محمد الحبيب بشاري، أوضاع الامبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن 4م، المرجع السابق، ص، ص 250، 251.

مصير شقيقك على الرغم من كبر سني لكنك ستري قوتي"¹، كما أن جيلدون كان منذ البداية سياسي بارع وذو شخصية قوية وأنه سعى لبناء ثروة شخصية ضخمة، ورغم ذلك تبقى الأسباب الحقيقية لتمرده غير مفهومة، فقد سعى دوماً لإخفائها كما هو الحال عند اعترافه بالإمبراطور أركاديوس وصكه للعملة التي تحمل اسمه في نفس الوقت ، وأبرام الاتفاقيات مع زعماء القبائل النوميديّة والاعتماد عليها في حشد الجيوش، وتعزيز مكانته وقوته الشخصية مقابل ضعف عرش هونوريوس².

كان جيلدون قد قطع علاقاته بعد تأزم الوضع بهونوريوس وربط صلته بأخيه أركاديوس، ونظراً لبُعد المسافة بينهما فقد كان جيلدون مستقلاً في مملكته يمنع السفن الرومانية من شحن الحبوب والثروات المتجهة إلى العاصمة روما التي لم يبق لها سوى أفريقيا للخلاص من الموت، وفي ذلك يذكر كلاوديان "مقابل خدماتي ، أعطوني ليبيا ومصر الأساطيل في كل صيف تجلب بوفرة إلى الملك ومجلس شيوخه سيد الحرب، ومن ضفتين متقابلتين كانت تملأ المخازن بالحبوب ، فهل أخشى على نفسي الجوع! إذا غابت ممفيس يعوض منتجاتها بمحاصيل ليبيا، الأساطيل تتنافس لتأثني حمولتها من الحبوب وسفن قرطاجنة تنافس سفن النيل، لكن منافسي في الشرق سلبي مصر وبقيت ليبيا، ليبيا هي أملي الوحيد".

ويضيف مسترسلاً " لقد حرمني جيلدون من هذا المورد عندما كان الخريف على وشك الانتهاءأبحث في الافق عما تأثني به بعض السفن التي فرّت من جيلدون.....أنا أعيش بفضل هذا الرجل الموري الذي يتباهى بأن لا يعطيني الشيء الذي يقدمه في شكل ضريبة.....انه يتباهى بوضع حياتي وهو مسرور بدموع شعبي، ويؤجل حسب رغبته وهواه موعد فنائي ، فهو يبيع محاصلي ويمتلك الأرض التي احتلتها بدمائي"³

¹ Silius Italicus Claudien, op.cit, p1.

² Modéran Yves, Gildon, Les Maures et l'Afrique, Melanges de l'ecole Francaise de Rome , Antiquite, tome:101, N°: 2, 1989, p837.

³ Silius Italicus Claudien, P1.

لقد شكّل السلاح الأخضر (القمح) خطراً حقيقياً على روما التي كان لابد لها من ردة فعل على حصار جيلدون، فأرسلت جيشاً لقيادة الحرب ضده مستعينة بالأسلوب نفسه الذي لعبته مع شقيقه فيرموس، وهو سياسة التفرقة بين أفراد العائلة الحاكمة، فاستعانت بماكزيل (Mascizel) الذي حارب مع شقيقه فيرموس سابقاً والذي صار حليفاً للرومان بعد عداوته مع أخيه جيلدون بسبب ذبح هذا الأخير لطفليه الصغيرين دون رحمة، حسب المصادر التاريخية¹، فكانت تلك فرصة للانتقام بالنسبة لماكزيل² الذي كوّن مجموعة مختارة من قدماء المحاربين الغاليين بالإضافة إلى فرق جوفيان (Jovienne)، وهيركولين (Herculinne)، وأوغسطين (Augustinne)، فكان مجموعها 5 آلاف جندي³.

تصدى جيلدون لهذه الحملة بجيش قوامه 70 ألف مقاتل من حلفائه من قبيلة جيتوليا والإثيوبيين والموريين والدوارين والدوناتيين⁴ خاصة الأساقفة وغيرهم، والتقى الطرفان في 398م بالقرب من حيدرة وتيفيست⁵ بوادي أرداليو (Ardalio)، وانتهى القتال بسرعة مذهلة بانتصار الرومان، فامتطى جيلدون سفينة للنجاة بنفسه متجهاً نحو القسطنطينية، غير أن الرياح رمت بسفينته على شاطئ طبرقة أين أُلقي عليه القبض فانتحر حتى لا ينكل به. (أنظر الخريطة (08)، الصفحة 206).

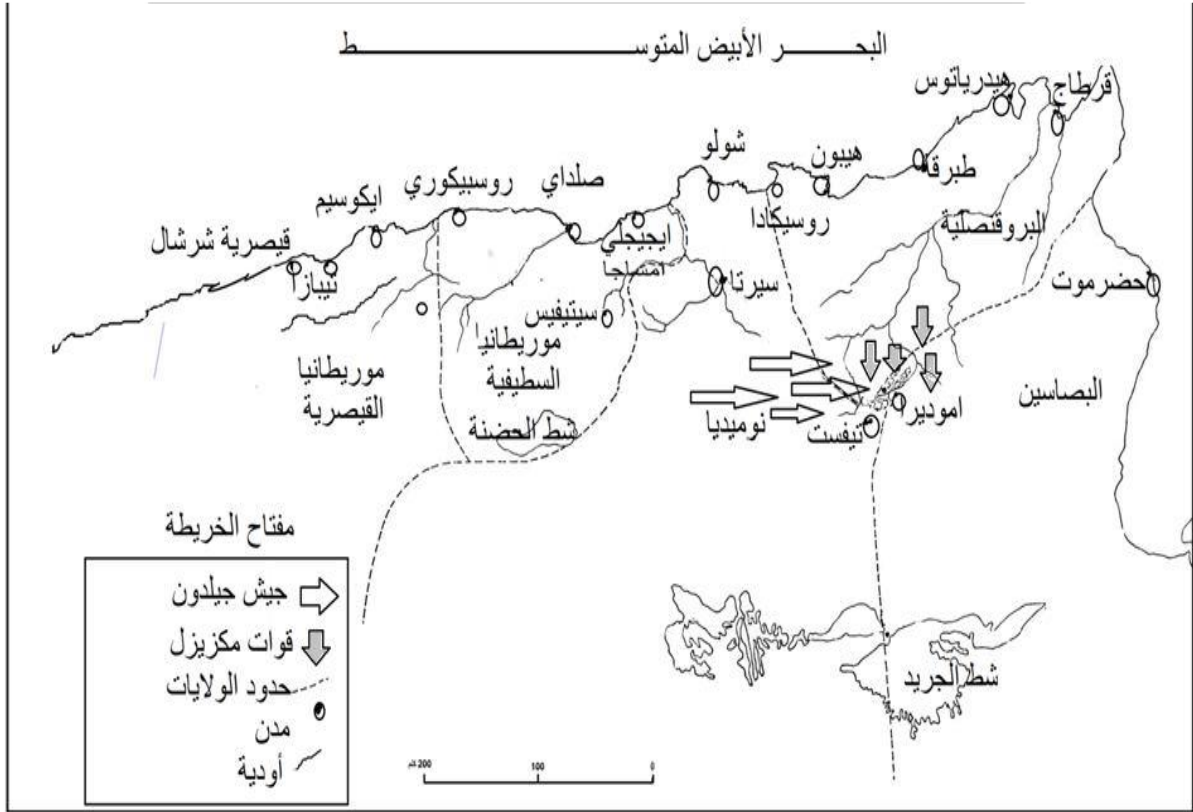
¹ Albert .M.Liong, L'Algérie Ancienne et Moderne, Romaine Durant 584ans, Le Gouvernement de Gildon, p1, <https://www.algerie-ancienne.com>.

² Michael Vannesse, L'Armée Romane en Occident sous Stilichon (395-408), Revue Belge de Philologie et d'Histoire, N°:88, 2010, p100.

³ Louis Lacroix, Histoire de la Numidie et des Maurétanies, Alger-Livres edition, 2008, p199.

⁴ Ernest Marcier, Histoire de L'Afrique Septentrionale, T:01, Ernest Le Roux éditeur, 1888, p137

⁵ Silius Italicus Claudien, op.cit, p1.



الخريطة رقم (08)

موقع المعركة الفاصلة بين قوات جيلدون وأخيه مكرزيل

نقلاً عن :

عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في المغرب القديم، المرجع السابق، ص 283.

والحقيقة أن رواية الانتصار هذه السريعة لا يمكن هضمها بسرعة، إذ لا يمكن لقائد عسكري ومحنك سياسي أن لا يكون قد أعد خطة استراتيجية لملاقاة الجيش الروماني، ثم أن عدد قواته أكبر من قوات الرومان ورغم ذلك فشل، وتفسير ذلك ربما يعود للكتابات التي اعتمد عليها المؤرخون كمصدر أساسي لتأريخ هذه الحادثة، والتي لا شك لم تتسم بالموضوعية في نقل الأخبار.

وهو ما يذهب إليه الأستاذ محمد الحبيب بشاري الذي أرجع سبب ذلك إلى الكتابات الرومانية التي أرخت لحرب جيلدون، وأولهم كلوديان الذي نعت جيلدون في كتاباته بالموري وتعني المتوحش والطاغية والمدنس والوحش المعتوه المتعطر، وهو ما يظهر في قصيدته حرب جيلدون: "الناسامونس الجبان مصروع، الغرامنتي المتوسل أرخي قوسه والأتولولي الفار التحق بالصحراء، والرمح يسقط من يد المازيسي المضطرب والموري يضغط بصوته على حصانه الذي ضاقت نفسه..... قاطع الطريق هرب لكن الريح أعادته وطبرقة استقبلته في ميناء أصبح قبره....."، بالإضافة إلى كتابات بول أروز (Paul Orose) شاعر البلاط الإمبراطوري الذي ألف العديد من القصائد مدح الإمبراطور هونوريوس ووزيره ستيلكون.¹

مما سبق نستنتج أن السلاح الاقتصادي الذي انتهجه جيلدون كان سلاحاً جديداً من حيث طريقة استعماله، وقوي من حيث نتائجه، ومناسب من حيث الفترة التي طُبّق فيها، فكانت نتائجه جد وخيمة على الاحتلال الروماني الذي بذل جهوداً جبارة للقضاء على جيلدون وإفشال استراتيجيته الحربية، وهو ما نشير إليه وصفاً بالسلاح الأخضر الذي يستعمل في حروبنا في الفترة الحديثة والمعاصرة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الحنكة العسكرية، واتقان فنون الحرب عند الليبيين والنوميدي منذ القديم.

¹ محمد الحبيب بشاري، أوضاع الامبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن 4م، المرجع السابق، ص 255 256

المبحث السادس: المقاومة الدينية

تدل النصوص التاريخية والمصادر الأثرية أن سكان شمال إفريقيا رفضوا الترومن بكل أشكاله وخصوصاً الرومنة الدينية، وستتناول في هذا العنصر أشكال المقاومة الدينية للسكان المحليين بدءاً من الوثنية وانتهاءً بتنصر السلطنة الرومانية.

أولاً: الديانة البونيقية ضد وثنية روما

تُظهر المصادر التاريخية أن سكان شمال إفريقيا ظلوا متمسكين بعبادة المعبودات البونيقية المحلية، وخاصة سكان الأرياف فعبدوا الآلهة تانيت آلهة الخصب والأمومة والتي عبدها الأهالي خاصة منهم أولئك المتأثرين بالحضارة الرومانية، كما عبدوا الإله ساتورن الذي خلف تدريجياً في أواسط الطبقة المترومنة الإله بعل حمون، (أنظر الشكل (32)، الصفحة 209) وظل في صورة المعبود الأصلي، وحافظ على وظيفته، وطقوسه¹.

ومن الأمثلة الواضحة على تمسك الأهالي (المغاربة) بمعبوداتهم ما يظهر في نصبهم الجنائزية والنذرية من اشارات دينية كالهلال ومثلث تانيت وغيرها، والتي حافظوا عليها وزينوا بها نقوشهم الدينية والجنائزية المكتوبة باللاتينية، وقد أوحى الأدلة الأثرية الكثيرة المتعلقة بتواصل الديانة البونيقية والليبية أثناء السيطرة الرومانية إلى بعض المؤرخين بالقول إن هذه الديانة قد ساعدها الوضع الجديد على الانتشار².

أما عبادة الإمبراطور الديانة الرسمية بمقاطعة إفريقيا القائمة على إشباع البطون وإقامة الموائد فلم يكن لها تأثيرها على النفوس الإفريقية الجائعة، وظلت عبادة الإله الواحد بعل حمون ثم ساتورن مستمرة، وهذا ما سهل مهمة المبشرين بالمسيحية التي تقوم في أساسها على عبادة التوحيد عند بعض المؤرخين³.

¹ محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص111.

² محمد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية.....، المرجع السابق، ص263.

³ المرجع نفسه، ص264



الشكل (32):

نصب نذري مكرس للإله ساتورن يعود للفترة الرومانية محفوظ بمتحف سيرتا الأثري

الصورة من التقاط الطالبة: يوم 06-05-2015م، على الساعة 11:15.

وهكذا ظلت عبادة الإمبراطور الديانة الرسميّة مظهرياً في بلاد المغرب القديم محصورة في المدن المتأثرة بالحضارة الرومانيّة فقط، بينما ظل الأهالي متمسكين بدياناتهم ومعتقداتهم المحليّة كنوع من المقاومة الصامتة ورفض الانحلال والذوبان في ثقافة الآخر، ورفض كل ماله علاقة بالاحتلال الروماني.

ثانياً: المسيحية الأولى ضد وثنية روما

ظلت الوثنية المحليّة متجذرة كنوع من المقاومة للرومان حتى القرن الرابع للميلاد أين تمكنت المسيحية من اقتلاع الوثنية من جذورها، فهل كان تنصرهم في البداية نابع من رفضهم للسياسة الرومانيّة فخالفوها؟ وبعد تنصر الرومان هل تمكن الرومانيون من رومنة النوميديون دينياً؟¹ للإجابة على هذا وجب علينا تتبع انتشار المسيحية بشمال إفريقيا وموقف الرومان منها.

لقيت المسيحية الرفض من طرف الأباطرة الرومان، ما عرّض أتباعها للاضطهاد المتكررة، فاتهمهم الإمبراطور نيرون بإحراق روما، واستمر اضطهادهم على يد أنطونيوس وأوريليوس الوريث وسبتيوس سيفيروس، وكانت فترة حكم الإمبراطور دقلديانوس أصعب مرحلة مر بها المسيحيون، إذ أصدر سنة 302م قراراً يقضي بمصادرة جميع أملاك الكنيسة وحرمان المسيحيين من حقوقهم المدنيّة، حتى لقب "بسفاح المسيحيين"²، ولم تنتهي تلك المحن إلا بتنصر الإمبراطور قسطنطين الذي أصدر مرسوم ميلانو الذي نص على التسامح الديني³.

لم يكن الشمال الإفريقي القديم كولاية رومانيّة بمعزل عن تلك الأحداث، فقد شقت المسيحية طريقها إليه، غير أن التأريخ لدخول المسيحية للمنطقة يصعب تحديده، إذ تعد سنة 180م حسب الأستاذ عبد الحميد عمران بداية التحول في تاريخ المسيحية بشمال إفريقيا، فلا توجد قبل هذا التاريخ معلومات عن المسيحية الإفريقيّة⁴، وإن كان ترتليانوس¹ قد أشار إلى وجودهم قبل ذلك،

¹ حميدة نشنش، سياسة روما الدينيّة في المغرب القديم قبل ظهور المسيحية وموقف الأهالي منها، مجلة الباحث، الع15، الجزائر، 2020م، ص، ص129، 130.

² أم هامي رمضاني، الإمبراطوريّة الرومانيّة والمسيحية، مجلة تاريخ المغرب العربي، الع:7، جامعة الجزائر، ص10.

³ عبد الرحمان بن عطاءالله، انتشار الديانة المسيحية في إفريقيا، مجلة العلوم الاجتماعيّة والانسانية، الع:11، جامعة تبسة، ص142.

⁴ عبد الحميد عمران، الرومنة والتدين في شمال إفريقيا، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 2018، ص85.

إذ ذكر أن المسيحيون كانوا موجودين بأعداد كثيرة في عهده، ومما جاء في كتابه : ".....نحن أبناء الأمس نملاً الأرض والمدن والجُزر، والبلديات، والمعسكرات، ومجلس الشيوخ والفوروم، لم يبقى لكم سوى المعابد!.....إن مسيحيي مدينة واحدة أكثر عدد منكم، فنحن يمكننا أن نهزمكم ونفصل عنكم بدون سلاح ولاتمرد، ولكن بهذا الطلاق البغيض"².

وتشير الأدلة التاريخية أن المسيحية عرفت انتشاراً واسعاً خلال القرنين الأول والثاني للميلاد، بدليل الشواهد الأثرية، والظاهر أن النوميديّ المنتصرين اعتمدوا السرية في ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى اعتناقها من طرف الليبيين القدامى هو تعاليمها السّميحة وما تحمله من تبشير بالحياة الحَيِّرة الأخرى، خصوصاً أن الأفارقة كانوا تحت نير الاحتلال الروماني الذي وسم حياتهم بالبؤس والشقاء، فكان الدين الجديد بمثابة خلاصٍ لهم ونوع آخر من المقاومة المعنوية للإمبراطورية الرومانية. (أنظر الشكلين (33) و(34)، الصفحة 212)

ويعلق الأستاذ ول ديورانت على ذلك بقوله "لقد أقام أغنياء التجار من الرومان القصور الفخمة على تل بيرسا، وبيوتاً صغيرة ذات حدائق في الضواحي الشجرية؛ أما الفلاحون الذين تركوا أراضيهم لعجزها عن منافسة أصحاب الضياع الكبيرة (والصواب التي طردوا منها إلى مناطق فقيرة)، فقد انضموا إلى صعاليك المدينة والأرقاء وعاشوا في بيوتٍ قدرة..... الأمر الذي جعلهم يرحبون فيما بعد بالمسيحية التي تدعوا إلى المساواة"³.

¹ ترتليانوس: اسمه الكامل هو كرينتوس سبتيروس فلورسي ولد حوالي 155م بقرطاجة من أبوين وثنيين، كان والده قائد المائة، اشتغل ترتليانوس بالحمامة بروما وقيل عنه أنه كان دقيق في القوانين الرومانية، يرحج أنه اعتنق المسيحية نحو عام 193م فأصبح قساً بقرطاجة، كتب معظم أعماله في تلك الفترة والتي كان لها تأثير على الفكر اللاهوتي المسيحي، عرف أتباعه بالترتليانوسيين، توفي نحو 220م أو 225م، من أهم مؤلفاته الدفاع والمنافخة. أنظر: عادل فرج عبد المسيح، موسوعة آباء الكنيسة، ج2، دار الثقافة، القاهرة، (د.ت)، ص، ص154، 155.

² Tertullien, Apologétique, trad: J.P. Waltzing, 2^{ème} édition, Libraire Bloud Et Gay, Paris, 1914, XXXVII, 4,6

³ وايريل ديورانت، قصة الحضارة، قيصر والمسيح، مج3، مج1، تر: محمد بدران، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت جامعة الدول العربية، ص32.



الشكل (33)

شاهد لقبر مسيحي يلاحظ في الأعلى رمز المسيحية (ألفا وأوميغا) ، محفوظ بمتحف سوسة بتونس



الشكل (34)

حوض تعميد للمسيحيين ويلاحظ الصليب في قاعدته بصورة واضحة محفوظ بمتحف سوسة

نقلًا عن:

http://www.inp.rnrt.tn/index.php?option=com_content&view=article&id=43&Itemid=mi

تاريخ الزيارة: يوم 5-04-2020م. على الساعة: 23:25

عانى مسيحيو شمال إفريقيا كما عانى نظائرتهم في الشرق والغرب فتعرضوا للاضطهاد لرفضهم الاندماج في الوثنية واتخاذهم للمسيحية كوسيلة للمعارضة وإفشال مشروع توحيد الإمبراطورية، فشكّلوا خطراً على النظام الإمبراطوري لأن دينهم يمنعهم من المشاركة في كل عمل وثني كتقديم القرابين والرقص وحضور السباقات، فصاروا يعرفون "بأعداء الدولة".

ارتبط تاريخ المسيحية في شمال إفريقيا كما ذكرنا سابقاً بسنة 180م الذي شهد أولى الاضطهادات التي مارستها السلطة الرومانية ضد المسيحيين في مدينة (سكيلي Scilli) في 17 جويلية 180م حيث تمّ إعدام سبعة رجال وخمسة نساء بعد محاكمتهم بقرطاج، ويُعد هذا الحدث نقطة مفصلية في التاريخ المسيحي في العالم الروماني، إذ ظهر العداء جلياً بين المسيحيين والسلطة الرومانية، وزاد عدد الراغبين في الاستشهاد من المسيحيين¹.

واستمرت السلطة الرومانية، بما تملكه من وسائل القوة، في سحق المسيحيين، وما يذكر أنها قامت بتوقيف رجل من مادورا بنوميديا يدعى (نامفامو Namphamo) ورفاقه، وبعد التحقيق معهم اعترفوا بعقيدتهم ورفضوا التخلي عنها فتم الحكم عليهم بالإعدام، لتمتد سلسلة قطع الرؤوس إلى قرطاج وبنوميديا، وهو ما زاد من حدة الخلاف بين الطرفين، وخاصة بعد انتشار الإيمان باقتراب يوم القيامة ونهاية العالم بين المسيحيين، وهو ما أضر بمصالح روما خاصة بعد رفض المسيحيين للخدمة العسكرية ومعارضتهم للحرب التي تخلف المعاناة، وتزايدت دعوة المسيحيين معها إلى الثبات لينالوا النجاة والرضى في الآخرة.

مع بداية القرن الثالث للميلاد وفي سنة 202م أصدر سبتيموس سيفيروس مرسوماً يحرم الدعاية المسيحية وأعطى أمراً بملاحقة المبشرين واعتقال وتعنيف كل مسيحي بلا رحمة، وتوجيههم إلى العبادات الوثنية، حتى لا يُخلوا بالوضع الأمني، فانتشر القمع والتعذيب خارج قرطاج، وارتفع عدد الشهداء في أرجاء المغرب، ومنهم القديس غودان الذي استشهد عام 203م، بالرغم من أن البروقنصل جيلوس أسبير (Julius Asper) منح المسيحيين هامشاً من الأمن فلم يعاملهم بالقسوة ورفض محاكمتهم، إلا أن الاضطهادات عادت وبقوة مع نائب البروقنصل هيلاريانوس (Hilarianus)، الذي أمر برمي المسيحيين للحيوانات المفترسة داخل المدرجات ومنهم ستة شهداء

¹ عبد الحميد عمران، الرومنة والتدين، المرجع السابق، ص86.

من بينهم سيدة حامل تدعى برييتوا (Perpetua) وخادمتها¹، وهو ما فنّده ترتليانوس في كتابه المنافخة².

عرف عهد كركلا بعدها بعض الانفراج حيث خفت حوادث الاضطهاد، لكنها سرعان ما عادت من جديد مع الإمبراطور ديسيوس (Decius) الذي أصدر في 250م مرسوماً تضمن ضرورة أن ينكر كل المسيحيين بإفريقيا المسيح وأن يساهموا في الاحتفالات الرسمية ويقدموا القرابين للآلهة، وبذلك انتشرت موجة القمع الديني، وارتفع عدد الشهداء والمساجين، فاضطر البعض للارتداد بشهادات مزورة وازداد عدد المرتدين³.

ومما يذكر من صور القمع أن القرطاجي لوكيانوس (Lucianus) وهو من الذين سجنوا ذكر أن اثني عشر مسيحياً لقوا حتفهم في السجن بسبب الجوع والعطش، واثان ماتا تحت التعذيب، وهذا ما جعل القديس قبريانوس يحث الرهبان على زيارة السجناء المسيحيين قائلاً "فلنقدم الإعانات للسجناء لأنهم عبدوا الرب بافتخار، وأيضاً الذين بقوا فقراء بوفائهم، وزعوا المال الذي جمعنا عليهم.....".

ولم تتوقف الاضطهادات واستمرت مع الإمبراطور فاليريان الذي حمل المسيحيين ما ألمّ بالإمبراطورية من أزمات داخلية وخارجية بدأ عهد آخر للاضطهاد بالمغرب القديم، فقتل أسقف مدينة طنبنة ورفقائه بعد سجنهم وتعذيبهم لفترة من الزمن في 10 ديسمبر 253م، وأجبر عام 257م القساوسة والشمامسين والرهبان على المشاركة في الاحتفالات العامة وعبادة الإمبراطور الرسمية، فلما رفض أسقف قرطاج قبريانوس ذلك قام البروقنصل الروماني بإفريقيا بنفيه في 30 أوت 257م⁴ ليتم الحكم عليه فيما بعد اصراره على موقفه قائلاً "أنا مسيحي وناظر في الكنيسة ولا أعترف بالهة غير الله" بجز رأسه في 14 سبتمبر 258م ليكون أول أسقف يستشهد في شمال إفريقيا.

¹ رويين دانيال، أصول التراث المسيحي في شمال إفريقيا، منشورات تامغناست، ص 20.

² ترتليانوس، المنافخة (دفاع عن التوحيد)، تر: عمّار الجلاصي، 2001، (ص-ص) (10-12)، متوفر على :

http://www.tawalt.com/wp-content/books/turtlianus/tutlianus_1.pdf

³ شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 284.

⁴ عبدالحميد عمران، الرومنة والتدين.....، المرجع السابق، (ص-ص) (130-137)

وكان المسيحيون على موعد مع أخطر وأعنف اضطهاد في عهد الإمبراطور دقلديانوس¹ الذي أصدر مرسوماً في 303م يقضي بهدم الكنائس المسيحية وإحراق الكتب الدينية، ومنع المسيحيين من الاجتماعات وطردهم من المناصب الرفيعة، واعتبارهم خارجين عن القانون²، وتطبيقاً لهذا القانون تعرض المسيحيون بشمال إفريقيا إلى شتى أنواع العذاب، فرميت القديسة "ماركيانا" (Marciana) إلى الأسود في ملعب شرشال، كما عثر بماسكولا (خنشلة) على نصب إهدائي لشهداء "أبتينا" وهم مجموعة من المسيحيين منهم 29 رجلاً و19 امرأة ماتوا جوعاً بسجون قرطاج سنة 304م.

بالرغم من سلسلة الاضطهادات التي تعرض لها مسيحيو شمال إفريقيا التي تنوعت بين القتل والنفي وفرض الأعمال الشاقة في المناجم، إلا أن عددهم كان في تزايد مستمر، مما جعل المعابد الوثنية بالمغرب القديم تكاد تكون خالية من العباد، ومن جهة أخرى كان من نتائج الاضطهادات العنيفة انعدام الثقة بين السلطة الحاكمة الرومانية والمسيحيين الأفرقة .

ثالثاً: الحركة الدوناتيّة ضد كاثوليكية روما

شن دقلديانوس كما ذكرنا سابقاً عملية اضطهاد ديني واسعة بالشمال الإفريقي القديم، وعلى إثر ذلك ارتدت جماعة من المسيحيين وطرحت فكرة الانقسام في الكنيسة الإفريقية بقوة، حيث اتهم بعض رجال الدين بالتخاذل لتسليمهم نسخ من الكتاب المقدس إلى السلطة السياسية³ فسموا بالمتخاذلين والمنشقين أو المرتدين (Lapsi) من طرف الذين صمدوا بشجاعة أمام

¹ آثار موقفه من المسيحية حيرة المؤرخين، فقد كان متسامحاً بل وكان بعض المسيحيين من خاصته، غير أن موقفه ذاك تغير في السنوات الأخيرة من حكمه فشن حملات الاضطهاد ضد المسيحيين، ويذكر المؤرخين أن من أسباب تحوله هو المفهوم الحضاري للدولة التي تقوم على عبادة الإمبراطور باعتبارها ركن من أركانها، بل وضرورة لوحدها فانتشار المسيحية الواسع أصبح يشكل خطراً، هذا بالإضافة إلى تحريض الكهنة له الذين كانوا يدعون أن الآلهة تضيق بكفر المسيحيين، فلم يعد بالإمكان التنبؤ بالغيب باستعمال أحشاء الحيوانات. للمزيد من التفاصيل أنظر: محمد سلام اللافي، اصلاحات ديوكليتيانوس وآثارها السلبية والايجابية على الإمبراطورية الرومانية فيما بين 284، 305م، ماجستير قديم، إشراف: محمد علي عيسى، جامعة المرقب، ليبيا، 2007، ص113.

² يوسايبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر: القس مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، د.ت، ص353.

³ الربيع عولمي، الجدل الدوناتي الكاثوليكي وانعكاساته على بلاد المغرب القديم، مجلة الحقيقة، الع: 3.4 جامعة أدرار، 2018، ص524.

الرومان وأودعوا بالسجون القرطاجية أو أعدموا، ولسان حالهم يقول: " نحن مسيحيون ولسنا خونة " ¹.

اتخذت الكتلة المناهضة للمرتدين موقفاً صلباً ومتطرفاً ضدهم، ورفضوا التعامل مع المرتدين بأي شكل من الأشكال حتى بعد انتهاء مرحلة الاضطهاد عام 305م، وزادت حدة الفرقة بينهما بسبب أحداث قرية أبتينا (Abitina) بالقرب من قرطاج في 12 فيفري 304م التي قاوم فيها المسيحيون إجراءات السلطة فقامت بتعنيفهم وسجنهم، فكان لذلك التصرف عميق الأثر على الأساقفة في المغرب القديم، وعلى إثر ذلك أصدروا " ميثاق شهداء أبتينا " (Act Martyrum) وطلبوا من المسيحيين الأَطهار الالتزام به ².

وتذكر المصادر التاريخية أن الانشقاق الكنسي الأفريقي ظهر علانية في مجمع سيرتا في سنة 305م لتعيين أسقف جديد بعد وفاة الأسقف بولوس (Paulus) الذي مات في ربيع 305م، وانتخاب الشماس سيلفانوس (Silvanus) مكانه رغم معارضة رجال الدين، كما عُقد مجمع آخر بقيادة سكوندوس (Secundus) والذي حضره اثنتا عشر أسقفاً من نوميديا ³.

بوفاة مونصوروس (Mensurius) أسقف قرطاج سنة 311م بعد عودته من روما، حدث خلاف حول من يخلفه، فتم اختيار الشماس كاسيليانوس (Caecilianus) كأسقف جديد لقرطاج رغم غياب الكثير من أساقفة نوميديا، فتوجه سكوندوس جثليق نوميديا محتجاً فطعنوا في سيامة كاسيليانوس، وفي سنة 312م انتخبوا ماجورينوس (Majorinus) كأسقف على قرطاج بمباركة من لوسيلا (Lucilla) ⁴ وأدانوا كاسيليانوس الذي أصر على شرعيته.

¹ محمد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية.....، المرجع السابق، ص287.

² الربيع عولمي، الصراع الدوناتي الكاثوليكي في المغرب القديم من خلال كتابات القديس أوغسطين، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الع:5، جامعة الوادي، ص 267

³ محمد المبكر، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، 2001، ص25.

⁴ لوسيلا: هي امرأة غنية من قرطاج، يرجح أنها حافظت على الأواني الذهبية والفضية المقدسة للكنيسة أثناء الاضطهاد، وقد أثرت بما لها لأجل انتخاب ماجورينوس بدل كاسيليانوس الذي كان قد جرح شعورها سابقاً لما نصحتها بالتخلي عن تقبيل عظام الشهداء.أنظر: عبد الحميد عمران، الرومنة والتدين.....، المرجع السابق، ص156.

وبوفاة الأسقف ماجورينوس خلفه الأب دوناتوس (Donatus)¹ فصارت الكنيسة الإفريقية منقسمة إلى كنيستين: الأولى كاثوليكية تحت زعامة كاسيليانوس ، وهي حليفة للسلطة الرومانية ، والثانية دوناتية، وهي المناهضة للسلطة السياسية، والحقيقة أن الخلاف بين الكنيستين لم يكن مذهبياً ولا عقائدياً بقدر ما كان خلاف في الوقائع وبعض المسائل المتعلقة بتسليم الكتب المقدسة وتعميد المرتدين².

حرص الامبراطور قسطنطين الذي كان تنصره لأغراض سياسية على وحدة الكنيسة، وعين قضاة من بلاد الغال للحكم في الخلاف الناشئ في الكنيسة الإفريقية، وأقر سيامة كاسيليانوس على أسقفية قرطاج وضرورة خضوع المنشقين للكنيسة الكاثوليكية في إفريقيا، وبذلك صار الأساقفة والنبلاء والأثرياء أعواناً سياسيين للإمبراطور الذي كان يستدعيهم ويرأس مجالسهم ويتدخل في قراراتهم، وتحولت الكنيسة الكاثوليكية تدريجياً إلى مؤسسة ذات تأثير سياسي واجتماعي استغلها الإمبراطور لاستصدار قرار ديني في شكل قانون كنسي في مجمع آرال عام 324م، الذي يدين الذين رفضوا القتال إلى جانب الدولة ويتهمهم بالكفر، ولذلك ناهض الدوناتيون الكنيسة الكاثوليكية التي رأوا أنها تخلت عن المبادئ الصحيحة للمسيحية³.

التزم الدوناتيون بمبادئ المسيحية رغبة منهم في التمسك بأقوى سلاح لمقاومة سياسة الإمبراطور التي كانت تهدف لاستغلال المسيحية لأغراض سياسية، وتفرغها من مضمونها الأخلاقي

¹ يذكر المؤرخ بول مونصو أن اسم "دوناتوس" هو اسم لشخصيتين الأولى هي: دوناتوس الأكبر (Donatus) من قرية الديار السود (Cases-Noires)، وهي مدينة تقرين بولاية تبسة بمقاطعة نويميا، ويعد المؤسس الأول للحركة الدوناتية والتي حملت اسمه، ومثلها في مجمع قرطاج لمحاكمة كاسيليانوس، ورفض الاعتراف بمسيحية المرتدين، والثاني هو الأسقف دوناتوس القرطاجي الذي خلف دوناتوس المؤسس عام 316م، ويعود إليه الفضل في تنظيم الحركة الدوناتية وقيادتها لمدة 40 سنة، وصفه أوبطاميلي المناهض للدوناتية بالمتكبر والمتهور أنظر: خديجة منصوري، الصراع الدوناتي الكاثوليكي، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج17، الع:2، جامعة قسنطينة، ص31.

=Paul Monceaux, Les premiers Temps du Donatisme et La question des deuw Donat, Comptes rendus des sé ances de l'Académie des Inscritons et Belles-Lettres, 60^e année, N. 1, 1916, p50.

² عبد العزيز الصويغي، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ط1، وزارة الثقافة والمجتمع المدني، ليبيا، 2003، ص296

³ عبد الحميد عمران، الرومنة والتدين.....، المرجع السابق، ص164.

والاجتماعي، وانتهجوا العمل الصامت في ذلك بالامتناع عن مناقشة خصومهم الكاثوليك ومقاطعتهم، إذ كانت تدعوا أتباعها إلى الامتناع عن تبادل التحية أو الكلام مع الكاثوليك، وعدم مخاطبتهم ب"الأخ" و"الأخت"، والتي كانت تعبر سابقاً عن المشاركة التي عرفها المسيحيون في القرن الثالث للميلاد، والامتناع عن مصاهرتهم، كما أمر أسقف مدينة هيبيون(عنابة) الدوناتيين الحنازين بعدم تقديم الخبز للكاثوليك، ومنع الأساقفة الدوناتيون دفن موتاهم بمقابرهم الخاصة لأنهم مدنسين وغير أطهار¹.

كان لسلاح المقاطعة الدوناتية منحاه الاجتماعي والسياسي، حيث تمحورت جهود الدوناتيين في حشد الأتباع عن طريق التوعية بمبادئ الدوناتية التي كانت شعاراتها الدينية والسياسية مناهضة للوضع السياسي والاجتماعي المعاش، ومن ثمة مقاطعة الكاثوليكين واتهامهم بالخيانة والارتقاء في أحضان السلطة².

وجدت الحركة الدوناتية قبولاً واسعاً من طرف السكان المحليين لكونها عبرت عن طموحاتهم الاجتماعية وتطلعاتهم السياسية، فكانت نوميديا وقرطاجنة والبروقنصلية والمناطق الداخلية بمثابة قلعة للدوناتيين، وحتى في بيزاكينا التي استقبلت الدوناتيين بحماسٍ شديد، كما اجتاحت مقاطعة موريطانيا في أواخر القرن الرابع للميلاد³.

اعتبرت السلطة السياسية الدوناتيون خارجين عن القانون كما اتهمتهم بالهرطقة، واعتمدت الكنيسة الكاثوليكية على عقد المجمع الدينية للقضاء عليها، وهي التي برز فيها رجال الدين الأفارقة المناهضين للدوناتية وعلى رأسهم القديس أوغسطين و الأسقف أوبطاميلي. والظاهر تاريخياً أن الأمور بدأت تتعقد أكثر في عهد الإمبراطور قسطنطين الثاني الذي خلف والده على العرش سنة 337م ، فأرسل بولوس (Paulus) وماكارياوس (Macarius)⁴ محملين بالمساعدات والأموال للدوناتيين في محاولة منه لشراء ذمهم عليهم يتخلون عن حركتهم ، غير أن موقف دوناتوس كان عكس ذلك إذ رأى في ذلك تدخلاً للإمبراطور في شؤونهم الدينية ، وطلب من النوميدي في رسالة

¹ حديجة منصور، الصراع الدوناتية الكاثوليكي، المرجع السابق، ص43.

² محمد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص293.

³ عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص421.

⁴ الربيع عولمي، الصراع الدوناتية الكاثوليكي.....، المرجع السابق، ص273.

دورية بعدم قبول المعونات المقدمة من طرف المحافظين التي تهدف لشراء ذمهم ومحاوله إغراء النوميدي وارتدادهم عن دوناتوس وأتباعه، وبذلك فشل مخطط روما¹.

بالرغم من إخفاق الرومان في محاولتهم تلك إلا أن إصرارهم على القضاء على الدوناتية، وإعادة الوحدة للكنائس بشمال إفريقيا ظل مستمراً، حيث أصدر الإمبراطور سنة 347م مرسوم الوحدة القاضي بمصادرة جميع الكنائس والممتلكات ومنحها للكنيسة الكاثوليكية، الأمر الذي رفضه الدوناتيون، فانطلقت أحداث العنف من جديد، وكانت قرطاج أكبر مسرح لها كونها العاصمة الرسمية للدوناتية ومكان انعقاد المجمع الكنسية².

قام أحد الدوناتيين وهو ماكسيميانوس (Maximianus) في 15 أوت 347م، وكرد فعل على قرار التوحيد بين الكنيستين، بتمزيق ورقة القرار فتم إيقافه وتعذيبه في السجن، ونفس المصير لقيه إسحاق وهو من الدوناتيين حين شتم الكاثوليكية في إحدى خطبه، وعلى إثر ذلك اندلعت حرب دينية في شمال إفريقيا فأسرع دوناتوس إلى تأمين حدود نفوذ حركته خاصة بغاي (Bagai) بخنشلة، وتموقادي (تيمقاد) وتيفيست³، كما استعان بالثوار الريفين (الدوارون) لتدعم حركة الاحتجاج الديني بصيغة الاحتجاج الاجتماعي، حيث ستجد الأولى في الثانية سنداً منيعاً إن لم نقل أن الثانية كانت جناح مُسلح للأولى، وقد كانت الدوناتية حليفاً طبيعياً لكل قوة تعمل أو تناضل في سبيل تحقيق العدالة والمساواة المستمدة من التعاليم المسيحية، وبالتالي حليفاً طبيعياً لكل من يعمل على زعزعة السلطة السياسية (روما) في نظامها الديني أو السياسي⁴.

عمل دوناتوس على تعبئة أتباعه بنشر إعلان دُعي فيه المسيحيين الحقيقيين إلى المقاومة والدفاع عن كنائسهم، وحصّن مدينة بغاي وحوّل كنائسها إلى مخازن للحبوب وجمع المؤن، ولما بلغ للرومان خبر الاستعداد أرسلوا جيشاً لمحاربه مستعنيين بمساعدة كونت إفريقيا سلفستر (Sylvestre)، ودارت بين الطرفين معارك دامية في صيف 347م يُرجح أن دوناتوس لقي حتفه فيها⁵.

¹ شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص 245

² محمد المبكر، المرجع السابق، ص 226.

³ الربيع عولمي، الجدل الدوناتي.....، المرجع السابق، ص-ص 272-274.

⁴ محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص 411.

⁵ الربيع عولمي، الجدل الدوناتي.....، المرجع السابق، ص 537

وفي نفس العام انعقد مجمع كنسي إقليمي دوناتي للاحتجاج على أعمال العنف التي قادها ماكارْيوس (Macarius) ، فأرسلوا عشرة من ألمع الأساقفة للسلطة السياسية محذرين وداعين إلى ضرورة وقف الجرائم التي راح ضحيتها دوناتيون كُثُر ، وتم الاجتماع فعلاً بالمبعوث الإمبراطوري ماكارْيوس في مدينة فيجيزيلا (Vegesela) (قصر الكلب شمال الأوراس) وبذلوا كل الجهد لاستعادة السلم، غير أن تصرفاتهم كانت سبباً في رد فعل ماكارْيوس الذي أمر بسجنهم وتعذيبهم، فدخل سكان المنطقة في مناوشات مع الجيش الروماني لقي فيها بعض الدوناتيون وأحد الأساقفة المبعوثين حتفهم فيها ، وتم إطلاق سراح التسعة، واحتجز واحداً منهم لصلابة رأيه فطاف به في المدن النوميديّة، ثم اقتاده إلى ربوة عالية وألقاه من فوقها فمات، فأصبح فيما بعد مقبره محجاً للدوناتيين .

ويذكر القديس أوغسطين الذي عايش تلك المرحلة أن مرسوم الوحدة أثار غضب الأفارقة فانتشر الاضطهاد والقمع ، مما أدى إلى فرار معظم الأساقفة الدوناتيين من قرطاج ونوميديا، وقد كان زمن ماكارْيوس أشدهم وطأة إذ سجل عهده ارتفاع في نسبة الشهداء الدوناتيون، خاصة بعد تأييد الإمبراطور لاستخدام العنف والقوة ضد المتمردين

وتعددت وسائل التعذيب بين الرمي في الحُفْر العميقة، أو التغطية في الماء أو الإحراق بالنار وكان الدوناتيون يقبلون على الموت طواعية، وقد عبر أسقف سيرتا الدوناتي عن رفضه لتلك السياسة قائلاً "إن الكتاب المقدس يقول لا تقتل أخاك وانتم قتلتمونا، ولا تأخذ متاع غيرك وانتم نهبتم أملاكنا واعتبرتمونا ملكاً لكم" ¹

أعلن الإمبراطور هونوريوس (Honorius) في سنة 405م بتعيين أوامر 314م و347م ودعا من جديد للوحدة الكنسية، ومحكمة المنشقين ومعاقتهم، فنتج عن ذلك ظهور سياسة مضادة للدوناتية ودوامه من العنف أمام تصلب السلطة الإمبراطورية، فدعت هذه إلى عقد مناظرة بين الكنيستين في 411م والتي حضرها القديس أوغسطين الكاثوليكي و286 من أتباعه مقابل 172 دوناتياً ، غير أن الانشقاق كان أكبر من أن يُحل بتبادل المستندات والمفاوضات فرجع القمع من

¹ محمد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية.....، المرجع السابق، ص266.

جديد، إذ أصدر الإمبراطور هونوريوس في 412م دستوراً يهدف للإطاحة بالدوناتيين، ويجبرهم على تسليم الكنائس للكاثوليك، إلا أن إجراءات الردع لم توقف نشاط الدوناتية¹.

والحقيقة أن الدوناتية الإفريقية لم تكت مجرد فرقة دينية في مسار الكنيسة الإفريقية، بل كانت شكلاً من أشكال المعارضة للنوميديين المحليين للسلطة الرومانية، وهو ما ذهب إليه بعض المؤرخين الأجانب كفراند والمؤرخ الفرنسي بريسون، فالدوناتية كانت تحركها دوافع خفية (اقتصادية، وسياسية ودينية وثقافية) أهمها الوضعية المزرية للسكان الناتجة عن سياسة الاستيلاء على الأراضي الزراعية، والسياسة الضريبية التي عجز السكان الأصليون بصفة عامة عن تسديدها، إضافة للحصار الاجتماعي الذي فرضته السلطة الرومانية على مختلف فئات المجتمع، هذا الحصار الذي قيد انتقال الأفراد من فئة إلى أخرى، وبالتالي قضى على إمكانية تحسن المستوى المعيشي لدى بعض الفئات².

ولعل ما يؤكد النظرية القائلة بأن الدوناتية شكل من أشكال المقاومة هو مساندتها لقيادة المقاومات النوميديّة بدءاً بالدوارين (سلاح الدوناتية)، رغم محاولة البعض إبعاد المسيحية عن ثورة الريفيين باعتبارهم مجموعة من الوثنيين المتدمرين الذين نزلوا من الجبال لنهب السهول الغنية، وثورات فيرموس وجيلدون³.

كخلاصة لهذا الفصل نستطيع القول أن الأساليب العسكريّة للمقاومات النوميديّة كانت متنوعة ومختلفة باختلاف الجغرافيا والقيادة، والأوضاع الداخلية والخارجية، وأوضاع روما وسياستها، الأمر الذي مكنها من تحقيق العديد من أهدافها، وجعل روما تقف عاجزة أمام القضاء عليها دون انتهاج أسلوب التفرقة بين النوميدي، أو الاستعانة بقوات نوميديّة حليفة تم إغرائها بمنحها بعض الأراضي مستفيدة من خبراتها القتالية، ومعرفتها بجغرافية المنطقة التي كثيراً ما استند عليها النوميدي في مقاومتهم للاحتلال الروماني.

ومن المقاومات ما استعمل سلاح المال والتجويع واستهداف الممتلكات أسلوباً بدلاً من تجهيز الجيوش، وهي التي حققت نتائجها الاستراتيجية على الجانبين الاقتصادي والسياسي على الإمبراطورية

¹ عبد اللطيف مرابط، إفريقيا في العهد المسيحي، مجموعة مؤرخين، تونس عبر العصور، المرجع السابق، ص211.

² خديجة منصور، الصراع الدوناتي الكاثوليكي، المرجع السابق، ص35.

³ محمد المبكر، المرجع السابق، ص87.

الرومانية، وهي في أوج قوتها، ومنها ما جاء كرد فعل على محاولة الرومان تطبيق سياسة الرومنة، وتمثلت في تمسك المغاربة القدماء بمقوماتهم الشخصية وديانتهم المحلية عن طريق مخالفة كل العادات والتقاليد والطقوس الدينية والجنائزية التي لها علاقة بروما، ورفض عبادة الامبراطور .

واستمرت المقاومة الدينية في شكل آخر بعد ذلك باعتراف المسيحية الذي حاربتها روما في عاصمة الإمبراطورية، وحتى مع اعتناق الرومان للمسيحية واعترافهم بها كدين للإمبراطورية خالفها الأهالي بإنشاء حركة جديدة منفصلة كلياً عن كل ما له علاقة بالإمبراطور والإمبراطورية، وهي الحركة الدوناتيّة التي مكنها امتدادها الزمني والجغرافي من التحول من حركة عقديّة نضاليّة إلى رصيد روحي نضالي بفضل مبادئها الرامية لرفض الهيمنة الأجنبية ورفع العُبن عن سكان المنطقة.

الفصل الرابع

النتائج الاستراتيجية للمقاومات النومية

الفصل الرابع: النتائج الاستراتيجية للمقاومات النوميديّة

. المبحث الأول: أوضاع نوميديا بعد يوغرطة

. المبحث الثاني: افريقيا الرومانية بعد يوبا الأول

. المبحث الثالث : أوضاع افريقيا بعد مقاومة تاكفاريناس وايدمون

. المبحث الرابع: نتائج التحالف الدوناتي مع الدوارين وثورات العائلة النوبيلية

رأينا في الفصل السابق أن النوميديون طبقوا العديد من الخطط العسكرية في حروبهم ضد الرومان فحققوا بفضلها الكثير من الانتصارات العسكرية والسياسية والاستراتيجية حتى أضحت روما في وضع تُحسد عليه إقليمياً وعالمياً، ورغم عدم تكافؤ الطرفين من حيث القوة العسكرية عدّةً وعتاداً لم يستطع الرومان اخماد نار المقاومة في شمال إفريقيا.

المبحث الأول: أوضاع مملكة نوميديا بعد يوغرطة

كانت مقاومة يوغرطة أشدّ المقاومات وأكثرها تنظيماً، والتي تصدّت للاحتلال الروماني وخلال سبع سنوات تواترت فيها الانهزامات والانتصارات خلال معارك عديدة كمعركة زاما وباجة وتالة وقفصة، ونهر الملوية والمثول .

أولاً: مؤامرة القبض على يوغرطة:

كَبَدَ يوغرطة الرومان طيلة سنوات حربه خسائر مادية وبشرية مستعملاً العديد من الأسلحة كسلاح الدبلوماسية، وسلاح المال والهدايا، وسياسة الكر والفر، وذلك حسب شخصية القائد الروماني وما توفر لدى يوغرطة من معلومات حوله، فاستطاع بفضل مفعولها وحسن اختيارها تحقيق النصر.

غير أن تحالف يوغرطة مع بوكوس ملك موريطانيا كان بداية النهاية لحربه، وهو التحالف الذي لم يدم طويلاً حتى وضع له بوكوس حداً منذ اليوم الخامس من انهزامهما أمام ماريوس في سيرتا، التي كانت آنذاك تحت سيطرته، حيث أرسل بوكوس¹ وفداً للاتصال بماريوس، وفي طريقهم اعترضتهم فرقة من قطاع الطرق الذين جردوهم مما يملكون فما كان عليهم إلا أن اتصلوا بالنقيب سيلا الذي أكرم وفادتهم وأغدق عليهم الأموال كدليل على حسن نواياه².

ويذكر المؤرخ فنطر أن سبب خيانة بوكوس ليوغرطة هو أصدقاءه المقربون الذين كانوا يناهضون سياسة يوغرطة، بالإضافة إلى أعوان الجوسسة الرومانية الذين كانوا على اتصال بحاشية بوكوس المناهضة ليوغرطة، وبعض الأمراء الأفارقة الذين كان لهم دور في إقناع بوكوس للتحالف مع الرومان.

¹ محمد حسين فنطر، يوغرطة، المرجع السابق، ص 247.

² Salluste, op.cit, CIII.

مكث موفدي بوكوس عند سيلا أربعون يوماً¹، وبعد عودة ماريوس إلى سيرتا أمر باستدعاء المبعوثين بحضور حاكم أوتيكا وأعضاء من مجلس الشيوخ، فتقرر أن يمنحوا المبعوثين الإذن في الذهاب إلى روما وطلب الهدنة هناك، وعلى إثر ذلك قصد بعض المبعوثين روما وعاد اثنين منهم للملك بوكوس ليخبروه بما تم الاتفاق عليه فسرته صداقة سيلا².

عاد الوفد الموريتاني بعدها من روما يحمل إجابة بالقبول في رسالة فحواها " إن مجلس الشيوخ والشعب الروماني تعودوا أن يحفظوا في ذاكرتهم الأفعال الجيدة والسيئة، لكن بما أن بوكوس يُبدي ندمه فإنهم يسامحونه على كل جرائمه، ويقدمون له الصداقة والتحالف عندما يروونه جدير بها"³.

والحقيقة أن بوكوس كان متردد في بداية الأمر نظراً لصلة القرابة بينه وبين يوغرطة، كما أنه كان خائف من أنه إذا ما تصرف كخائن فإن ذلك سيقرب المواطنين الخاضعين له ضده، وهم الذين كان يوغرطة محبوباً إليهم ويكرهون روما، وبعد إصرار وإلحاح كبيرين تعهد أن يفعل كل شيء وفقاً لإرادة سيلا⁴.

بعد نقاش طويل بين سيلا وبوكوس اشترط سيلا عليه أن يُسلم له يوغرطة مقابل الصداقة والتحالف، فتردد بوكوس في البداية متحججاً برابطة القرابة ورد فعل النوميدي لكنه تعهد بعد ذلك بالتنفيذ، وفي اليوم الموالي أرسلوا مبعوثاً ليوغرطة يخبرونه أن سيلا يطلب منه المجيء للتباحث في وجهة نظره حول الحرب والسلم⁵، وكان المخطط نصب كمين له، حيث تمت دعوته من طرف بوكوس إلى هضبة فحاء مع مبعوثيه مجرداً من السلاح حسب الاتفاق، وعلى حين غفلة هاجمه الجنود من جميع الجهات، وقتل أعوانه وسُلم يوغرطة لسيلا مقيداً ومنه إلى ماريوس. (أنظر الشكل (35)، الصفحة

(227)

¹ محمد حسين فنطر، يوغرطة، المرجع السابق، ص 276.

² Salluste, op.cit, CIV.

³ Ibid, CIV. CXI

⁴ سالوست، المصدر السابق، ص 144.

⁵ Mohmmmed cherif Sahli, Le Message de Yougourtha, Ennahdaha, Alger, (p, p)(65,66).



الشكل (35)

لوحة تبين مؤامرة القبض على يوغرطة

نقلًا عن:

محمد العربي عقون، المؤرخون القدامى غايوس سلبوس سالوستيوس وكتابه حرب يوغرطة، المرجع السابق، ص 69.

يذكر ستيفان غزال أن الرومان يبررون فعلتهم الشنيعة تلك بأن يوغرطة كان قد أرسل سابقاً إلى صهره بوكوس رسولاً ليخبره بأنه مستعد لأن يعقد اجتماعاً تُدعى له كل الأطراف المعنية للمذاكرة حول موضوع الصلح، وأنه مستعد للموافقة على كل الشروط، غير أنه لا يثق بماريوس كثيراً، فالرومان جُبلوا على نقض الوعود والاتفاقيات، وأُشترط على بوكوس أن يُسلم سيلا له كضمان لتخضع روما للتفاوض، بمعنى أن ما قام به الرومان هو ما كان ينوي يوغرطة أن يفعله بسيلا¹، وهذه محاولة لتبرير الخيانة الرومانية فلا يوجد دليل على أن يوغرطة اشترط تسليم سيلا، كما أن السؤال الذي يجب أن يطرح هل كان يوغرطة على علم بحجم العلاقة التي بين بوكوس وسيلا؟ طبعاً لا، فحسب رأيي لو كان يعلم بذلك لأخذ بكل الاحتمالات، وهو الذي كان على علم بكل الدسائس التي حيكت ضده .

ورغم أن الانتصار على يوغرطة لم يكن يدعو للمفاخرة، بل تم بالغدر وبلا شرف الجندية، إلا أن ماريوس صاحب الفوز كُرم في روما تكريم الأبطال فانتخب قنصلاً في غيبته، وتم الاحتفال في روما في نفس اليوم الذي تسلم فيه مهام القنصلية في 1 يناير 104 ق.م²، ويوغرطة يسير أمام عربة القائد المنتصر صحبة أبنائه بعد أن صمد في وجه الجمهورية الرومانية طيلة سبع سنوات تجرعت فيها كل أنواع الهزيمة³. (أنظر الشكل(36)، الصفحة230)

لقد مثل ذلك الاحتفال اعترافاً ضمناً وصريحاً بيوغرطة كقائد أهان الجمهورية الرومانية وأثار فيها الرعب والهلع محارباً ومسالماً، فكان ذلك الاحتفال تشريفاً له ولرجل رفض الذل والاستعباد والرضوخ للاحتلال الروماني الذي سلب وأخذ ملك أجداده، فقد دفعته وطنيته إلى أن يسلك طريقاً غير طريق من سبقوه، وهم الذين حكموا أراضيهم بوصاية من روما.

ويُعلق ستيفان غزال على ذلك بقوله : "...إن ماريوس أثناء السنين الثلاث من قيادته قد استطاع الحصول على بعض الانتصارات العظيمة، ولكنه لم يحصل على الانتصار الحاسم، وانتهت الحرب الطويلة والفادحة الثمن من غير تشريف ولا فائدة لروما، والحق أن انهاءها كان عملاً كبيراً ، وكان لماريوس اليد الطولى في الوصول لهذه النتيجة، بحيث أنه لو لم يعرف كيف

¹ أصطيفان أكصيل ، ج7، المرجع السابق، ص232.

² سالوست ، المصدر السابق، ص، ص145، 146.

³ أصطيفان أكصيل، ج7، المرجع السابق، ص233.

يتغلب على يوغرطة وبوكوس لما خان بوكوس يوغرطة، فالطريقة التي وقع بها القبض على يوغرطة لم يكن بها ما يدعوا للفخر العظيم"¹.

ويُشاطره في ذات الرأي الأستاذ محمد حسين فنطر قائلاً "..... وبالقبض على يوغرطة كانت نهاية الحرب، وليس فيها ما يفتخر به الرومان، لأنهم لم يتغلبوا على عدوهم الإفريقي إلاّ عن طريق الخُبثِ والخيانة، وهي أساليب تأباها المُروءة والشهامة"².

استولى الرومان بعد القبض على يوغرطة على الكثير من الغنائم، ويذكر بلوتارك أن روما لم تشهد من قبل ذلك الكم الهائل من الغنائم، خصوصاً النقود وسبائك الذهب والفضة والتي كثيراً ما كانت الدافع وراء وجهة الحملات الرومانية على المدن التي كانوا يظنون أنّها مخزن كنوز يوغرطة وثروته، فكانت كمية الذهب الذي أخذوه 3007 رطل، وأما سبائك الفضة فوزنها 5775 رطل، بالإضافة إلى الدراهم الفضية والتي بلغ عددها 17028 قطعة، ويورد بعض المؤرخين جشع الرومان وطمعهم الذي بلغ ذروته بخلع قميص يوغرطة الغالي وقطع أذنه لأخذ قِرطه الذهبي ، وفي ذلك رسمٌ لمدى الطمع وحب الثروة دون أدنى مراعاة للإنسانية أو الضمير³.

ثانياً: تسوية وضعية العرش بعد يوغرطة

بعد انتهاء الاحتفالات بروما أُقتيد يوغرطة إلى التوليانوم (Tullianum) وهو السجن الذي كان تحت معبد الكايبتول بروما، ويذكر المؤرخون أن الرومان جردوه من ثيابه وأقراطه، وكل ما يملكه قبل رميه في السجن الذي كان شديد البرودة، ومن قسوة الظروف قال ساخرًا " بحق هرقل ما أبرد بيت الاستحمام عندكم!!!"، وبعد صراع مع الجوع لمدة ستة أيام أمر ماريوس بإعدامه⁴.

¹ أصطيفان أكصيل، ج7، المرجع السابق، ص234.

² محمد حسين فنطر، يوغرطة، المرجع السابق، ص297.

³ المرجع نفسه، ص300(بتصرف)

⁴ أصطيفان أكصيل، ج7، المرجع السابق، ص235.



الشكل (36)

صورة يوغرطة في الأسر الروماني

نقلًا عن:

محمد العربي عقون، المؤرخون القدامى غايوس سلبوس سالوستيوس وكتابه حرب يوغرطة، المرجع السابق، ص 70.

أما عن أولاده فيذكر المؤرخون، ومنهم ستيفان غزال، أن ماريوس احتفظ بهما، وبعد مرور خمسة عشر عاماً لوحظ أحدهما في سجن بمقاطعة أبوليا (Apulie) بجنوب شرق إيطاليا اليوم- كمبانيا (Campanie)-، وأن أحد القادة الإيطاليين الحاقدين على روما ألبسه اللباس الأرجواني الملكي، وأظهره للنوميد في الجيش الروماني، فالتفوا حوله واعتبروه ملكاً عليهم وحذي الأخرين حذوهم، وحتى لا يتفاقم الأمر إلى إعلان ثورة داخلية تم تسريح المجندين من النوميد إلى أوطانهم، مما يعني أن ذكرى يوغرطة كانت لا تزال راسخة في نفوس النوميد¹.

أما بشأن مملكة يوغرطة، فقد لجأ الرومان بعد قضائهم عليه إلى تنصيب الأمير غودا (Gauda)، لأنه كان ضعيف الشخصية، وهو ابن مسطنبعل وحفيد ماسينيسا وكان ماركيسا قد جعله في المرتبة الثانية في وصيته حول وراثة العرش على الجزء الشرقي من نوميديا، والتي كان يسيطر عليها سابقاً أذربعل².

ويقول بعض المؤرخين أن الملك غودا كان قد استجاب لاقتراحات ماريوس بأن يكون ملكاً على نوميديا بدلاً من يوغرطة أثناء محاولة ماريوس إثارة الجنود والتجار النوميد من أسرة ماسينيسا على ميتلوس الذي كان يرى أنه يتعمد إطالة مدة الحرب ليتمتع بممارسة السلطة على رأس الجيش³، وبذلك تكون روما قد ضمنت لنفسها بقاء نوميديا تحت وصايتها المباشرة، وعليه تصبح نوميديا سوقاً لرجال الأعمال والجواسيس والمال⁴.

أما بوكوس فكفأته روما على أعماله ووفائه بأن منحت له لقب الحليف، بالإضافة إلى الثلث الموالي لموريطانيا، وقد ظل بوكوس حليفاً وانياً لروما، فكان جيشه على أهبة الاستعداد لمشاركة الرومان في حروبهم التوسعية خارج شمال إفريقيا، ويذكر المؤرخون أنه كان يرسل لسيلا في حفلاته التي كان يقيمها عندما كان قاضياً الكثير من الحيوانات لألعاب المصارعة التي كانت تقام في المسارح الرومانية، ومما يُذكر أنه أرسل له مائة أسد مع مجموعة من القناصين المدربين لروما، كما أشرف على

¹ أصطيفان أكصيل، ج7، المرجع السابق، ص235.

² Salluste, op.cit, LXV.

³ عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، المرجع السابق، ص، ص92-95.

⁴ محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة.....، المرجع السابق، ص88.

تشديد تمثال للنصر يحمل شعار الغلبة، وبجانبه صورة ذهبية تمثله وهو يسلم يوغرطة إلى سيلا¹، غير أن صفة الخيانة ظلت لصيقة به، كما أن مملكته التي أراد الحفاظ عليها لأحفاده مالبت روما أن الحققتها بما بشكل مباشر لتكون مسرحاً لتطبيق سياستها.

خَلَقَ الرومانيون المملكتين السابقتين مقاطعة أخرى عينوا عليها ماستانيسوس (Mastanesosus)² كدولة وقائية، لتكون بمثابة الفاصل بينهما فتمنع من امتداد كلتا المملكتين باتجاه الأخرى³، وبهذا تكون روما قد ضربت عصفورين بحجر واحد، فمن جهة حافظت على الوضع الهادئ مع النوميديّ بتنصيب ملك من الأسرة الملكية النوميديّة وفق ما هو متعارف عليه في تقاليدهم، ومن جهة أخرى أتاحت الفرصة لجيشها ومجلس الشيوخ للانشغال بحروبهم⁴ في بلاد الغال والإغريق والشرق القديم، وحرب الحلفاء في إيطاليا⁵.

كما عمل ماريوس على تشجيع حركة الاستيطان في شمال إفريقيا باستصدار مجموعة من القوانين الخاصة مثل قانون ساتورنوس⁶ عام 103 ق.م، والذي بموجبه منح الحق لقدماء المحاربين الذين وقفوا إلى جانب الرومان في حربهم ضد يوغرطة بالمواطنة الرومانية، كما وزع عليهم قطعة أرض بلغت مساحتها مائة يوجيرة (أي ما يقارب 25 هكتار) لكل جندي، مجملها تقع في المنطقة الإستبسية بالقرب من خط الليمس وفق ما ينسجم مع السياسة المعمول بها في كل الأراضي التي سيطروا عليها وهو " حق الامتلاك بعد الاستيلاء"⁷، ومنها: جندوبة، وبوسالم بتونس الحالية، وأشولا وتينيا(Thaenae) وهي طبنة اليوم، كما أسس مستوطنات رومانية مثل توبورنيقا(Thuburnica) غرب شمتو، وتيبارس ومريانة، وأوشي مايوس(Uchi Marus)،

¹ أصطيفان أكصيل، ج7، المرجع السابق، ص240

² محفوظ قداش، المرجع السابق، ص107.

³ محمد البشير الشنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب.....، المرجع السابق، ص41

⁴ محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة.....، المرجع السابق، ص88

⁵ حمادوش بولخراس، نوميديا من ماسينيسا إلى يوغرطة، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، الع: 30، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م.

⁶ يسمى كذلك بقانون أبوليا(Lex Appulies) نسبة للقنصل الذي سنه وهو لوكيوس أبوليوس ساتورنيوس(Lucius Appulius Saturninus)

⁷ محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة.....، المرجع السابق، ص87..

(وهي هنشير الدواميس اليوم)، ويظهر أن جل أسماء تلك المستعمرات مشتق من اسم ماريوس (الماريانيتين)¹.

ثالثاً: تراجع الهيمنة الرومانية وتغيّر سياستها:

كشفت حرب يوغرطة عن الفساد الذي كان منتشر بروما، بل وفي مجلس الشيوخ الروماني من خلال الرشاوي وبيع الذمم، فقد أدانت الجمعية القبلية أربعة من القناصل الرومان بتعاطي الرشوة خلال هذه الحرب وحكم عليهم بالنفي خارج روما، كما أزال حرب يوغرطة اللثام على الشخصية الرومانية السياسية والعسكرية بشكل خاص، والتي غلب عليها حب النفس والثروة والترقية في سلم المناصب العليا دونما مراعاة للأخلاق، وأطلقت سهماً في صدر روما التي عانت خيانة أبنائها الذين باعوا ضمائرهم مقابل المال، وهي الصفة التي حاول سالوستيوس إصاقها بيوغرطة غير أنه أثبتها من حيث لا يدري عند الرومان، بالإشارة إليها بمصطلحات متنوعة².

كما أجبرت حرب يوغرطة الرومان على تغيير سياستهم، إذ اثبتت أن في إمكان العامة والفرسان أن يسيطروا على السياسة الخارجية لبلاد، وهو ما تفضن له "كايوس ماريوس" الذي كانت شعبيته وبروز اسمه مرتبط بهذه الحرب التي فشل القادة النبلاء في انهاءها، مستغلاً حقد العامة والفرسان على النبلاء منذ أيام السياسيان المصلحان "تبريوس وكايوس جراكوس"، وانكسارات النبلاء وفسادهم وعدم قدرتهم على انهاء حرب يوغرطة، فكانت الفرصة سانحة له وهو الذي كان مجرد ضابط في جيش ميتلوس المكلف بقيادة الحرب في إفريقيا ضد يوغرطة، وكان حاقداً على النبلاء الذين كانوا يرون فيه رجلاً دخيلاً لا ينحدر من عائلة ارسقراطية كما كان شأن الضباط الكبار وقادة الحملات في روما³.

عمل ماريوس على توطيد علاقته بالجند وعاملهم معاملة حسنة حتى صاروا يدينون له بالطاعة، فطار خبره إلى روما واقتنع العامة أنه الرجل الأجدد والانسب لمجابهة قوة يوغرطة، فطلب من قائده ميتلوس السماح له بالذهاب لروما من أجل الترشح للقنصلية، غير أن ميتلوس سخّر منه فتحامل

¹ عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 63.

² عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني، عصر الثورة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1988، ص 49.

³ المرجع نفسه، ص 51.

عليه الجند الموالين لماريوس فغير رأيه وسمح له بالذهاب، فأبحر ماريوس من أوتيكا متجهاً نحو روما وخطب هناك خطاباً حماسياً أمام الشعب، وتعهد أمامهم بقتل يوغرطة أو الاتيان به حياً إلى روما¹.

فاز ماريوس بمساندة الفرسان والعامّة بمنصب القنصلية عام 107 ق.م²، ولإنجاح مهمته ووعدّه للشعب الروماني عمل بنفسه على اختيار وانتقاء المقاتلين ممن يشهد لهم بالكفاءة والشجاعة، وأغدق عليهم بالغنائم والأعطيات ليعزز مكانته بين مقاتليه، ورغم ذلك لم يتغلب على يوغرطة إلا بالغدر والخيانة كما رأينا سابقاً.

وبذلك كانت حرب يوغرطة بداية لفترة جديدة بروما كشفت عن عجز مجلس الشيوخ (السينا) وحزب الأرسقراطيين عن اتخاذ القرارات أمام كبار القادة، ومنهم ماريوس الذي كان يحظى بتأييد الشعبين والفرسان له، حيث أصدرت الجمعية القبليّة قراراً يقضي بإسناد قيادة الجيش له في إفريقيا متجاهلة قرار مجلس الشيوخ الذي عين ميتلوس عليها!!!³.

هذا ناهيك عن الأسلوب الجديد الذي استحدثه ماريوس بخصوص الانضمام للجيش بإدخال نظام التطوع في التجنيد مما أدى إلى أحداث تغيرات كثيرة في طابع الجيش وتكوينه، فصار يضمّ الفقراء الذين اعتبروا الجنديّة مصدر رزق لهم، حيث كانوا يتقاضون رواتبهم ونصيبهم من الغنائم والأسلاب والأراضي الزراعيّة بعد تسريحهم للاستثمار فيها؛ وبالتالي تكوين جيش محترف يدين بالولاء والطاعة للقائد فقط، وهذا ما سيكون له انعكاس سلبي على روما في عصورها اللاحقة، حيث سيستبيح ذلك الجند روما في حد ذاتها خلال الحروب الأهلية وفي خضم الصراع على السلطة⁴.

رابعاً: الحرب الأهلية بين ماريوس وسيلا

كانت نهاية يوغرطة ميلاداً لجدل عنيف احتدم بين حزب النبلاء الذي مثله سيلا كونه سليل عائلة شريفة، وماريوس باعتباره ابن فلاح بسيط من ضواحي ارينوم (Arpinum) كممثل عن

¹ عمر بوصبيح، حرب يوغرطة ودورها في بزوغ نجم القائد ماريوس الرجل الجديد في روما، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الع:20، جامعة الوادي، 2019، ص104.

² المرجع نفسه، ص402.

³ محمد عواد حسين، الثورة الرومانية، المرجع السابق، ص181.

⁴ المرجع نفسه، ص182.

الشعبيين، فكان مؤيدو سيلا يُنسبون الفضل إليه في تحقيق النصر على يوغرطة باعتباره مدبر مؤامرة القبض على يوغرطة بمعاونة بوكوس، بينما أرجع الشعبيون سبب الانتصار إلى بطولات ماريوس وفوزه في العديد من المعارك ضد يوغرطة.

خلد سيلا انتصاره على يوغرطة بنقش صورته على خاتمه وهو يستلم يوغرطة من يد بوكوس ملك موريطانيا، وهو ما أثار غضب ماريوس، وزداد الأمر سوءاً عندما أظهر سيلا ميله لكاتولوس (Catulus) زميل ماريوس في القنصلية واستمالة الارستقراطيين لسيلا، واطهارهم له على أنه الزعيم المناسب، وبذلك بدأ التنافس الحزبي والغيرة الشخصية والعداوة بين الاثنتين خاصة بعد نجاح سيلا في حربه ضد قبيلة المارسيين، والتي نال على اثرها شهرة كبيرة على حساب ماريوس ما أهله لمنصب القنصلية التي فاز بها عام 88 ق.م، إضافة إلى اختياره لقيادة الحملة ضد ميثريدات ملك البنطس¹.

عمل ماريوس كل ما في وسعه لكسب قيادة الحرب ضد ميثريدات، واستعان لكسب ذلك بالتريون بوليوس سولييكوس (Plbius Sulpicus) الذي أعفى سيلا من المهمة وأكلها لماريوس، غير أن سيلا رفض الاعتراف بذلك وزحف مع ست فرق من جيشه على روما واخذها عنوة، واستباح دم ماريوس وحليفه سولييكوس ففر الأول إلى افريقيا وقتل الثاني. وأدخل سيلا تغييرات دستورية لتوطيد مركز السيناتور أهمها قانون يقضي بضرورة عرض المشاريع على الجمعية المثوية المعروفة بتحفظها، لأن نقباء العامة لم يكن باستطاعتهم التقدم بالمشروعات إلا للجمعية القبلية، وبذلك يكون سيلا قد حد من نشاطهم بمهارة².

وفي عام 87 ق.م عاد ماريوس إلى ايطاليا وحشد جيشاً من أتوريا فرحف به على روما من الشمال وحليفه كينا من الجنوب، وما لبث أن ألغى قوانين سيلا وصادر أملاكه، وقتل خصومه من أعضاء السيناتور، وتولى منصب القنصلية للمرة السابعة في 1 يناير 86 ق.م غير أنه توفي بعد ذلك بأيام قلائل.

استمرت المعارك حامية الوطيس بعد وفاة ماريوس بين سيلا وماريوس الصغير ابن ماريوس، واستطاع سيلا أن يسيطر على الوضع في روما في سنة 82 ق.م فأمعن في معاينة خصومه، وقرّر منح

¹ عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص 79.

² Appien, op.cit, I, 56.

مكافأة لمن يوشي بالمتخفين من اتباع ماريوس، كما باع أملاكهم في المزاد العلني، وحزّم على أبناءهم الترشح للوظائف العامة. وهكذا خسرت روما الآلاف من خيرة شبابها في صراع حول السلطة والمناصب بسبب الحرب ضد يوغرطة، تلك الحرب التي مثلت بداية لفترة جديدة في تاريخ روما¹.

المبحث الثاني: إفريقيا الرومانية بعد يوبا الأول

تُعد موقعة تابسوس 46 ق.م حدثاً تاريخياً هاماً في شمال إفريقيا، فإذا أضفنا إلى ذلك تنازل بطليموس أبيون (Apion) آخر ملوك برقة من البطلمة عن قورينة الليبية عام 74 ق.م لروما يكون يوليوس قيصر قد سيطر على إفريقيا الممتدة من مصر حتى موريطانيا، وقد ترتب عن ذلك الانتصار عدة تعديلات سياسية وإقليمية في شمال إفريقيا².

أولاً: شمال إفريقيا بعد هزيمة تابسوس

صحيح أن تاريخ إفريقيا الرومانية يبدأ من نهاية الحرب البونية الثانية عام 201 ق.م، ولكن حتى هزيمة حنبعل وخضوع قرطاج ونوميديا للرومان لم يكن لتأسيس المستعمرات بها مكانة كبيرة في التفكير الروماني، حقيقة أن بعض الرومان والإيطاليين الذين دفعتهم الرغبة في المغامرة هاجروا واستقروا في بعض مدن شمال إفريقيا مثل سيرتا - ذكرنا في الفصل الثالث أن يوغرطة لما حاصر سيرتا عام 107 ق.م وجد أكثر ساكنتها من الرومان فأمر بإعدامهم - إلا أن يوليوس قيصر يعتبر أول من وضع أسس الاستيطان والمستوطنات³.

كانت معركة تابسوس التي انهزم فيها يوبا الأول وحلفائه البومبيين بمثابة النكبة الكبرى التي أملت بالمملكة النوميديّة، لأنها أطلقت يد قيصر، وأعطته الحرية الكاملة في التصرف في شؤونها، وكان أول شيء قام به بعد المعركة هو التوجه إلى أوتيكا آخر معقل البومبيين بشمال إفريقيا، والتي كان يحتمي فيها "كاتون" ورجاله فجمع سكانها وشكرهم على موقفهم اتجاهه ودعمهم له رغم سيطرة البومبيين عليها، لكنه شدّد في نفس الوقت لهجته على التجار الإيطاليين المقيمين فيها وحلفاء البومبيين ففرض عليهم بيع ممتلكاتهم واعتبار ثمنها بمثابة ضريبة العفو، كما فرض عليهم أيضاً دفع

¹ محمد عواد حسين، الثورة الرومانية، المرحلة الثانية المرجع السابق، ص، ص 181، 183.

² عبد العزيز عبد الفتاح حجازي، المرجع السابق، 51.

³ المرجع نفسه، 125-126.

2 مليون سيستريس (Sesterces) على مدى ثلاثة سنوات تكون على ست دفعات تدفع للشعب الروماني¹، ورغم ذلك لم يظهروا أي رفض تجاه هذا التعسف، بل والأكثر من ذلك شكره ولسان حالهم يقول "شكراً لك لأنك منحت لنا حياة ثانية"².

أما كاتون فانتحر بعد ذلك ولما سمع القادة البومبيين ذلك فروا أيضاً، وهكذا استسلمت المدن الواحدة تلو الأخرى³، وظل يوبا ملك نوميديا طيلة تلك الفترة يسير الليل ويتخفى بالنهار في مساكن معزولة إلى أن وصل إلى عاصمته زاما ريجيا(نواحي سليانة بتونس)⁴ التي كانت مقر إقامة زوجاته وأولاده، ومخزن كنوزه وأمواله، والتي كان قد حصنها تحصيناً جيداً.

رفض سكان مدينة زاما فتح الأبواب ليوبا الأول لما علموا أن قيصر قد انتصر، لأنه كان قد توعدهم بأن يحرق المدينة ويرمي بأهله وأولاده وممتلكاته ونفسه في تلك النيران إن هو انهزم أمام قيصر، ورغم توسل يوبا الأول لسكان المدينة إلا أنهم رفضوا طلبه، فلما يأس طلب منهم أن يخرجوا له زوجاته وأولاده لكنهم رفضوا ذلك أيضاً، فما كان عليه إلا أن غادرها ليختفي بعد ذلك في إحدى مزارعه مع القائد الروماني ماركوس بتيوريوس، وعمد إلى الانتحار من خلال منازلة لا تنته إلا بمقتل أحد الطرفين ليقتل الآخر نفسه بعدها بالانتحار ليضمن بذلك الموت بشرف وفق التقليد المعمول به عند النوميديين.⁵

في ذات الوقت كان قيصر قد غادر أوتيكا نحو زاما التي أعلنت ولاءها له، فعرض قيصر ممتلكات يوبا الأول للبيع كما أمر ببيع ممتلكات جميع الذين عملوا تحت إمرته هو وحليفه بومي، وبنفس الطريقة فرض على مدينة تابسوس خمسة ملايين سيستريس، وثلاثة ملايين على هادرومنت (سوسة)، وعلى أراضيها خمسة ملايين أخرى، أما مدينة تيسدرا ففرض عليها ضريبة من القمح،

¹ يوليوس قيصر، المصدر السابق، ص 97.

² César, Guerre d'Afrique, op.cit, p90.

³ César, Ibid, p93.

⁴ الإدارة العامة للتهيئة الترابية، أطلس ولاية سليانة، تونس 2013، ص 8

⁵ César, Ibid, p,p 91,92 .

وفرض على مدنٍ أُخرى 300 ألف رطل من الزيت¹ مقابل أن يحمي مدنتهم وأملاكهم من كل عنف ونهب وهذا ما يسمى استعباداً لا حماية².

عاد قيصر بعدها إلى روما وخاطب جمهورها في احتفاله بالنصر الذي حققه في كل من إفريقيا ومصر، وكان معه في احتفاله ذلك ابن يوبا الأول الذي كان حينها طفلاً مع أربعين فيلاً اقتادها معه من إفريقيا، كما سلّم لكل جندي من كتائبه ما يقارب 4.400 فرنك³، وأمر بنحت تمثال لتخليد ذكرى انتصاره على يوبا الأول في تابسوس ربما هو ذلك الذي لا يزال محفوظاً في متحف هييون الأثري بعنابة، ويعد ذلك التذكار من أنفس التحف الأثرية كونه مصنوع من البرونز، ويصل طوله 2.45م وعرضه 85م. (انظر الشكل (37)، الصفحة 239)

سياسياً، قام قيصر بتغيير الخارطة السياسية لنوميديا فأزال المملكة النوميديّة وحول نوميديا الشرقية إلى مقاطعة رومانية تحت اسم إفريقيا الجديدة (Africa Nova)⁴ تمييزاً لها عن المقاطعة القديمة (Africa Vetus)، وعين عليها سالوستيوس ليكون أول حاكم لها برتبة بروقنصل، ويفصل بينهما الخندق الملكي الذي وضعه سكيبيو الاميلي⁵.

¹ Stéphane Gsell, T: 7, op .cit , p153.

² يوليوس قيصر، المصدر السابق، ص98.

³ Moinier Colonel, Compagne de César en Afrique fin, Riv. Afri, V:47, 1903, op.cit, p12.

⁴ Mercel Ben Abou, Proconsul et Legat en Afrique le témoignage de Tacite , Anti- Afri, T:6, 1972, p129.

⁵ Appien, op .cit, 2,100



الشكل (37)

تمثال من البرونز يُخلد انتصار يوليوس قيصر على يوبا الأول حليف بومبي في معركة تابسوس

نقلًا عن: متحف هييون (عناية)

<https://www.facebook.com/museumofhippo/videos/663967041034680/>

تاريخ الزيارة: 15-04-2020م، 22:34 ليلاً.

أما ما تبقى من أراضي نوميديا فقد منح جزء منها لملك موريطانيا بوكوس، كمكافأة له على دعمه له، والجزء الثاني مُنح كإمارة أشبه بالكونفدرالية لسيتيوس¹ نتيجة للمساعدات التي قدمها لقيصر، وتضم تلك الإمارة عدة مدن مثل: شولو(القل)، وروسيكاد(سكيكدة)، وميلفا(ميلة)، وسيرتا(قسنطينة)، وهي التي تعرف في كتابات المؤرخين بالاتحاد السيرتي. (أنظر الخريطة(09)، الصفحة 241)

كان من نتائج تلك التغييرات السياسية أن فر الأمير النوميدي أرابيون إلى إسبانيا، ليعود بعد وفاة قيصر ليقضي على سيتيوس ويسترجع حكم نوميديا لمدة من الزمن². (فصلنا في هذا سابقاً). وقد تمكن السيتاتيوسيون فيما بعد من إنشاء عدة مستوطنات زراعية في المناطق التي استولوا عليها، وذلك بمساعدة الجالية الإيطالية التي استقرت بسيرتا منذ عهد مكيسا، وهي التي نكل بها يوغرطة سنة 112ق.م³، إضافة إلى استغلالهم لامتيازاتهم كتمتعهم بحق المواطنة الرومانية وغيرها.

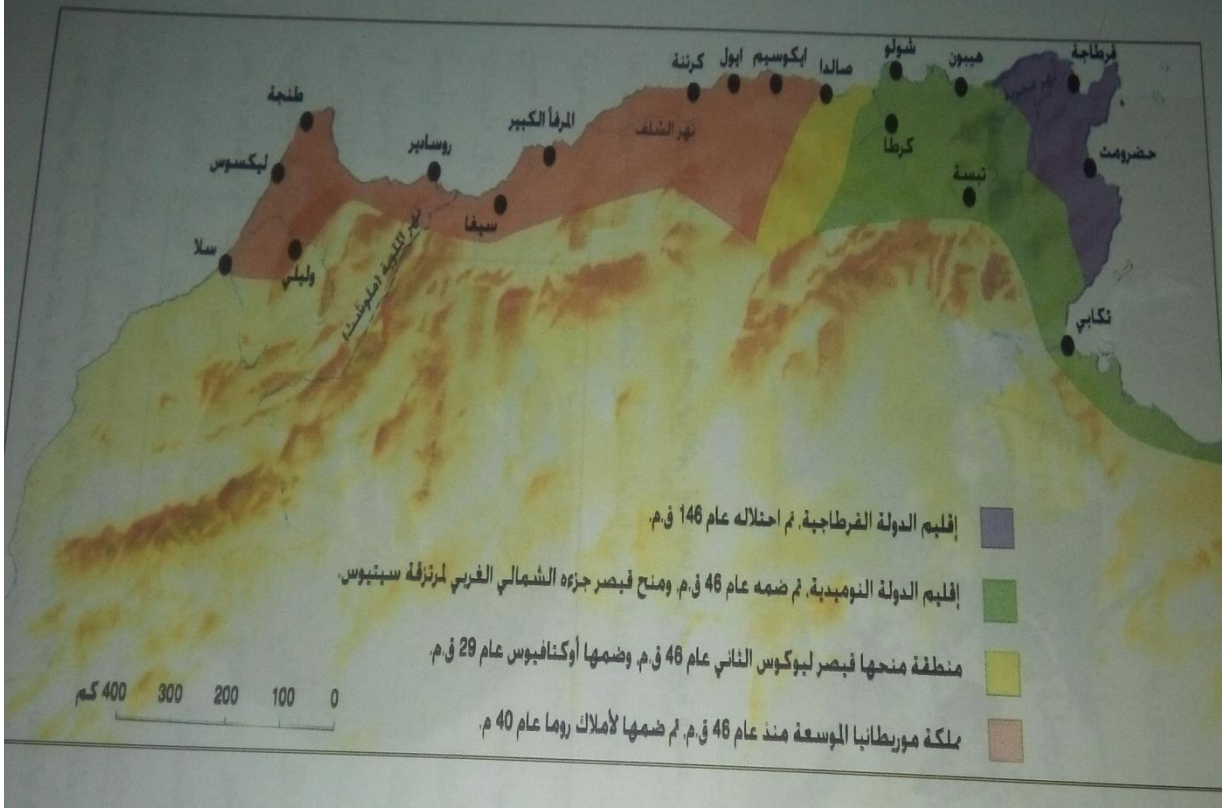
ثانياً: تشجيع الاستيطان بإفريقيا

يعتبر الاستيطان سياسة فعالة يلجأ إليها المحتل لغرض ترسيخ وجوده، وتعميق نفوذه، وقد كانت مقاطعة إفريقيا مسرحاً لهذه السياسة خاصة مع تنامي الارهاصات الأولى لتغيير النظام في روما من النظام الجمهوري إلى الامبراطوري، هذا الأخير الذي لا يمكن أن يتحقق دون ضم أراضي جديدة لروما.

¹ اسمه الكامل بيبليوس سيتيوس (P.Sittius) وهو جندي مرتزق يعود أصله إلى مقاطعة كامبانيا بإيطاليا، أين كان رجل أعمال، وهروباً من مشاكله المالية ذهب إلى إسبانيا في نهاية 60ق.م، وأقام بمقاطعة نيكريا(Nuceria) التي استمد منها كنيته "نيكريوس"، ومن إسبانيا اتجه سيتيوس إلى المغرب، وعرض خدماته كجندي مرتزق على الأمراء الموريين، ووصل صيته أسمع قيصر الذي طلب منه المساعدة في حربه ضد بومبي، وهو ما تم فعلاً، بحيث هاجم سيتيوس إلى جانب بوكوس مدينة سيرتا عاصمة الاقليد يوبا الأول، لتصبح هذه الأخيرة بعد سيطرة قيصر على الوضع في إفريقيا تحت حكم سيتيوس، الذي شكل فيها مع بقية الأراضي التي منحت له شبه إمارة مستقلة، غير أن حكمه لم يدم طويلاً، فقد توفي بعد عامين، أي في سنة 44ق.م وهي السنة التي أعتيل فيها قيصر، وقد قتل سيتيوس على يد الأمير النوميدي أرابيون أحد أحفاد الاقليد ماسينيسا. أنظر: جهيدة مهنتل، حاضرة قسنطينة، المرجع السابق، ص100.

²Marcel Leglay, Saturne Africian, edition de Boccard, Paris, 1966, p 78.

³Ibid, p, p 77,78.



الخريطة (09):

الخريطة السياسية لبلاد المغرب القديم التي أحدثها يوليوس قيصر عقب انتصاره على يوبا الأول وحلفاءة البومبيين عام 46 ق.م.

نقلًا عن :

محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما الامبراطورية، المرجع السابق، ص 27.

وقد مثل عهد الأسرة اليوليو كلاودية¹ بصفة عامة وعهدي قيصر وأوغسطس العصر الذهبي لسياسة الاستيطان بشمال إفريقيا.

والحقيقة أن الجذور التاريخية لحركة الاستيطان الروماني بشمال إفريقيا بصفتها قراراً سياسياً وإدارياً تعود لفترة سابقة لعهد يوليوس قيصر، حيث تذكر المصادر التاريخية أن السياسيان كايوس وتبيرسوس كراكوس كانا يشجعان على هجرة العنصر الايطالي إلى الأراضي الإفريقية، وقدمتا تسهيلات لذلك الغرض بحصول المستوطنين على أراضي زراعية خصبة بموجب قانون كراكوس (Lex Rubria) سنة 123 ق.م الذي أقر تأسيس أول مستوطنة بشمال إفريقيا تضم ستة آلاف من الفلاحين الرومان²، ثم تلى ذلك قانون أبوليا عام 103 ق.م الذي سمح لماريوس بتأسيس مستوطنات لقدامى الجنود بشمال إفريقيا.

ولا تقل موجة الاستيطان التي سنّها يوليوس قيصر عن سابقتها من حيث كثافة العنصر الروماني النازح نحو ولاية إفريقيا، إذ شجع قيصر جنوده على انشاء المستعمرات، إما كتحفيز على الحرب والولاء، أو كهدية وعطايا بعد الانتصار على الأعداء، فبعد نهاية حرب قيصر ضد بومبي وحليفهم يوبا الأول فتح باب الاستيطان أمام العامة فضلاً عن الجنود المسرحين، وقد كانت خطته تتمثل في انشاء البلديات في شكل حكومات مستقلة، ثم جعل قرطاج ذات مساحة أكبر متميزة عن باقي المدن اليولياوية، وأقرب ما يكون إلى المدينة الدولة حسب النمط المهنستي.

وقد كانت سياسة قيصر الاستيطانية هذه ضمن سياسته التوسعية، إذ جعل الحدود المتداخلة بين ولاية إفريقيا القديمة، والجديدة التي حلت محل نوميديا مجالاً لمشروعه الاستيطاني بمنح الجزء الشمالي الغربي للمرتزق ستيوس، وإطلاق يده لتأسيس المستوطنات هناك في الأراضي القريبة منه، ويعلق الباحث "أندور" على ذلك بقوله "أنه لما شرع قيصر في تقسيم الأراضي على جنوده، لم

¹ أباطرة الأسرة اليوليو كلاودية وهم أغسطس، تيبيريوس، كاليغولا، كلاوديوس ونيرون.

² لمزيد من التفاصيل راجع: عمر بوصبيح، المحاولات الاصلاحية للأخوين جراكوس وانعكاساتها على الأوضاع العامة للجمهورية الرومانية (133-121 ق.م)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 11، جامعة الوادي، ص - ص 54-56.

يكن يأخذها من أصحابها كما فعل سيلا، ولم يوطنهم في مدن المهزومين كي لا تقوم المناوشات، وإنما بتقسيم الأراضي العامة، وحتى ممتلكات الخاصة¹.

والحقيقة أن الأراضي العامة التي ذكرها الباحث أندور لم تكن في الأصل إلا أراضي الخاصة التي انتزعت من أصحابها النوميديون عنوةً وقهراً، وقد ذكر المؤرخان سويتون وديون كاسيوس أن حوالي ثمانين ألف جندي انتفعوا من حملة يوليوس قيصر، ووزعت عليهم أراضي في الولايات الرومانية خارج إيطاليا²، وقد عدّ المؤرخ سويتون (Suétone) عدد المستوطنين الذين نقلهم قيصر إلى ولاية إفريقيا بألف مواطن، بينما قدر بعض الباحثين عدد المستفيدين من الأراضي الإفريقية بألفي جندي، وهو عدد لا يخل من المبالغة في تحجيم عدد المستوطنين.

كانت أغلب المستعمرات التي انشأها يوليوس قيصر في ولاية إفريقيا القديمة تقع على الساحل أو قرية منه ومن قرطاج، ولاشك أن الغرض من ذلك هو ضمان سهولة التبادل التجاري بين روما وولاية إفريقيا، وخاصة القمح الإفريقي الذي كان يمثل الغذاء الرئيسي للشعب الروماني، ولتكون تلك المناطق بمثابة منافذ اتصال عسكرية للأسطول الروماني³.

حمل قيصر سياسته مشروعاً استيطانياً كبيراً خرج به عن المألوف، فلم يلتفت كثيراً إلى مجلس النواب في روما في قراراته المتعلقة بإقامة المستعمرات وتوزيعها كما فعل الأخوان جراكوس، فمهد بذلك الطريق لخليفته الإمبراطور أغسطس أوكتافيوس، وتم بيع الأراضي الزراعية للرأسماليين الأثرياء الرومان، على شريطة أن يدفعوا بانتظام ضريبة عنها (Vectigal) للدولة، ومن المحتمل أن مساحات كبيرة من الأراضي وجدت طريقها على هذا النحو في قبضة الرأسماليين الرومان، وبنفس الطريقة نشأت الضياع الشاسعة التي ظهرت فيما بعد⁴.

¹ عبد الحفيظ رباح، الاستيطان اليوليوي كلاودي في إفريقيا البروقنصلية (أواخر العهد الجمهوري وبداية الإمبراطوري)، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج13، الع:1، جامعة الحلفة، 2021، ص980

² محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني....، المرجع السابق، ص130.

³ عبد الحفيظ رباح، المرجع السابق، ص981

⁴ رستوفتريف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ج1، تر: زكي علي، محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، د.ت، ص، ص384،385.

كان الضغط كبيراً جداً على المقاطعات الإفريقية الرومانية، فكان على نوميديا أن تنتج لروما الكمية الكافية لها من القمح المقدرة بحوالي 840.000 قنطار سنوياً¹، ناهيك عن الخيول والفرسان²، وفوق كل هذا الضرائب التي أثقلت كاهل الأهالي الأفارقة الذين تضرروا من عمليات الجباية التي مارسها الجباة الذين أطلقوا أيديهم لجمع أموال طائلة حتى باختراقهم للقوانين الصادرة من الإدارة المركزية، مستغلين في ذلك ضعف الرقابة، وكانت الطبقة الأكثر تضرراً في ذلك كله هي طبقة الفلاحين الصغار الذين صاروا مستأجرين في أراضيهم، فلم يكن لهم من خيار سوى ترك أراضيهم، أو عمل السخرة في مناطق فقيرة حددتها روما³.

حملت المستعمرات الرومانية في عهد يوليوس قيصر ومن جاء بعده من أباطرة الأسرة اليوليو كلاودية لقب العائلة (يوليو)، إذ وجدت مالا يقل عن اثني عشرة مستعمرة تحمل اسم (Colonia Julia) نسبة إلى يوليوس قيصر، وهذا ما يجعل التفريق بين تلك المستعمرات وتحديد هويتها من حيث سنة تأسيسها عويصاً دون الاعتماد على الأدلة الأثرية وغيرها نذكر منها⁴:

- مستعمرة قرطاجة (Colonia Julia Carthage): دار نقاش طويل حول تأسيس هذه المستعمرة، فذكر بومبيوس ميلا أنها تأسست على يد كايوس جراكوس سنة 122 ق.م، ويرى آخرون أن يوليوس قيصر كان يخطط لإنشاء مستعمرة رومانية مكان قرطاجة لولا أنه اغتيل، وتروي الكتب التاريخية أن يوليوس قيصر كان قد خيم قرب المدينة في إحدى حملاته فرأى في المنام جيشاً عظيماً يبكي، وما إن استيقظ من منامه حتى أمر بتعمير قرطاجة.

ويُعلق ستيفان غزال على تلك الرواية واصفاً إياها بالأسطورية لأن قيصر لم يكن بحاجة إلى الحلم ليعرف مدى مكانة وعظمة هذه المدينة، وهو الذي كان يفتخر دوماً بانتصاره في حرب إفريقيا هذه المقاطعة التي ضمنت لروما العيش الهنيئ بخيراتها، وحسب أبيانوس فإن مشروع تلك المستوطنة كان قد عثر عليه أغسطس أوكتافيوس بين الوثائق التي خلفها يوليوس قيصر، ولذلك بعث إليها

¹ نورة عمران، رجال المال والاعمال الأجانب في مقاطعات الافريقية الرومانية (146-285) ماجستير قديم، اشراف: شافية شارن، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص148.

² Marcel Leglay, op.cit, p 12.

³ نورة عمران، المرجع السابق، ص149 (بتصرف)

⁴ محمد البشير شنيبي، الاحتلال الروماني.....، المرجع السابق، ص130.

بثلاثة آلاف (3000) مستوطن روماني، وقد حدث هذا بعد مائة وعامين من تهديم قرطاجة البونيقية أي في سنة 44 ق.م.

إن التسليم بتأسيس قرطاجة سنة 44 ق.م يجعلنا نرحب أن المدينة تأسست على يد يوليوس قيصر لأنها على الأقل كانت مهياًة قبل موته، ولا يمكن أن يكون أغسطس قد أسسها في هذه السنة لأنه لم يكن قد استلم السلطة بعد التي تحوله لهذا العمل، وربما يكون قد فعل ذلك سنة 29 ق.م بعد أن أنهى الحرب مع خصومه¹.

ويرجح صولان (Solin) أن مولد قرطاجة الثانية كان في عهد قنصلية مارك أنطوان (Marc Antoine) ودولابيللا (P.Dolabella) بمائة وعامين من هدم قرطاجة الأولى، ودولابيللا قد خلف قيصر في 16 مارس 44 ق.م²، و أثبتت الأبحاث الأثرية أن المكان احتوى على آثار رومانية كالأبار الواسعة وتمثيل للآلهة الرومانية (فينوس، مارس)، ونقش بارز ليوليوس قيصر المؤله، وهي دليل واضح على أن المستعمرة الجديدة قد اقيمت مكان قرطاجة القديمة، ويمكن القول أن تلك الآثار تدل أيضاً على أن هناك مستعمرة أخرى قد أقيمت فيما بعد بجوار تلك المستعمرة، ولما كان المكان معموراً قرر أغسطس انشاء مستعمرة أخرى بجوارها، ولذلك وقع الخلط بين مستعمرة قرطاجة التي أقيمت بعد موت قيصر مباشرة وحركة الاستيطان التي عرفتها المنطقة المجاورة لقرطاجة في عهد ابنه أغسطس³.

- مستعمرة ماكسولا (Colonia Julia Maxula): وهي رادس (Rades) اليوم المجاورة لمستعمرة قرطاجة على بعد عشرة (10) أميال من قرطاجة، اسست كمستعمرة من طرف الإمبراطور أغسطس حسب ما ورد عند المؤرخ بليني، كما ورد اسمها في النقائش اللاتينية وتحمل لقب اليوليوية⁴.

- مستعمرة كوريبس (Colonia Julia Curubis): وهي مدينة قورية (Kourba) بتونس حالياً، تقع على الساحل الشرقي لرأس الطيب، وجدت منذ حوالي 45 ق.م استناداً على نقيشة

¹ أصطيفان أكصيل، ج8، المرجع السابق، ص154.

² أصطيفان أكصيل، ج8، المرجع السابق، ص152.

³ عبد العزيز عبد الحليم حجازي، المرجع السابق، ص132.

أحمد مشارك، المرجع السابق، ص153.

⁴ Pline l'Ancien, op.cit, liv:V, 24.

تحمّل اسم "Duumvir" من العتقاء، لذا فهي تعود لعهد يوليوس قيصر، غير أن تاريخها يحتمل أن يكون متقدماً عن هذا التاريخ، حيث جاء في نقيشة أخرى مؤرخة بعام 49 ق.م أن القائد الروماني آتيوس فاروس (Attius Varus) حليف بومبي تلقى الدعم من يوبا الأول في حرب إفريقية بعد أن وعده بتنازل الرومان عن الأراضي التي يحتلوها إذا وقف إلى جانب مجلس الشيوخ المناهض لقيصر¹.

- مستعمرة كليبيّا (Colonia Julia Clupea): تم تحديد موقعها بفضل الايبوغرافيا في منطقة قليبيّا بليبيا اليوم، كانت هذه المستعمرة ميداناً للحرب الإفريقية كغيرها من مؤانئ رأس الطيب، حيث أنّها كانت جزءاً من أراضي المستوطنة قرطاج، ثم جعلها قيصر مستعمرة رومانية، ويشكك البعض في ذلك بحيث يميل بعض الباحثين إلى القول أنّها تنسب لأغسطس بدليل القطع النقديّة التي وُجدت بها والمؤرخة بفترة حكم الإمبراطور أغسطس وتييريوس.

- مستعمرة توبوربومايوس (Colonia Julia Tebourba Maius): وهي مدينة توبوربا على الجهة اليمنى لوادي مجردة (Bagradas)، أو هي هنشير القصبّة، وتبعد عن قرطاج بحوالي 50 كلم، وقد ذكرها بليني ضمن المستعمرات التي تحمل لقب يوليو².

- مستعمرة هيبوديارتوس (Colonia Julia Hippon Diarrhytus): وهي مدينة بنزرت حالياً، تعتبر من أقدم المدن الإفريقية، ورد اسمها عند المؤرخ الإغريقي ديودور الصقلي باسم "هيبو أكرا" في معرض حديثه عن الحروب القرطاجية الإغريقية، تُخلد اسمها في النقائش اللاتينية باسم (Colonia Hippon Diarrhytus)، وينتمي سكانها إلى قبيلة كيرينا، ويعتقد أنّها تأسست في عهد يوليوس قيصر أو تييريوس، إذ عثر على قطعة نقدية بها صورة للإمبراطور تييريوس ومكتوب عليها (Hippone Libera).

- مستعمرة كارباطانا (Colonia Julia Carpitana): تقع بناحية الجنوب الغربي لرأس الطيب مقابلة لقرطاج، وهي هنشير المراسية اليوم، كانت من بين أوائل المستعمرات الرومانية، استوطنتها عناصر من نفس أصل تلك التي استوطنت بنزرت، وحسب النقوش الأثرية فإنّها تأسست في نفس الوقت، ولأن اسمها لم يرد ضمن قائمة المستعمرات الأوغسطية لبليني، والتي لم تذكر فيها

¹ عبد الحفيظ رباح، المرجع السابق، ص 985.

² Pline l'Ancien, op.cit, liv:V, 29.

أيضاً مستعمرة كوريس وكليبيّا، فمن الراجح أن تأسيسها يعود لفترة الإمبراطور يوليوس قيصر أو إلى عهد تيبيريوس و كاليغولا، وإذا علمنا أن هذان الأخيران لم يهتما كثيراً بتأسيس المستعمرات، فإن الاحتمال الأكثر صدقية هو أنها مستعمرة قيصرية.¹

-مستعمرة فينيريا(Colonia Julia Veneria Cirta Nova): ورد اسمها عند بليني باسم Sicca، ويؤكد غزال أن تأسيسها يعود إلى الإمبراطور أغسطس، وربما تأسست قبل سنة 27 ق.م، وهي مدينة الكاف حالياً .

-مستعمرة شمتو (Colonia Julia Simithu): بالقرب من ولاية جندوبة بتونس.²

-مستعمرة أودنة (Colonia Julia Uthina): في الجنوب الغربي لقرطاجة غير بعيد عن وادي مليان(Miliane) كما يذكر بليني، تتميز بخصوبة أراضيها، يُرجح أن تأسيس المدينة يعود لعهد الإمبراطور أغسطس، إذ عُثر في إحدى التنقيبات الأثرية على نقش يحمل رمز الفيلق الأوغسطي الثالث.³

- مستعمرة تبرقة(Colonia Julia Thabracemorum): تقع على الساحل الشمالي الغربي لتونس، وهي مدينة طبرقة اليوم، يرجع تاريخ هذه المستعمرة إلى الفترة القرطاجية، حيث كانت أهم ميناء قرطاجي.

-مستعمرة نيابوليس(Colonia Julia Neapolis): تقع على بعد 60 كلم جنوب غرب قرطاجة، كانت مركزاً اقتصادياً هاماً، ويفترض غزال وجود مدينتين بنفس المكان أحدهما اسم لمدينة حرة اسسها أغسطس، والثانية مستعمرة ترجع لفترة يوليوس قيصر.⁴

بعد اغتيال قيصر في سنة 44 ق.م استطاع أرابيون الذي قاوم الرومان لفترة من الزمن أن يسترجع بعض ممتلكات أجداده في نوميديا، إلا أنها عادت كما كانت بعد وفاته، إذ أحكم الرومان

¹ عبد الحفيظ رباح، المرجع السابق، ص 984.

² محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني.....، المرجع السابق، ص 131.

³ Pline l'Ancien, op.cit, liv:V, 3,5 .

⁴ Stephane Gsell, T: 8,op.cit, p180.

سيطرته على كامل إفريقيا بما في ذلك إقليم السيرتين ، واسترجع ستيوس إمارته وكل امتيازاته التي حرم منها طيلة فترة وجود الأمير أرابيون ، كما استرجع بوكوس الثاني القسم النوميدي الذي كان قد استرجعه أرابيون، وبعد طرد بوغود امتدت أراضي بوكوس الثاني حتى وادي أمباساجا (Ampasaga) شرقاً، ولا يستبعد أن يكون لبوكوس الثاني يد في اغتيال أرابيون وطرد بوغود من مملكته رغم أن المصادر التاريخية لا تشير إلى ذلك¹.

لكن الوضع لم يدم طويلاً لأنه وبوفاة بوكوس الثاني الذي لم يترك وريثاً سلمت مملكته ليوبا الثاني ابن يوبا الأول، فصارت المقاطعتين في ولاية واحدة² أطلق عليها اسم إفريقيا البروقنصلية (Africa Proconsularia) بعد أن منح لأوكتافيوس لقب أغسطس سنة 27 ق.م³. (أنظر الجدول(03)، الصفحة249، والخريطة (10)، ص250).

استؤنف الاستيطان بعد توقف نسبي عقب اغتيال قيصر، إذ عرفت مرحلة الحرب الأهلية بين خلفاء قيصر عودة بعض المعمرين إلى روما وانخراط بعضهم الآخر في الجندية بسبب الحروب، وخلال تلك المرحلة تظن أغسطس لأهمية المستعمرات الرومانية بإفريقيا فأرسل ستاتيليوس طوروس (Statilius Taurus) للمحافظة عليها خاصة مستعمرة قرطاجنة .

بعد استتباب الأمن بروما وفوز أوكتافيوس بمنصب الامبراطور أرسل مالا يقل عن ثلاثة آلاف جندي دفعة واحدة لشمال إفريقيا، فظهرت عدة مستوطنات جديدة امتدت على طول الشريط الساحلي من المحيط الأطلسي إلى خليج السرت، ففي مجال البروقنصلية أنشأ ثلاث مستوطنات وهي: مكسولا براتس (Maxula Per rates) وهي رادس، وأوتينا (Uthina) وهي أوذنة، وتوبربو مينوس (Thuburbo Minus) وهي طبرقة اليوم بتونس.

¹ محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص، ص70، 71.

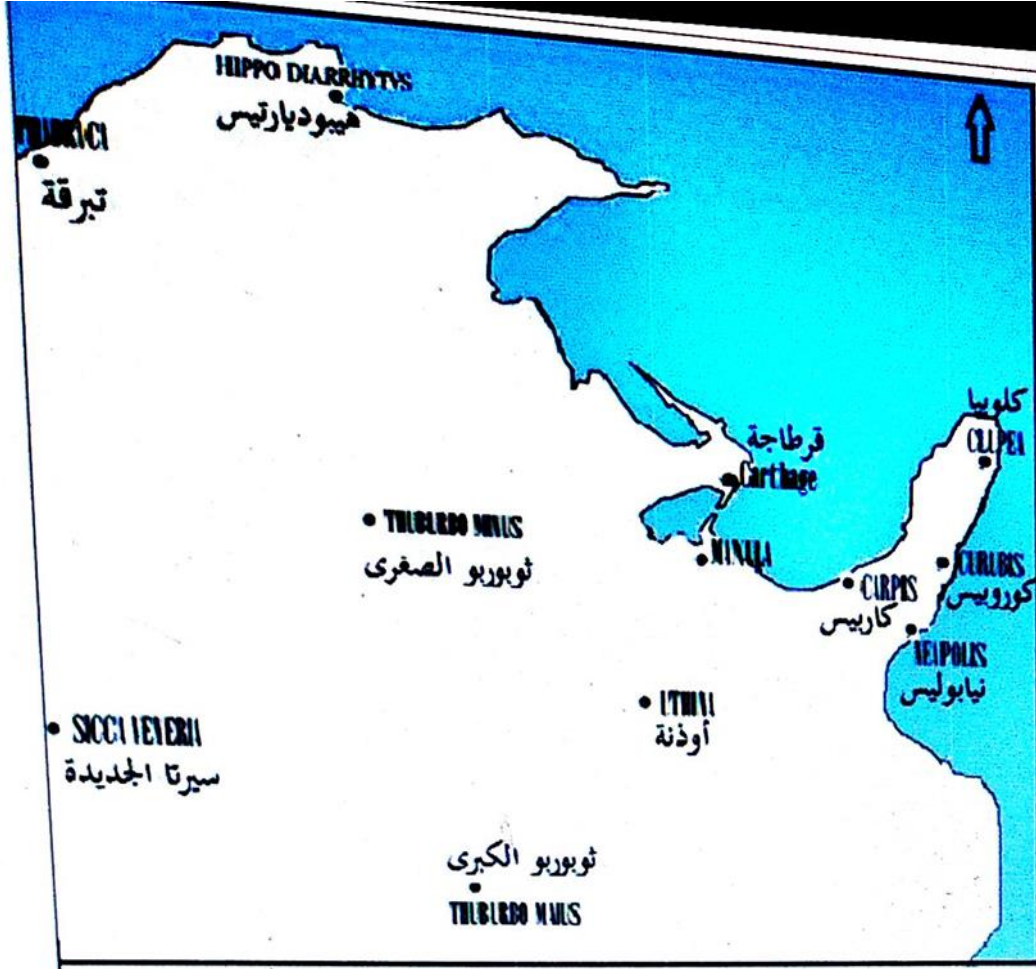
² تجدر الإشارة هنا أن الأباطرة الرومان كانوا يتحكمون في المدن التي يسيطرون عليها على أنها ملك خاص، فيمكن أن تقدم كهدية كما فعل أنطونيوس الذي منح برقة لابنته كليوباترا سلمي ابنه كليوباترا ملكة مصر على أنها ملك خاص، وفي بعض الأحيان كانت توكل لمجلس الشيوخ كما هو الحال بالنسبة للامبراطور أغسطس الذي ضم برقة إلى جزيرة كريت، وعهد بحكمها لمجلس الشيوخ. لمزيد من التفاصيل أنظر: مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق، ص، ص122، 123.

³Stéphane Gsell, T:8, op.cit, p196.

المستعمرات التي ذكرها بليني	المستعمرات التي دلت عليها النقائش الأثرية	المؤسس المحتمل
قرطاجة	مستعمرة قرطاجة	الامبراطور أغسطس
ماكسولا	مستعمرة ماكسولا	الامبراطور أغسطس
أوذنة	مستعمرة كاريس	يوليوس قيصر
توبوربي	مستعمرة توبوربو الصغرى	الامبراطور أغسطس
سيكا	مستعمرة سيرتا الجديدة	الامبراطور أغسطس
	مستعمرة نيابوليس	أغسطس / يوليوس قيصر
	مستعمرة تبرقة	يوليوس قيصر
	مستعمرة هيبو ديارتيس	يوليوس قيصر / تيربوس
	مستعمرة كوروييس (قورية)	قيصر / أغسطس / تيربوس
	مستعمرة توبوربو الكبرى	الامبراطور أغسطس
	مستعمرة أسوريتانا	قيصر / تيربوس
	مستعمرة كلييا	قيصر / أغسطس

الجدول (03)

أهم المستعمرات اليوليو كلاودية التي تأسست في إفريقيا البروقنصلية حسب نصوص بليني والأثار المادية



الخريطة (10)

خريطة توزع المستعمرات اليوليو كلاودية في إفريقيا البروقنصلية

نقلاً عن:

عبد الحفيظ رباح، المرجع السابق، ص 991.

وأقام غرب البلاد ثلاثة مستوطنات أخرى وهي: شمتو (Simithus) وسيقا (Sicca)،
وفينيريا (Veneria) الكاف، ومستعمرة أسوراس (Assuras) وهي هنشير زنفور، بالإضافة إلى
مستوطنات أخرى بنوميديا مثل:

كارتيناى (Cartennas): وهي تنس

غونوجي (Gunugi): وهي قوراية قبة سيدي ابراهيم

روزوكورو (Rusuccuru): وهي دلس

روزوروس (Rusazus): وهي أزفون بتيزي وزو¹

صلداى (Saldae): وهي بجاية

ايجيلجلي (Igilgil): وهي مدينة جيحل

توسكا (Tucca): وتقع عند مصب الوادي الكبير

زكابار (Zucchabar): وهي مدينة مليانة²

توبوسوبت (Tubusuptu): وهي تكالات بالقرب من الصومام³.

ومن مملكة بوغود نجد زوليل (أوزيلة) قرب الأعراش، وطنجة، وبابا كمبستريس (Babba
Campestris) قرب ليكسوس، وسيدي على بوجنون على وادي سبو⁴. (أنظر الخريطة (11)،

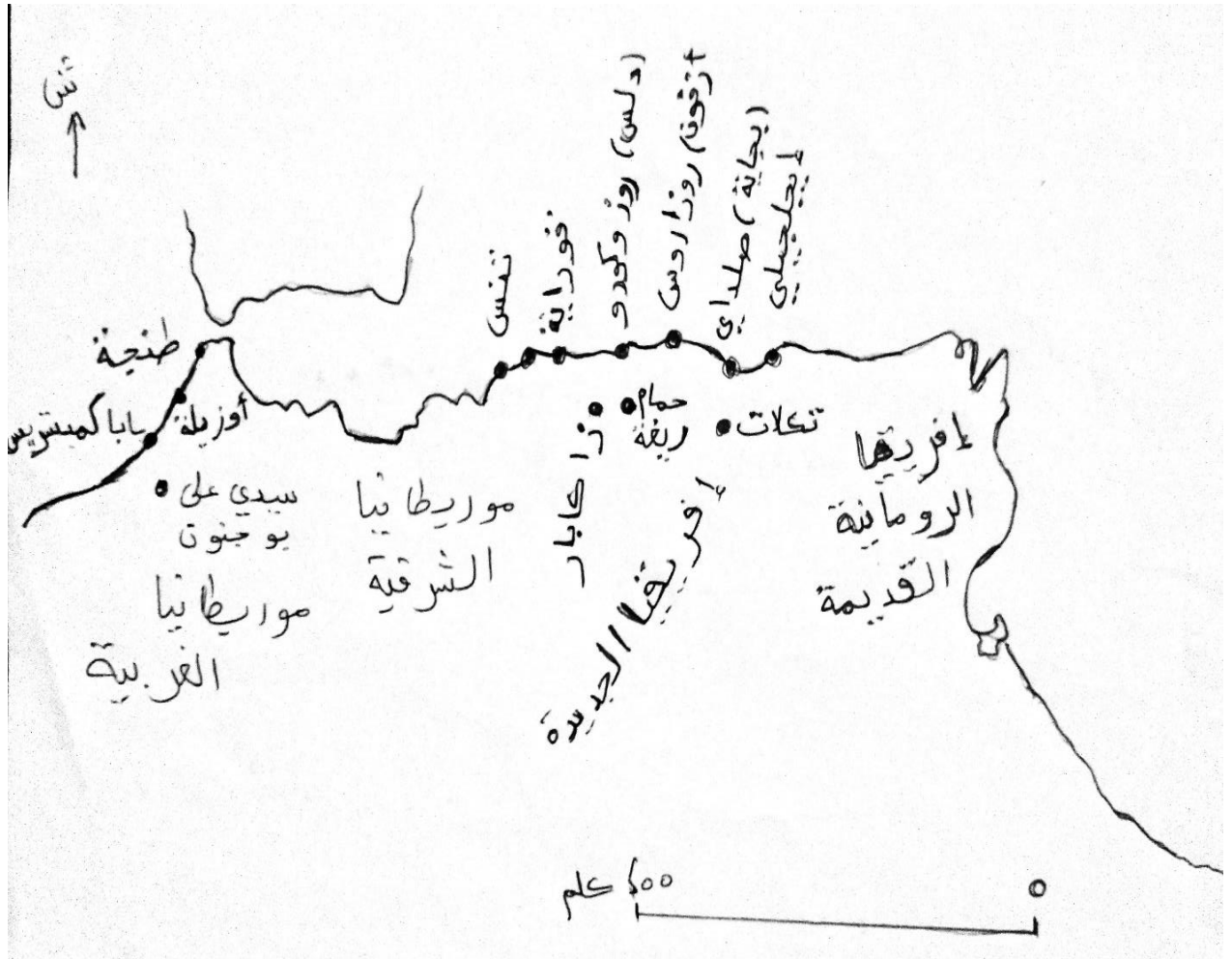
الصفحة 252)

¹ رايح إسعون، تاريخ الإقليم الشرقي لموريطانيا القيصرية من خلال بعض الشواهد الأثرية، مجلة تنوير، الع:6، جامعة الجلفة، 2018، ص314.

² بليبي الأكبر، الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي، تر: محمد المبروك الدويب، ط2، منشورات جامعة قارونس، بتغازي، ليبيا، 2003، ص21

³ محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني.....، المرجع السابق، ص133.

⁴ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص172



الخريطة (11)

خريطة توزع المستعمرات التي أسسها الامبراطور أغسطس أوكتافيوس ببلاد المغرب القديم

اعتماداً على ما وردني:

نادية يفصح، سياسة الاستيطان الروماني ببلاد المغرب القديم (أواخر العهد الجمهوري - أوائل العهد الامبراطوري)، مجلة التاريخ المتوسطي، المجلد: 3، الع: 1، جامعة بجاية، الجزائر، جوان 2021، ص، ص، 96، 97

وتجدر الإشارة أن تلك المستوطنات كان يتم بناؤها لقدماء المحاربين، إذ يتم اختيارها بعناية كأن تكون مناطق زراعية وسهول، والأماكن التي تشرف على الممرات والطرق الهامة، كما أمر الأباطرة بتشديد مقرات لإقامة جنود الفرقة الأوغسطية الثالثة بجيدرة، وربطها بشبكة من الطرق مع المدن الأخرى لأغراض اقتصادية وعسكرية.

وهكذا مثل عهد يوليوس قيصر وخليفته أغسطس العصر الذهبي للاستيطان الروماني بشمال إفريقيا، فضلاً عن تخطيط التنظيم الإداري للولاية والذي مكن الحضور الروماني في البلاد وزاد من توطده وتطوره السريع .

ثالثاً: منح حقوق المواطنة الرومانية

تعني حقوق المواطنة الرومانية مجموعة من الحقوق التي يستفيد منها من أعتبر ضمن الشعب الروماني بشكل كلي أو جزئي، ويعتبر الفرد فيها مواطناً رومانياً كاملاً من يستفيد من الحقوق المدنية والسياسية، ونعني بالحقوق المدنية حق الزواج الشرعي وحق ممارسة التجارة، ودفع الضرائب، أما الحقوق السياسية فتشمل حق الانتخاب والترشح لمجلس قضاء المدينة، وأداء الخدمة الوطنية، وحق الاحتجاج، وهذا الأخير كان مهماً جداً في المقاطعات الرومانية ومنها مقاطعة إفريقيا¹.

كان المجتمع الإفريقي ابان فترة الاحتلال الروماني عبارة عن فسيفساء متعددة الألوان مثل فيها العنصر الروماني العنصر الأوضح ، ثم يليه المتمتعون بالحقوق اللاتينية، ثم المدرجون في طائفة المتمتعين بالقانون الايطالي، وتليهم فئة الأجنبي، وهي في معظمها من النوميديين الذين كانوا يدعون بالغرباء، أي المقيمين الذين لا يشملهم القانون الروماني تمييزاً لهم عن المواطنين². وحتى القرن الرابع قبل الميلاد كانت حقوق المواطنة محظورة على سكان مدينة روما وسهل اللاتيوم المنتمين لطبقتي البطارقة ثم العامة، دون بقية سكان إيطاليا الذين لم ينالوا هذا الحق بشكل فردي إلا فيما بين عامي 49 و89 ق.م ، لكن مع توسع الرومان خارج إيطاليا شرعت روما في استغلال هذا الحق والاستفادة منه باستعماله كورقة لكسب تأييد الشعوب التي أخضعها³.

¹ شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص122.

² محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما الامبراطورية، المرجع السابق، ص220.

³ شافية شارن وآخرون ، المرجع السابق، ص122.

لقد كان الحصول على حق المواطنة الرومانية مقيد بعدة شروط أهمها الاعتبارات السياسية، إذ لا يمكن لأي شخص أن تمنح له حقوق المواطنة الرومانية ما لم تؤمله خدماته وإخلاصه وتفانيه في العمل مع روما لذلك، مما يعني أن المواطنة كانت عبارة عن تصفية دقيقة للعناصر المترشحة لها بالأساس، بحيث لا يمكن أن يحصل عليها من أعيان القوم سوى من حقق كسباً سياسياً لروما يفوق غيره من المترشحين، وعادة ما كان يحصل عليها أعيان القبائل التي تشكل خطراً على روما، فمنح المواطنة هنا فيه نفع سياسي واضح لروما يتمثل في كسب ولاء تلك القبيلة، كما استند منح المواطنة الرومانية على مبدأ أساسي وهو مبدأ الثروة¹.

وعليه فروما كانت تنظر للأهالي (الأفارقة) على أنهم فئتين فئة مسالمة وفئة محاربة، فأفراد الفئة الأولى قابلون للارتقاء في سلم الحقوق الرومانية عن طريق الانتفاع الشخصي أو الجماعي، بينما الفئة الثانية فغير مؤهلة لذلك بسبب موقفها المعادي للاحتلال الروماني، ونزعتها التحريرية، وضآلة حظها في التمدن والثراء، ونتيجة لهذا المفهوم السياسي والحضاري عملت روما على توسيع إطار جنسيتها أمام الشعوب الخاضعة .

وقد فتح بعض الأباطرة الرومان المجال أمام رومنة الأهالي ومدنهم، لكن عملية الارتقاء إلى وضعية المدينة الرومانية كانت تتم غالباً على مراحل بتطبيق ما يسمى بالحق اللاتيني الذي تمنح بموجبه الرومنة القانونية للأعيان البلديين، وخاصة المعارضة منها لسياسة روما، وبالتالي فإن المبدأ الذي كانت تستند عليه هو مبدأ الثورة².

وعلى هذا الأساس عمل الامبراطور أغسطس على انتهاج سياسة الملاينة والتقرب من النوميديين، والتي حتماً جاءت كنتيجة أساسية لتخفيف الاحتقان والضغط عليهم كي لا يفكروا مرة أخرى في تنظيم أنفسهم، وقيادة الثورة ضد روما بالعمل على استقطابهم ودمجهم في الحضارة الرومانية طواعية، ومن مظاهر هذه السياسة استدراج أغسطس أوكتافوس لسكان مدينة طنجة، وتأليبهم ضد ملكهم بوغود بمساعدة حليف الرومان بوكوس الثاني ومكافأتهم على ذلك بمنحهم الحقوق الرومانية، ونفس الأسلوب انتهجته مع مدينة ليكسوس (Lixus)، وسالا (Sala)، ولم تشذ مدينة

¹ محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما الامبراطورية، المرجع السابق، ص 220.

² المرجع نفسه، ص 220.

وليلي (Volubilis) العاصمة الثانية لمملكة موريطانيا على القاعدة رغم ما تتميز به من عمق جغرافي ومحلي، إذ سرعان ما أصبحت مستعمرة فلاحية في عهد الإمبراطور كاليغولا¹.

والحقيقة أن أغسطس اوكتافيوس كان ينظر للنوميديين والموريين على أنهم خارج الترتيب الاجتماعي المعترف به من طرفه لأنهم كانوا في عداد المستسلمين، ولأن قوانين درجة المواطنة الرومانية لا تعنيهم لأنها كانت مقتصرة على طبقة جديدة في المجتمع الروماني تتمتع بامتيازات معينة وتمتلك أموال طائلة صُعب على أبناء المدن والحواضر تأمينها، ولم يتمكن منها سوى أفراد الجيش من الفرقة الأوغسطية الثالثة².

ضف إلى ذلك أن الانتفاع بحق المواطنة الرومانية للأفراد كان شخصياً وليس وراثياً، فالأبناء الذين يولدون من أب متمتع بالجنسية الرومانية، وأم أجنبية كانوا يُعدون أجنبان في القانون الروماني، كما أن المتمتع بحقوق المواطنة الرومانية من الأهالي لم يكن معفي من أداء الضريبة المستحقة عليه للشعب الروماني، وكذا بالنسبة للتلقب بالأسماء الرومانية التي لم تكن تنزع عن السكان المحليين (المغاربة) الانتساب لقبيلتهم الأصلية، وقد ظل المنتفعين بهذا الحق حتى القرن 2م ملزمين بارتداء التوجة الرومانية عند الخروج للحياة العامة³.

أخيراً جاء مرسوم كركلا عام 212م الذي نص على منح حق المواطنة الرومانية لكل سكان المقاطعة الأحرار ليثبت أن هدف روما من وراء تلك القوانين هو أن يشمل القانون الضريبي كل النوميديين والمور والجيوتول ولذلك رفضه الأفارقة وحتى الراغبين منهم بالترومن سابقاً لإدراكهم لجوهر السياسة الرومانية، والنظرة الدونية التي كان ينظر بها الرومان لأهالي على أنهم من الدرجة الثانية، حتى وإن كانوا مواطنين حسب القانون⁴. غير أن ذلك لا ينفي حقيقة تمكن بعض العناصر المحلية من تقلد بعض الوظائف السامية، حيث تقلد أحد سكان مدينة الكاف مهام وزارة المالية وتوج أخوين من عائلة آتي (Attie) بتعيينهما واليين مكلفين بإمارة جيش روما برئاسة مجلس التعقيب⁵.

¹ محمد البشير شنيبي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق، ص 134.

² مها عيساوي، المجتمع اللوبي، المرجع السابق، ص 368.

³ محمد البشير شنيبي، نوميديا وروما الامبراطورية، المرجع السابق، ص 222.

⁴ محمد بوكبوط، المرجع السابق، ص 66.

⁵ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 204.

المبحث الثالث: أوضاع إفريقيا بعد مقاومة تاكفاريناس وإيدمون:

ذُكرت مقاومة تاكفاريناس الرومان بمقاومة الثائر يوغرطة، فقد استمرت طيلة سبع سنوات تذوقت فيها روما طعم الهزيمة الاستراتيجية والعسكرية في محطات عدة، وكانت نهايتها وخيمة بمقدار شدتها على السكان المحليين.

أولاً: نتائج مقاومة تاكفاريناس

1- النتائج الاستراتيجية لمقاومة تاكفاريناس

استطاع تاكفاريناس إلحاق ضربات موجعة للجيش الروماني بفضل استراتيجيته العسكرية التي جمعت بين الأسلوبين النظامي وحرب العصابات، فكان لثورته تأثيراً بالغاً على الإمبراطورية الرومانية حتى أن تاكيتوس ذكر " إنه لم يسبق أبداً أن كانت المواجهة مع تيبيريوس، ومع الشعب الروماني مؤثرة إلى هذا الحد مثلما كانت عليه مع هذا الهارب من الجندية قاطع الطريق، الذي يدعي أنه قوة معادية"¹. إن تصريحاً كهذا من عدو روماني لدليل على أن تاكفاريناس كان قد حقق أهدافه الاستراتيجية طيلة فترة مقاومته، فظل يُثير الرعب والقلق في قلوب الرومان، ولم يكن له سوى أن يحقق الهدف الأسمى وهو النصر في المعركة².

كما أن طول مدة استمرار مقاومة تاكفاريناس (17-24 ق.م) بُرهن آخر على فشل المخططات العسكرية الرومانية في القضاء عليها، وفي ذلك تذكّر الأستاذة ماجدة بنحيون " إن طول المدة التي استغرقتها ثورة تاكفاريناس تثبت بعبارة أدق عدم فعالية المخطط السياسي الذي وضعه أغسطس، الذي خلف يوليوس قيصر على روما لنشر سلمه في الضفة الجنوبية من حوض البحر الأبيض المتوسط، والتسلط على أقطارها بأنجح الوسائل وأقلها تكلفة"³.

¹ Tacit, op.cit, 3,7,3.

² محمد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب...، المرجع سابق، ص 60

Reni Cagnat, op.cit, 24

³ ماجدة بنحيون، المرجع السابق، ص 290.

فرغم التباهي بالانتصارات التي حققها يوبا الثاني قبل وفاته ضد تاكفاريناس، والتي خلّدها على بعض نقوده¹ منها تلك التي تعود لعام 18م و19م، إلا أن الحقيقة أنّها كانت انتصارات جُزئية ساهم فيها جيشه المتحالف مع الرومان، وهي لا تعكس الواقع العسكري ميدانياً، فالمقاومة لم تُحمد بعد ذلك، بل زادت ضراوتها، والراجح أن تلك الانتصارات كانت ضد حليف تاكفاريناس مازيبا الذي كُلف بحماية الجناح الغربي من المملكة .

وقد سار بطليموس ابن يوبا الثاني على نهج والده بالتحالف عسكرياً مع الرومان ضد تاكفاريناس، وتمت مكافأته على خدماته تلك، والحقيقة أن تكريم بطليموس أو بعض الأقاليد إبان ممارستهم للحكم كان عادة دأب عليها مجلس الشيوخ الروماني، رغبة منه في الحصول على خدمات الخيالة النوميدي، كما أن ذلك التكريم جاء ليؤكد استمرارية التحالف الذي يربط مملكة موريطانيا بروما، وقد يفسر لنا ذلك تشابه النياشين وأوسمة الانتصار التي منحت لبطليموس مع تلك التي منحت للقادة العسكريين الكبار والقناصل الرومان².

ونفس التكريم حظي به القادة العسكريون الرومان الذين حاربوا تاكفاريناس، إذ اقيمت لهم التماثيل في قلب العاصمة روما والثورة مستمرة، وقد علّق تاكيتوس على ذلك بقوله " يوجد في روما ثلاثة تماثيل متوجة وتاكفاريناس لا زال حراً طليقاً في إفريقيا".

عكزت ثورة تاكفاريناس الوجود الروماني بكامل إفريقيا، وقد وقف الرومان عاجزين أمام انتشارها الواسع، إذ شملت الأوراس ومعظم الجنوب النوميدي والموريتاني، والمدن الثلاث (لبدة الكبرى، أويّا، صبراتة) والدعم القومي من قبائل الموزولامي³ و الجرامنت والسينيثيين (Cinithienes)، كما أرغمت روما خلال الثماني سنوات، التي استمرت خلالها تلك الثورة، على تغيير ثلاثة حكام لولاية إفريقيا، وفي عام 24م استطاع آخرهم وهو المدعو "دولابيل" من أسر تاكفاريناس⁴.

¹ حملت تلك النقود صورة ربة النصر حاملة سعة وتاج. ماجدة بنحيون، المرجع نفسه، ص291.

² إبراهيم فدادي ، مقاومة تاكفاريناس الأمازيغي من خلال كتاب تاكيتوس الروماني، المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، المرجع السابق، ص48.

³ هدى الطاهر الهادي ، المرجع السابق، ص106.

⁴ محمد علي عيسى، المرجع السابق، ص1.

كما أجبرت ثورة تاكفاريناس الرومان على إشراك الفرق العسكرية المختلفة، واستدعاء أخرى منها: الفرقة الإسبانية التاسعة (LIX Hispana) من بانونيا (غرب المجر)¹، التي شاركت إلى جانب الجيش الروماني بالقرب من لبدّة الكبرى لغرض قطع الطريق أمام القبائل الليبية²، والفرقة المقدونية، والفرقة الجرمانية العاشرة خلال حكم الإمبراطور كلاوديوس لدعم الجيش الروماني في المنطقة، مما يعني سحب روما لقوتها من مناطق أخرى قصد التفرغ لثورة تاكفاريناس، وقد عسكرت بعض القوات الرومانية بالقرب من لبتييس ماجنا بغرض قطع المواصلات بين منطقة الموزولامي والجرامنت³.

أضرت مقاومة تاكفاريناس بالمصالح الاقتصادية لروما، فجميع المعارك كانت تقع في أواخر الربيع وبداية فصل الصيف، ومن بين أسباب ذلك إغارة تاكفاريناس على المدن وقت الانتهاء من حصاد الحبوب لروما، كما كان تاكفاريناس يشتري تلك الحبوب من التجار الرومانيين للحيلولة دون وصولها للعاصمة روما، وقد اتهم الإمبراطور تيبيريوس تاجرين في الحبوب هما كراكوس وكاسيديوس سكيردوس (Crachus et Carsudius Sacerdos) وحاكهما أمام مجلس الشيوخ لبيعهما الحبوب لتاكفاريناس⁴.

2- التنظيم الإداري والسياسي في إفريقيا بعد ثورة تاكفاريناس

فتح موت تاكفاريناس الباب الواسع أمام الرومان للتوغل نحو السفوح الأوراسية فأسسوا هناك معسكراً لهم قصد مراقبة تحركات القبائل الثائرة، كما كان من نتائجها تطبيق الرومان لشكلين من النظم الإدارية بنوميديا الأول، حكم إداري مدني في المناطق الشمالية، والثاني: حكم إداري عسكري بالجنوب طيلة العهد الإمبراطوري الأول⁵، وتعيين وإل على كل من مقاطعة موريطانيا الطنجية والقيصرية لإحكام السيطرة على الممالك المحلية، وهو ما نتج عنه زحزحة القبائل نحو الجنوب

¹ ماجدة بنحيون، المرجع السابق، ص 290.

² هدى الطاهر الهادي، المرجع السابق، ص 106.

³ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 181.

⁴ أبراهيم فداي، المرجع السابق، ص 59.

⁵ محمد الصغير غانم وآخرون، المرجع السابق، ص 379.

والصحراء ، لكن في نفس الوقت ظلت تقاوم وتغير على المناطق المحتلة من حينٍ لآخر حتى عصر نبيرون¹.

كما شهد عصر كاليغولا إجراءات سياسية أخرى، ومنها انتزاع السلطة العسكرية من بروقنصل قرطاج، ومنحها لليغاتوس بنوميديا²، وتوجيه الأنظار نحو مملكة موريطانيا بالسيطرة عليها عسكرياً سنة 40م بعد إعدام بطليموس.

أجبرت مقاومة تاكفاريناس الرومان على إعادة رسم سياساتهم الاحتلالية باتباع سياسة التفرقة، وهو الأسلوب القديم الذي طبقتة روما مع عدو الأمس القوي يوغرطة فالأكيد أن تاكفاريناس قد ذكرهم به، إذ تلقوا المساعدات من حليفهم يوبا الثاني ملك موريطانيا الذي توفي عام 23م دون تحقيق نصر على القبائل النوميديّة ، ولما خلفه ابنه بطليموس (23-40م) الذي كان ضعيف الشخصية³ عمت الثورة جميع أنحاء موريطانيا، فكان عليه أن يسلك مسك والده بإرسال الدعم والامدادات لإعانة روما والقضاء على تلك الثورات، فاستحق المكافأة بمنحه العصا العاجية والعباءة المزركشة، وحصوله على لقب الحليف⁴.

كما يذكر المؤرخون أن الجرمنتيون وهم إحدى القبائل الليبية كانوا يتسلمون الغنائم ويشاركون الرومان في غزواتهم، وكانوا يشكلون الفرق الخفيفة في الجيش الروماني، وبعد وفاة تاكفاريناس أرسلوا للإمبراطور الروماني مبعوثين لتقديم الاعتذار عن تقصيرهم في مساعدة جيش الإمبراطور ولتحالفهم مع تاكفاريناس، ويعتقد أن تحالفهم مع الرومان لم يدم طويلاً، إذ تذكر كتب التاريخ أن الرومان استولوا في إحدى معاركهم على جميع غنائم الجرمنتيون بعد دخولهم في الحرب الأهلية بأوية (طرابلس)⁵.

¹ موسى معمر زايد ، الاجراءات الاستعمارية الرومانية لإحكام السيطرة على بلاد المغرب القديم ، مجلة العلوم الانسانية والعلمية الاجتماعية ، الع:01، جامعة المرقب، ليبيا، 2016 ، ص186.

² هدى الطاهر الهادي ، المرجع السابق، ص107.

³ موسى معمر زايد، المرجع السابق، (ص-ص) (106-186).

⁴ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص60.

⁵ تشارلز دانيلز، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، تع: أحمد اليازوري، دار الفرجاني، طرابلس ، 1991 ، ص33 ، ص34.

أما بالنسبة للموريين الذين ساندوا تاكفاريناس في حربة ضد روما فقد أوعزها المؤرخون إلى هشاشة حكم يوبا الثاني وعدم قدرته على فرض سيطرته على كامل القبائل المورية في موريطانيا، وكذلك الأمر بالنسبة لابنه بطليموس، وقد عبر تاكيتوس عن ذلك قائلاً "تاكفاريناس لازال ينهب في إفريقيا مسانداً من طرف الموريين، الذين فضلوا مساندة الثورة على الولاء للعييد العتقاء الذين يشكلون حاشية الملك الصغير بطليموس" في إشارة منه إلى ضعف حكمه¹.

3- توسيع الاستيطان

اشتراط تاكفاريناس لايقاف الحرب ضد روما استصدار قوانين عدم نزع الملكية، وعدم الاستيلاء على الأراضي الزراعية للسكان المحليين بشمال إفريقيا وتوزيعها على الكولون الرومان، ولذلك فإن من أعظم النتائج التي حققتها مقاومة تاكفاريناس هو انتشار الثورة وامتدادها من موريطانيا في الغرب وحتى خليج سرت في الشرق، وهي مناطق توزع القبائل المتضررة من تلك القوانين، وقد استطاع تاكفاريناس استعادة بعض الأراضي الزراعيّة والتي كانت بأيدي الرومان.

وقد تحالف ملك الجرامنت مع تاكفاريناس، وتمكنوا من استعادة معظم الأراضي التي تحيط بالمدن الثلاث (Tripolis) (لبدة الكبرى-أويا(طرابلس)-صبراتة)²، وقد وصلوا حتى ضواحي مدينة لبدة، وقد ذكر المؤرخون الرومان أنه بعد القضاء على ثورة تاكفاريناس، لجأ ملك الجرامنت إلى طلب الصّفح من الرومان، وهو ما يشير إليه النّقش التذكري لقوس تيبيريوس³ بمدينة لبدة الذي يؤكد بأن عمليّات استعادة السّكان المحليين لأراضيهم الزراعيّة موضوع لا يحتمل أيّ مجال للشكّ فيه، ولكن ما هو مصير تلك الأراضي بعد موت تاكفاريناس وانتهاء الحرب؟

يسود الاعتقاد لدى الباحثين أنّ تلك الأراضي ظلّت في أيدي الجرامنت إلى أن أخذها الرومان من جديد في حدود عام 35م، ويُرجح آخرون أنه بعد انسحاب الجرامنت إلى مواطنهم الأصليّة

¹ محمد أكبر، المرجع السابق، ص60.

² محمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، المرجع السابق، ص15.

³ قوس الإمبراطور تيبيريوس: هو من أقدم أقواس مدينة لبدة، تم اكتشافه خلال حفريات عام 1920، بُني هذا المعلم بأحجار جيرية وينتمي إلى النوع البسيط ارتفاعه 7.17م، تم تشييده خلال عهد الإمبراطور تيبيريوس ابن أغسطس، وكان حاكم إفريقيا آنذاك هو ت. روبيليوس بلاندوس الذي شغل منصب القنصلية بين عامي 21-33م حسب ما ورد في النقش على القوس.

أنظر: محمد علي عيس، المرجع السابق، ص1

تركوا تلك الأراضي في أيدي سكّان المنطقة، وبما أنّ ذلك العفو قد تحقّق دون تسليم الأراضي للرومان، فإن تلك الأراضي لم يضع عليها الرومان أيديهم إلاّ بعد مرور أكثر من عشر سنوات من تاريخ انتهاء الحرب.

وما يثبته الباحثون هو أن الرومان بعد أن وضعت الحرب أوزارها اتجهوا إلى السيطرة من جديد على بعض الأراضي في شمال إفريقيا، ومنها تلك التي تمتدّ من خليج قابس في الغرب إلى خليج سرت في الشرق، وأراضي الثوار والتي الحقت بالإدارة الرومانية، وتشهد صور اكتشفت في جنوب تونس بالقرب من شط الفجاج بأنه قد وقع التوسع في عملية تقسيم الأراضي الجديدة، فأصبح لها خطوط رئيسية (Decumanus Maximus et Cardo Maximus) تتركب من خط يمتد من الشمال الغربي ابتداءً من مكان يقع بين سكيكدة وعنابة، لينتهي في الجنوب الشرقي قرب قابس، ومن خط ينزل طولاً من الوطن القبلي، ويكوّن مع الخط الأول زاوية قائمة عند حيدرة¹.

وقد بدأت المرحلة الأولى من هذه السيطرة في عهد فيبيوس ماركوس الذي حكم ولاية أفريقيا في الفترة ما بين (27 - 30م)²، واستمرت خلال فترة حكم روبيليوس بلاندوس الذي وجه أنظاره للمنطقة التي تقع إلى الجنوب من المدن الثلاث (لبدة وأويا وصبراتة)، وقد استطاع إعادة تلك الأراضي للسيطرة الرومانيّة أثناء حكمه لولاية إفريقيا خلال الفترة ما بين (35 - 36م)³.

ومّا لا شكّ فيه أن الأموال التي تمّ الحصول عليها من تلك المزارع بعد أن وضع الرومان أيديهم عليها من جديد هي التي استعملها سكّان مدينة لبدة لتبليط شوارع المدينة، وقد تمّ تنفيذ ذلك العمل عن طريق مناقصة عامّة، حسب ما رود في نقش قوس تيبيريوس⁴، وهي تلك المزارع التي تنتشر على نطاق واسع في منطقة الجبل الغربي وترهونة ومسلاّنة وبني وليد، وقد أكدت بعض الدراسات الحديثة أن تلك المزارع كانت تمتدّ نحو الشرق حتّى تصل إلى أودية سرت، وهي المدن التي كان يتركز اقتصادها على تصدير زيت الزّيتون إلى معظم مدن حوض البحر المتوسّط، ومع أن الزيت الذي كان يصدر من شمال إفريقيا كان كثيفاً غير ملائم للطهي كما وصفه الشاعر اللاتيني

¹ شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص181

² هدى الطاهر الهادي، المرجع السابق، ص107.

³ محمد علي عيسى، المرجع السابق، ص1

⁴ هدى الطاهر الهادي، المرجع السابق، ص106.

جوفينال، إلا أنه لقي رواجاً كبيراً في روما نظراً لاستعمالاته العديدة في الحّمّات العامّة لغرض التّدليك ولغرض الإضاءة¹.

اتجهت أنظار الرومان بعد موت تاكفاريناس نحو الصحراء لأهميتها الاستراتيجية في ردع أية مقاومة من شأنها أن تهدد الوجود الروماني في المنطقة باعتبار أن المناطق الواقعة جنوب الأوراس كانت ملاذاً آمناً لأتباع تاكفاريناس، ولتدعيم الاستيطان عمدت روما في عام 57م على تغيير مقر الفرقة الأوغسطية إلى تيفيست (تبسة) كمحاولة منها لفرض الرقابة على قبيلة الموزولامي التي ناصرته تاكفاريناس وكانت سنداً له²، ليتم تغييره فيما بعد إلى لامبيز (Lambése).

كما عمد الرومان إلى إعادة هيكلة النظم الدفاعية الرومانية (الليمس)، حيث تم التحلي عن المخيمات والمعسكرات المؤقتة، وبناء حصون ثابتة، وإعداد فرق مدربة على حرب الصحراء، فأصبحت خطوطاً دفاعية دائمة تمثلت في المباني والحصون العسكرية والمزارع التي يقيم فيها الجنود³، وأنشأت مستوطنات للجنود المسرحين بالقرب من المناطق التي تم توطين القبائل المحلية بها في كل من الأوراس، وديانا فيتيرانوروم (Dayana Veteranorum)، ولامسبا، ولامبيريدي، وزانة (Zana) في شمال غرب لمباز، والأکید أن الغرض من ذلك هو مراقبة القبائل المحلية، والعمل على إدماجها في إطار المدينة الرومانية للتخلص من خطرها من جهة⁴، وسهولة الإنذار وطلب النجدة والمساعدة من الأبراج الأخرى في حالة الخطر، وذلك بإشعال النيران التي استعملت كنوع من الإشارة حتى تصل الإمدادات من الجيش النظامي من جهة ثانية⁵.

عمل الرومان على مد الطرق بين المراكز والمستوطنات الجديدة التي أنشأت عن طريق التوسع على حساب السكان المحليين، واستمرت تلك العمليات إلى عصور لاحقة، فقد أمر

¹ محمد علي عيسى، المرجع السابق، ص1.

² موسى معمر زايد، المرجع السابق، ص186.

³S.Gsell, H.Graillot, Exploration Archéologique dans le Constantine-Ruines Romain Au Nord des Monts de Batna, Mélanges de l'école Française de Rome, N°:14, 1894, (p-p)(501-609).

⁴ موسى معمر زايد، السابق، ص185.

⁵ Boissier Gaston, op.cit, p111.

هادريانوس (117-138) جنود الفرقة الأوغسطية بإنشاء طريق تجاري من روسيكاد (Rusicada) إلى سيرتا، وطريق آخر من تابراكا وشمثو وهو طريق تجاري لنقل الرخام النوميدي الملون إلى روما وأسواق حوض البحر الأبيض المتوسط ، وهو المستعمل في زخرفة العديد من المعالم الأثرية بروما وأثينا وأزمير والمستوطنات الرومانية بشمال إفريقيا كتمقاد وجميلة بالجزائر وحيدرة بتونس¹.

وقد استمرت التحصينات حتى عهد الامبراطور سبتموس سيفيروس (193-211) لنفس الغرض وهو فصل الصحراء عن المناطق الزراعية ومواصلة نهب وسلب الأراضي الزراعية وكنزتها واستيطانها، وبالمقابل تشريد القبائل النوميديّة بعد مصادرة أراضيها، وزرع عناصر دخيلة عن المجتمع النوميدي بتوطين عناصر رومانية وعسكرية (جنود مساعدين من مختلف الجنسيات) دخيلة، زيادة على تفاقم ظاهرة البداوة بتحديد مناطق الرعي وتنقلات القبائل الرعوية على رفاف الصحراء².

ثانياً: نتائج مقاومة إيدمون:

هيأت السياسة الرومانية العسكرية والاستيطانية في إفريقيا الجو لاستمرار المقاومات النوميديّة بعد تاكفاريناس وعلى رأسها مقاومة إيدمون التي كان من نتائجها سيطرة الرومان التامة على المملكة الموريتانية ، واجبارهم كما ذكرنا سلفاً على تعزيز قواتهم بفيالق من الولايات المجاورة والقوات المساعدة حتى من الموريين المترومين من العائلات التي تمتعت بحقوق المواطنة الرومانية، رغم أن المؤرخ "رايمون توفنو" يصفها بالضعيفة، وهي عادةً جُبلت عليها الأقاليم الغربية بتقليل شأن السكان المحليين من النوميدي والمور، ولا بأس أن نورد هنا مقطع من تصريحه ذاك " سنة 40 بعد المسيح وضع الإمبراطور فجأة حداً لعهد الحماية معتبراً هو أو مجلسه أن عملية الإدماج كانت الآن متقدمة بما فيه الكفاية، لم يكن مخططاً، فعملية الإلحاق لم تلق إلا مقاومة ضعيفة من جهة شخص يدعى ايدمون....."³.

¹ أبو بكر سرحان، المرجع السابق، ص 14.

² محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما الامبراطورية، المرجع السابق، ص 126.

³ حميد عرايشي ، توظيف التاريخ القديم في الخطاب المعاصر وأثر التاريخ المعاصر في مقارنة التاريخ القديم، مجلة البحث التاريخي ، الع: 13، 14، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2017، 2016، ص 71.

والحقيقة أن ثورة إيدمون كانت أكثر من مجرد محاولة لجماعة صغيرة وغير منتظمة سعت إلى الحفاظ على موريطانيا في ظل نظام ملكي، إذ أشارت المصادر التاريخية أن الرومان أقاموا الاحتفالات في روما فرحاً بالقضاء على مقاومة إيدمون، والتي برز فيها قائد الحملة الرومانية الأخيرة على موريطانيا كراسوس فروجي وقد اعتلى صهوة جواده مرتدياً الحلة التي خلعت عنه من قبل الإمبراطور كلاوديوس¹.

ويرى الاستاذ العربي عقون أن الرومان فشلوا في القضاء عليها دون انتهاج سياسة الردع، ويفترض كانيا أن روما استنجدت في سبيل إخمادها بكتيبة مقدونيا الرابعة وكتيبة جيمينا العاشرة، إضافة للقوات المساعدة من الويليين تحت قيادة فاليرسوس سيفيوس (Valerius Severus)، ومن المؤشرات الأثرية على نتائج ذلك أن مدينتي ليكسوس وتامودة بالمغرب اليوم تعرضتا للحرق والدمار نهائياً خلال المقاومة³، ويبدو أنها أسفرت عن مقتل العديد من الويليين مما حدا بالسلطة الرومانية إلى السماح بالزواج بالنساء الأجنبية، والسماح باستغلال اليد العاملة في إعادة استغلال البوادي المجاورة لمدينة ويلي كما تشير نقيشة ماركوس فاليريوس سفيريوس، كما حصلت ويلي على وضع البلدية الرومانية وساكنتها على المواطنة الرومانية، وتم إعفاء المدينة من أداء الضريبة لخزينة الإمبراطورية لمدة عشر سنوات.

إضافة لتلك الامتيازات حصلت ويلي على إرث المواطنين الرومان المقيمين بها الذين ماتوا خلال الحرب دون أن يتركوا وريثاً، بعد أن كان المعمول به أن تعود أموال المواطنين الرومان الذين يقتلون في الحرب دون وريث إلى خزينة الدولة الرومانية، وهو ما يدل من جهة على قوة هجوم إيدمون الذي كان كبيراً، ولم يفرق بين صغير أو كبير، رجل أو امرأة، ويؤكد من جهة أخرى على ارتفاع عدد القتلى⁴.

¹ جمال مسرحي، التواصل الموزيلامي - الموري من خلال ثورتي تاكفاريناس وإيدمون ضد الاحتلال الروماني، ملتقى شهر التراث، من تاريخ وتراث منطقة الونشريس، منشورات دار الثقافة لولاية تيسمسيلت، أبحاث للطباعة والنشر والتوزيع، 2013، ص 33

² خديجة منصور، ثورة إيدمون واضطرابات القرن الأول بموريطانيا القيصرية، مجلة دراسات تاريخية، المجلد: 8، العدد: 12، جامعة الجزائر 2، 2000م، ص 135.

³ محمد العربي عقون، الونشريس الهوية والمقاومة....، المرجع السابق، ص 26.

⁴ عبد العزيز أكرير، تاريخ المغرب القديم من الملك يوبا الثاني إلى مجيئ الإسلام، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2016، ص 69.

والظاهر أن المقاومة لم تتوقف بعد إخماد ثورة ايدمون عام 40م أو مطلع 41م إلا لفترة قصيرة إذ سرعان ما تحركت القبائل المورية وحملت السلاح من جديد ضد الاحتلال الروماني سنة 42م، ومست نفس المجال الذي دارت فيه حرب ايدمون فشملت كامل أراضي المملكة، وخاصة القسم الغربي منها¹، إضافة إلى السهوب والصحراء بقيادة مساعدي ايدمون ومنهم صلابوس (Salabos) الذي يظهر أنه كان حليفاً لإيدمون، ما اضطر الامبراطور الروماني كلاوديوس إلى ارسال حملتين عسكريتين لمواجهة².

المبحث الرابع: نتائج التحالف الديني(الدوناتى) مع الدوارين وثورات العائلة النوبيلية

أشرنا في الفصل السابق أن مسيحي شمال إفريقيا أسسوا بعد اعتراف السلطة الرومانية بالمسيحية مذهباً أو حركة خاصة بهم سميت ب"الحركة الدوناتية"، والتي تعد شكلاً من أشكال المقاومة ضد روما لمخالفتها للكثلكة المؤيدة والداعمة للسلطة الرومانية، ما عرّضها للعنف والاضطهاد لفترات عديدة على يد الامبراطور قسطنطين وفالنتيان (Valentinien) وغراتيان (Gratiene) وهونوريوس (Honorius)³.

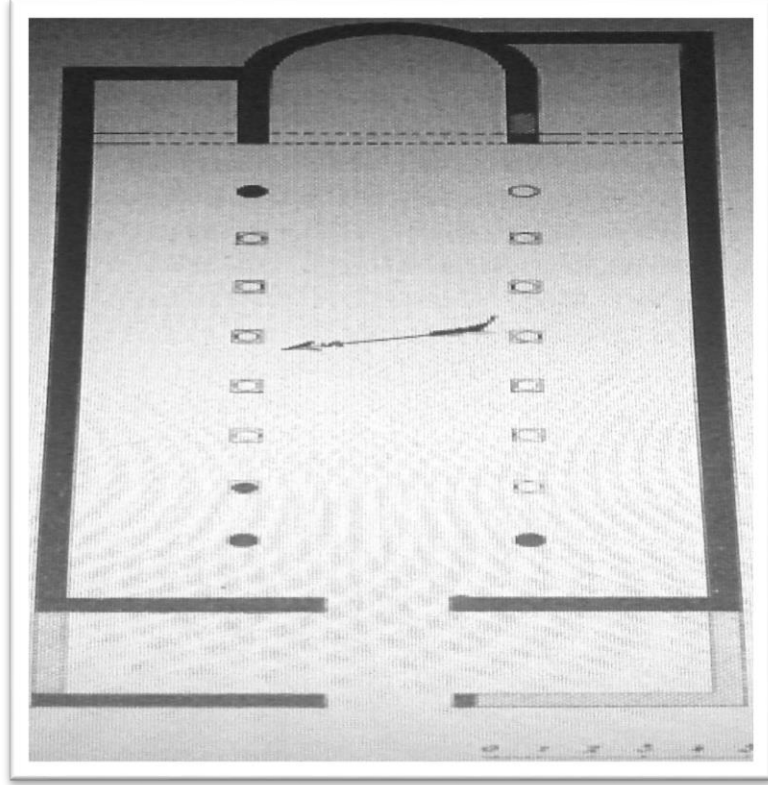
واصلت الدوناتية انتشارها في كامل مملكة نوميديا حتى عرفت في بعض الكتابات ب:(الإنشقاق النوميدي)، فقد شملت الكنائس الدوناتية الأرياف والمدن بقرطاجنة والمناطق الداخلية من البروقنصلية، وبيزاكينا وطرابلس ومقاطعات موريطانيا، وهو ما تدل عليه الآثار المادية، إذ عُثر على بقايا العديد من البازليكات في المناطق الحضرية والريفية النوميديّة وصل عددها في المدن إلى إحدى عشر(11) بازيليكاً كما هو الحال بمدينة تيمقاد، أما بالنسبة للريف فكانت توجد بكل منطقة بازيليكاً أو أكثر، وفي بعض الأحيان يصل عددها إلى ست بازيليكات في المنطقة الواحدة، وهذا ما يفسر أن النوميدي تمسحوا على المذهب الدوناتى خاصة بالقرى في القرن الرابع والخامس والسادس الميلادي⁴. (أنظر الشكل(38)، الصفحة266)

¹ عبد العزيز أكبر، المرجع السابق، ص102.

² المرجع نفسه، ص235

³ شافية شارن، آخرون، المرجع السابق، ص، ص245، 246.

⁴ ياسين رابح حاجي، الخريطة الأثرية لمقاطعة نوميديا في الفترة المسيحية، مؤتمر الأوراس عبر التاريخ، المتحف العمومي بخنشلة، 18، 19 فيفري2013م، ص25.



الشكل (38):

مخطط أبرشية حسناوة شمال برج بوعريريج

نقلًا عن:

Stephane Gsell, Les Monuments Antiques de l'Algerie, T:2, Ancienne Libraire Thorin et Fils, Albert Fontemoing editeur, 1901,p211.

أثبتت الدوناتية بامتدادها الزمني الذي غطى القرن الرابع وما بعده، والمكاني الذي شمل كل شمال إفريقيا قدرة قادة الحركة على مواجهة المحتلين الرومان من خلال صبرهم على الشدائد، ودورهم في تجنيد الجمهور من مختلف الطبقات عن طريق توعيتهم، وتزويدهم بمختلف المبادئ التي نادى بها المسيح كالصبر والتمسك بالدين، وضرورة مناهضة الوضع السياسي والاجتماعي السائد آنذاك، وبذلك شكلت الحركة الدوناتية قاعدة شعبية من الأفارقة لكونها عبّرت عن طموحاتهم الاجتماعية وتطلعاتهم السياسية من خلال مبادئها السمحة وبساطة شعائرها الدينية .

إلى جانب ذلك لعبت الدوناتية دوراً اجتماعياً بارزاً من خلال استغلالها لسلطتها الدبلوماسية مع السلطة الزمنية لتحقيق مطالب أتباعها ونشر العدل والمساواة بين الناس، واستطاعت بفضل تعاليمها أن تجسد الأخوة والتماسك، وروح التعاون بين أتباعها دون مراعاة للطبقة الاجتماعية، إذ كان المسيحيون يتبرعون للكنيسة حسب امكاناتهم المالية، وتخصص الكنيسة جزء منها لايواء العبيد والمتسولين والمحتاجين والأرامل والمشردين، وكانوا يُقيمون لذلك وليمة تتمثل في عشاء مشترك يسمى "وليمة المحبة"¹.

كما ساهمت الكنيسة الدوناتية في نشر الأخلاق الحسنة التي نادى بها المسيح، وبذلك ساهمت في تهذيب النفوس وضبط الأمور الأخلاقية التي جاءت بها تعاليم الديانة المسيحية، وفي الكثير من الأحيان كانت الكنيسة الدوناتية تتبنى قضايا الدفاع عن المظلومين وتتوسط لحلها حتى وإن تطلب الأمر نقل القضية إلى المحاكم المدنية، ولعل ما ساعدهم على ذلك هو معرفتهم للقوانين واتقان بعضهم لمهنة المحاماة وفن الخطابة.

وبذلك نجحت الدوناتية في نقل القاعدة الشعبية من أتباعها والموالين لها من عقيدة روحية إلى عقيدة نضالية ضد الهيمنة الأجنبية، ورفع الغبن عن بقية طبقات المجتمع النوميدي المتعطل بقيادة نضالية تتزعم حركة المواجهة ضد روما التي فرضت عليهم ضرائب باهضة وصادرت أراضيهم، خاصة وأن الحركة الدوناتية أثبتت القدرة على تضمين الجوانب الاجتماعية في المقاومة الدينية، فاستطاعت بذلك الاندماج مع الحركات الثورية المعاصرة لها²، والتي هي الأخرى وجدت أرضاً خصبة لها في

¹ عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية.....، المرجع السابق، ص108.

² محمد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية.....، المرجع السابق، ص، ص 293، 294.

الانشقاق الديني الدوناتي المناهض للسلطة الرومانية والكاره لها، فكان العامل المشترك لها هو السياسة الرومانية .

أولاً: نتائج التحالف الدوناتي مع الدوارين

وقفت الدوناتية إلى جانب ثورة الريفيين (الدوارين) بنوميديا وقدمت لهم كل الدعم، فكانوا يسمون أنفسهم ب:(جنود الله)، كما مارسوا الاستشهاد الطوعي لقوة إيمانهم وتأثرهم بتعاليمها، فكانوا لا يهابون الموت مطلقاً لأنهم يعتبرون أنفسهم شهداء، وقد ساهمت الدوناتية في إيماء روح التضامن بين السكان المحليين وتحميل الربويين والاستغلاليين كل المآسي والسعي إلى تحرير الأنفس وعدم الرضوخ للوضع القائم، وأصبح الأمل في التحرر ممكن لمختلف الطبقات والفئات وحتى العبيد، لنتنقل من حركة اجتماعية ودينية إلى حركة معارضة حقيقية وشاملة استغل فيها الدوناتيون كنائسهم كمستودعات لحفظ المؤمن¹ .

كما ساهمت ثورة الريفيين في تحريض سكان نوميديا ضد سياسة الرومنة والإمبراطورية التي بدأت تهتز في ظل غياب يكاد يكون شاملاً لمظاهر السلطة الرومانية، وعدم قدرتها على التحكم في الوضع القائم، فانشأ الهلع والخوف في صفوف الجيش الروماني والمستوطنون الرومان ببلاد المغرب القديم، فلا الجبابة صاروا قادرين على الطواف لجمع الضرائب المفروضة على السكان المحليين، ولا عمال المزارع كانوا آمنين على محاصيلهم، ولم يعد بمقدور القضاة فرض القوانين وتطبيقها. كما أصبح تأمين اليد العاملة الرخيصة والموسمية صعب جداً لانتشار موجة تحرر العبيد، وبذلك تضرر الاقتصاد الروماني خصوصاً المزارع التي لم تكن محصنة².

أمام الضغط الكبير الذي أحدثته الدوارين في إفريقيا اضطر العديد من الرومان المعمرين والملاكين الكبار تحت وطأة الخوف إلى التحول من الكاثوليكية إلى النحلة الدوناتية لضمان الأمن النفسي وحماية ثروتهم، ومنهم من اضطر لتسريح عبيده أمام المحاكم لإعطاء الشرعية القانونية

¹ المرجع نفسه، ص، ص311، 314.

Bruno Portier, Les Circoncellions un Mouvement Ascétique Itinérant dans l'Afrique du Nord des IVetV Siecle, Anti. Afri,T: 44, C .N. R. S , paris, 2010, p44.

² عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية، المرجع السابق، ص257.

لتصرفهم، وبذلك أثبتت ثورة الدوارين المتحالفين مع الدوناتيين فشل السياسة الرومانية في القضاء على فكر الثورات والمقاومات بشمال إفريقيا، فوقفت عاجزة أمام انتشار مدها بكامل بلاد ليبيا(نوميديا وموريطانيا) واستمرارها طيلة قرن كامل.

لقد مثلت ثورة الريفين استمرارية لثورات القرن الثالث الميلادي، فكانت حرباً شعبية طبقية ضد الأوضاع السيئة التي كانت كنتيجة للاستبداد السياسي، وما خلفه من ضيم اجتماعي، وسيطرة للطبقة الثرية المهيمنة على الموارد الاقتصادية، والمدعومة من السلطة الرومانية التي عملت على حماية تلك المصالح والقوانين، ولذلك انضمت للحركة الدوناتية فكانت بمثابة الجناح المسلح لها¹.

ثانياً: نتائج التحالف الدوناتى مع ثورات العائلة النوبيلية

1- نتائج التحالف الدوناتى الفيرموسى

احتضنت الكنيسة الدوناتية ثورة القائد فيرموس كما انضم اليه الثوار الريفين(الدوارين) لأنهم كانوا يرون فيه قائد عسكري محنك، كما أن ثورته هي فرصة للوقوف في وجه العبودية والاحتلال الروماني والاضطهاد الكنسي الكاثوليكي المطبق عليهم، وهكذا وجد فيرموس في الدوناتية والثوار الريفين سنداً منيعاً للإطاحة بالنظام الامبراطوري، من خلال توفر الغطاء الديني وتوفر القوة البشرية لثورة عارمة وشاملة، ومن جهة أخرى مثل فيرموس العصا الضاربة لروما ومناهضي ومضطهدي الدوناتية من الكاثوليك، وبفضل ذلك التحالف حقق فيرموس واتباعه الملقبون بالفيرميون العديد من الانتصارات منها مهاجمتهم لشرشال(بول)² ومحاصرتهم لتيبازة وإيكوزيوم(الجزائر)، وكان من نتائجها أيضاً تحقيق التحالف السياسي والحزبي بين القبائل الموريطانية.

تمكنت مقاومة فيرموس من إلحاق خسائر معتبرة بالرومان في الأرواح والمحاصيل الزراعية، ويذكر أميان مارسيلان حول ثورة فيرموس أنها كانت شاملة، إذ انضم إليه كل قطاع الطرق وأهل البدعة، أي الدوارين والدوناتيين، وبذلك اكتسحت كامل موريطانيا القيصرية ونوميديا وعدة مدن في سهل الشلف مثل مدينة مليانة وتيغافا، وتقدمت حتى سهل الشلف المنيع كاستيلوم-تاجيتانوم.

¹ المرجع نفسه، ص259.

² Ernest Marcier, op.cit, p132.

كما ساهمت ثورة فيرموس في انتشار الهلع والخوف والأمن حتى داخل الأسوار الرومانية وحصونها، وهذا ما أقلق حكام روما التي أوفدت على الفور القائد العسكري المخنك الكونت تيودوز مجهزاً بجيش جرار، غير أن انتشار الثورة الواسع جعل الرومان عاجزين أمامها فاتبعت كل الوسائل العسكرية المتاحة لديها بتجنيد الفرق المساعدة وخوض ما يفوق الأربع حملات ضد فيرموس¹، لتلجأ بعد يأسها إلى الوسائل التأميرية والحيل التي سبق وأن طبقتها مع يوغرطة عام 105 ق.م²، وذلك بكسب مودة وصدافة جيلدون أخ فيرموس، وتقريبه منهم عن طريق المصاهرة السياسية بطلب تيودوز يد "سلفينا" ابنة جيلدون إلى أحد أقربائه³، كما ذكرنا في الفصل السابق.

لما أحس فيرموس بخيانة شقيقه شنق نفسه في غفلة من حراسه، فحمل الرومان جثمانه وعرضوه في الساحة العامة لعدة أيام لردع السكان المحليين⁴، رغم أن انتصارهم على فيرموس لم يكن انتصاراً عسكرياً لينال به تيودوز شرف الجنديّة، وبنهاية فيرموس (375م) فقدت شمال إفريقيا والدوناتيون قائداً فذاً استطاع أن يجمع في ثورته مختلف فئات المجتمع على اختلافها ويوحدها ضد العدو المشترك روما.

أثبتت ثورة فيرموس من جهة أخرى أن الرومان لا عهد لهم، إذ ذكرت المصادر التاريخية أن القائد الروماني تيودوز أمّن فيرموس بعدما طلب منه هذا الأخير الأمان، ولكنه لم يلبت أن شن عليه الحرب وخاض ضده عدة معارك استمرت لثلاث سنوات⁵. كما أثبتت من ناحية أخرى عجز روما عن تحقيق انتصارات عسكرية شريفة ضد السكان المحليين، إذ ان تيودوز استعان بأمواله لتحديد القبائل النوميديّة المتحالفة مع فيرموس، ولم ينجح حسب شارل أندري جوليان إلا بشراء ضمائر بعض القواد وانتهاج سياسة فرق تسد بين الإخوة الأشقاء، بيد أن ذلك التحالف المؤقت لم يلبت أن انقلب ضدها، إذ أعلن جيلدون شقيق فيرموس هو الآخر الثورة في وجهها⁶.

¹ محمد فوكّة، تأثير قبائل منطقتي الشلف والونشريس في السياسة العسكريّة الرومانيّة، المؤتمر الوطني لشهر التراث، المرجع السابق، ص 47

² هدى الطاهر الهادي، المرجع السابق، ص 113.

³ Silius Italicus, Claudien, op.cit, p1.

⁴ هدى الطاهر الهادي، المرجع السابق، ص 113.

⁵ شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 303.

⁶ المرجع نفسه، ص 303.

اعتبر الرومان أن الدوناتيون هم المسؤولون عن نتائج ثورة فيرموس معتبرين إياها شريكاً قوياً، فأصدر الإمبراطور قانوناً في 20 فيفري 373م أرسله للبروقنصل الإفريقي " جوليانوس " يمنع فيه رسمياً تطبيق قانون إعادة التعميد الممارس من قبل الكنيسة الدوناتية، وأمر بعزل كل أسقف يعارض الحكم.

ولما ارتقى " قراتيانوس " (Gratienius) في سنة 375م تابع الاجراءات وبصرامة أكثر ضد الدوناتيين، وأصدر مرسوماً لمصادرة كل الأماكن التي كانت تُعقد فيها الاجتماعات للمنشقين، وأصدر تعليماته لحكام الأقاليم بضرورة عدم التساهل مع عقد الاجتماعات غير المشروعة¹.

وأتبع الرومان تلك القوانين بقانون آخر في 17 أكتوبر 377م يمنع إعادة التعميد وأن تستعيد الكنيسة الكاثوليكية كل الكنائس المنشقة عنها، مع مصادرة المنازل والأماكن التي يُثبت فيها عقد اجتماعات المنشقين²، وفي سنة 392م فرضت السلطة الرومانية على رجال الكنيسة الدوناتية ضريبة قدرها عشرة (10) ليرات ذهبية تدفع لخزينة الإمبراطورية³، كما عمل الإمبراطور الروماني على إخضاع القبائل النوميديّة التي شاركت فيرموس في ثورته ضد الإمبراطورية الرومانية، وذلك بمصادرة أراضيهم وأحرقها وتخرّب منازلهم، وكان حريصاً على كسب حلفاء جدد له من القبائل النوميديّة حتى تكون عوناً له في استتباب الأمن بالمنطقة⁴.

أما على صعيد روما فثورة فيرموس لم تكن ثورة سهلة مطلقاً، إذ أنها غيرت وجه إفريقيا الرومانية ، وساهمت في تعزيز دور ماجنيوس ماكسيموس (Maximus Magnus) الذي أعلن إمبراطوراً في غالة يوم 25 أوت 283م، ولكنه انتظر حتى سنة 387م كي يدخل إيطاليا⁵.

¹ محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص364.

² شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص246.

³ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص303.

⁴ عبد الحميد عمران ، الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص275.

⁵ المرجع نفسه، ص276.

2- نتائج التحالف الدوناتى الجيلدونى:

لم تكن روما تعلم أن سياسة التفرقة بين الإخوة الأشقاء كانت ناجحة مؤقتاً، إذ سرعان ما انقلب القائد المورى جيلدون عليها وأعلن الثورة ضدها سنة 397م، وكالعادة انضم إليه الدوناتيين وجناحهم الثورى الريفيين¹، فاستطاع جيلدون جمع قوات ضخمة تضم القوات الرومانية المرابضة، والقبائل المورية والجيتولية والناسامونية والغرامنتية، بالإضافة إلى قوات الدوناتيين التي استغل جيلدون خلافها مع الكاثوليكية رغم وثنيته، فقد قدم الدوناتيون الدعم الكافى للقائد المورى جيلدون، فاستفاد الدوناتيون من حمايته لهم، واستفاد هو منهم كقوة محاربة مستعدة للموت من أجل الدفاع عن عقيدتها.

يذكر المؤرخون أن العلاقات الجيلدونية الدوناتية كانت متينة جداً، حتى اعتبر المجادلون الكاثوليك الدوناتيين جيلدونيين، وألصقوا بالأسقف الدوناتى أويتا التاموقادى (Optat de Thamugadi) مختلف النعوت، فمرة اعتبروه جندي جيلدونى، ومرة أخرى صديق القائد المورى، وفي ثالثة اعتبروا جيلدون إله أويتا، وفي ذلك ذكر أوغسطين " كان أويتا إله ليس الإله إنما جيلدون"، وقد نتج عن ذلك التقارب أن بعض المؤرخين نظروا للحركة الدوناتية على أنها تعبير عن الخصوصية المحلية التي تسعى للتخلص من الهيمنة الرومانية. كما أضفى انضمام كل طبقات المجتمع الإفريقي من قبائل ودوناتيين ودوارين إلى مقاومة جيلدون طابعاً تحريراً اجتماعياً ودينياً وإفريقياً إلى ثورة جيلدون².

أمام النجاح الذي حققه جيلدون باستخدامه سلاح القمع ضد روما ودخول هذه الأخيرة في مرحلة الجوع واللاستقرار كان لابد من ردة فعل قوية من طرف روما كقوة السلاح المستعمل ضدها، فلجأت كعادتها إلى سياستها الخبيثة التي استعملتها قبل ذلك عدة مرات فاستغلت فجوة الحقد الأخوي بين جيلدون وماكزيل اللذان خاضا معركة حامية الوطيس انتهت بانتصار عسكري

¹ Leveau Philippe, La Situation Coloniale de l'Afrique Romaine, Annales ,Economies, Societes, Civilisations, T: 33,Nº:1, 1978, p90.

² محمد الحبيب بشاري، أوضاع الامبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن 4م، ثورة جيلدون 397م-398م، المرجع السابق، ص251.

لرومان، فامتطى جيلدون سفينة للنجاة بنفسه متجهاً نحو القسطنطينية، غير أن الرياح رمت بسفينته على شاطئ طبرقة أين أُلقي عليه القبض فانتحر حتى لا ينكل به.

ان انتحار جيلدون يدل على قوة شخصيته والأنفة التي كان يتمتع بها، إذ فضل الموت على أن يكون لعبة في يد روما لتمارس عليه كل ألوان العذاب والذل، وهو في ذلك لا يختلف عن عادة أسلافه من قادة الثورة كيوغرطة وتاكفاريناس وغير بعيد عنه شقيقه فيرموس.

بعد القضاء على جيلدون وضعت روما يدها على كل ممتلكاته وأمواله الخاصة وصادرت أموال أتباعه، ونظراً لثروته الشخصية الهائلة وأملاكه الشاسعة، فقد اضطر الرومان إلى تنصيب لجنة للإشراف عليها¹، وتم تعيين باثاناريوس (Bathanarius) كسيد على إفريقيا خلفاً لجيلدون، وهو أخ غير شقيق للوزير ستيلكون².

أما شقيق جيلدون ماكزيل فاستقبل في روما استقبال الأبطال، وذلك ما أثار حفيظة ستيلكون الذي لم يتردد في وضع حد لحياته، إذ أمر رجاله بالتخلص منه غرقاً لتخوفه من المكانة التي صار يتمتع بها في أوساط الطبقة الأرستقراطية الرومانية، وهي عادة ليست بجديدة على القادة الرومان فهم لا يعترفون بالجميل، ويخشون دوماً بروز القيادات المحلية الإفريقية حتى ولو كانت حليفة، ولا يترددون أبداً في التخلص منها، والأمثلة على ذلك كثيرة فالوالي الروماني سكستوس قد تخلص من أرابيون رغم خدماته الجليلة لصالحه³، ونفس الشيء ينطبق على القائد العسكري لوسيوس كيتوس في عهد الإمبراطور هادريانوس الذي كان مخلص في عمله ورغم ذلك تمت تصفيته⁴.

وبنهاية جيلدون وتصفيه شقيقه ماكزيل تنتهي مسيرة أسرة موريطانية ثورية وطنية شارك فيها أبناء نوبييل ذكوراً واناثاً مستفيدين من كل المعطيات التي أتاحت لهم لضرب أعظم قوة في العالم آنذاك وهي الامبراطورية الرومانية، لتفرض ذكرها في الكتابات الرومانية كواحدة من الأسر التي

¹ شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 306.

² ب.ه.ورمنقتن، المرجع السابق، ص 32.

³ أنظر تفصيل ذلك في الفصل الثالث.

⁴ محمد الحبيب بشاي، ثورة جيلدون، المرجع السابق، ص 165.

ناضلت لأجل الاستقلال والعيش الكريم بعيداً عن الذل والاضطهاد فناصرتها كل الجماهير الناقمة على روما.

كبدت ثورة جيلدون، من خلال تطبيق استراتيجية السلاح الأخضر، الإمبراطورية الرومانية خسائر فادحة، إذ أنها تسببت في انتشار المجاعة في إيطاليا بامتناع جيلدون عن تزويد روما بالحصّة السنوية المفروضة من القمح، وهذا ما جعل السلطة الرومانية تتحرك عاجلاً ضده خوفاً من تأزم الوضع أكثر وقيام ثورة داخلية في روما، ورغم قوتها العسكرية لم تتمكن روما الإمبراطورية من وضع حدٍ لثورة جيلدون إلا باتباعها أسلوب التفرقة بين النوميدي ليتوقفوا عن دعم جيلدون، واللجوء إلى الأسلوب القديم الذي انتهجته سابقاً مع أخصية فيرموس باختلاق الخلافات بينه وبين شقيقه ماكزيل، هذا الأخير الذي عينته روما على رأس قيادة الجيش الروماني ضد جيلدون في إشارة منها إلى عجزها عن وجود قيادة عسكرية رومانية يمثل شجاعة أخصية الأمير الموري ماكزيل.

ولم ينس الرومان الاقتصاص من حلفاء جيلدون من اتباع الدوناتية والدوارين، فاضطهدوهم ونكلوا بهم، وأوعزوا إلى الملاك الإقطاعيين من المعمرين الرومان بالضغط عليهم حتى يرتدوا عن الدوناتية ويعتبقوا الكاثوليكية لأنها متحالفة مع السلطة السياسية التي تضمن لهم البقاء في إقطاعاتهم ومكانتهم كأسياد في أراضي المغرب القديم¹، وفي ذلك يذكر " مونسو " " كانت الدعوة للمسيحية في هذه البلاد التي تكثر فيها الضيعات الكبيرة يعين على نشرها بنجاعة الملاكين الكبار الذين كانوا يسعون هم بأنفسهم إلى تنصير معمرينهم، وإلى توطيد الوحدة الدينية في أراضيهم بنوميديا"².

غير أن الكنيسة الكاثوليكية أستاذت نشر الدعوة بحزم، وكان القديس أوغسطينيوس الراعي الأشهر لها من خلال خطاباته ومناقشاته وعقده للمجامع الكنسية، وتقديم الشكاوي للإمبراطور الروماني ضد الدوناتيين ممهداً الجو لتدخل السلطة الزمنية في الخلاف وهذا ما حصل، إذ أعلن الإمبراطور عن عقد مجمع بقرطاجة أدان فيه الدوناتيين واعتبرهم مخالفين لقانون الدولة في 12 فيفري 405م.

¹ جميل حمدوي ، من أبطال المقاومة الأمازيغية (جيلدون)، متوفر على: <http://www.tawalt.com>

² شارل أندري جوليان ، المرجع السابق، ص 307.

كان من نتائج قانون 405م انتشار موجة القمع والعنف ضدّ الدوناتيين بلا رحمة ولا شفقة ، فتم ضرب الأسقف " ماكسيميانوس " ببغاي لأنه أراد تحويل الكنيسة الدوناتية إلى ممتلكات الكاثوليك، ولم يخلل الأساقفة الكاثوليك بالوشاية بخصومهم للسلطة الزمنية، وفي عام 408م أصدرت السلطة قانوناً جديداً بمحاكمة المتورطين في حرب "جيلدون" بالسجن ومصادرة أملاكهم بما في ذلك الدوناتيين.

وجاء دستور 30 جانفي 412م بقرار يأمر فيه الدوناتيين بالدخول إلى الكنائس وإلا صودرت أموالهم وعذبوا وأجلوا عن بلادهم¹، وكانت مصادرة الأملاك تنطبق حتى على الذين أرغموا على الوحدة مع الكاثوليك بموجب مرسوم نشره وكيل إفريقيا " مسدونوس " (Macedonius) سنة 414م، أي بعد أكثر من أربعة عشر عاماً على حرب جيلدون، مما يعني أن تأثيرها على الرومان كان قوياً جعلهم يواصلون معاقبة أتباعه بقسوة حتى بعد انقضاء كل هذه المدة.

ومن أهم رجالات الكنيسة الدوناتية التي لقيت حتفها على خلفية دعم ثورة جيلدون نذكر الأسقف "أوبتا الميلي" أصيل تيمقاد الذي كان مستشاراً للقائد جيلدون، فمجد كما يمجّد الأبطال واعتبر من الشهداء الأطهار²، لأن الدوناتية كانت تمثل الداعم الروحي للثوار فهي تمنحهم درجة الشهداء .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحركة الدوناتية مثلت شكلاً من أشكال الرفض لسياسة الرومنة التي أثبتت فشلها باعتناق الأفارقة لها بمختلف طبقاتهم، ولرفضهم لقرار كركلا عام 212م القاضي بمنح حقوق المواطنة الرومانية لكل رجل حر في الإمبراطورية، والذي جاء بعد فوات الأوان بل رفضة حتى الراغبين بالترومن سابقاً لإدراكهم لجوهر السياسة الرومانية، والنظرة الدونية التي كان ينظر بها الرومان للإفريقيين على أنهم من الدرجة الثانية حتى وإن كانوا مواطنين حسب القانون³ .

¹ المرجع نفسه، ص308.

² Yves Modéran, op.cit, p828.

³ محمد بوكبوط، المرجع السابق، ص66.

ومنه فاعتناق النوميديون للعقيدة المسيحية أولاً، والدونانية ثانياً، كانا دليلاً قاطعاً على الغليان الاجتماعي الذي شهدته منطقة الشمال الإفريقي القديم، ومن هنا فمغزها كان يكمن في إدانة الرومنة بشكل أساس، وتقديم الدعم لكل رافض لسياستها ثانياً مهما كانت الدوافع الاجتماعية أو الاقتصادية، ويترجم ذلك في دعمها لكل حركات التحرر التي تزامنت معها كثورة الدوارين وثورة فيرموس وثورة جيلدون، وكان لدعمها أثراً كبيراً في نجاح تلك المقاومات وعرقلة سياسة روما بالمنطقة، والتي لم تجد لحلها سوى انتهاج سياسة التفرقة والغدر والخيانة.

مما سبق نستنتج أن المقاومات النوميديّة اتسمت باستمرارها زمنياً، وعلى مدى عدة قرون، وبتعددتها وانتشارها مما يوحي بكارثية الوضع الاجتماعي والاقتصادي في ظل الاحتلال الروماني أولاً، وإلى طبيعة الإنسان النوميدي الحر الذي رفض الانسلاخ عن ذاته وثقافته ثانياً، من خلال تنظيم الممالك المحلية وتأسيس الجيوش لمقاومة الاحتلال الروماني، وحتى القبائل النوميديّة التي انتقلت للمعازل الجبلية والصحاري، وتلك التي فرض عليها الرجوع لنظام البداوة بعد اغتصاب أرضها، وطردها إلى ما وراء خط الليمس الذي اتخذته كقاعدة للتسليح والتخفي عن الأنظار وإعادة تنظيم الجيوش، وانطلاق المقاومات التي أرهقت روما، وأجبرتها على تدعيم قواتها العسكرية بفيالق جديدة كل مرة، وإصدار قرارات بئسة مرة أخرى كمحاولة منها لدمج هذا العنصر في بوتقة المجتمع الروماني وتكريس السلام والأمن بالمنطقة ولكن دون جدوى، إذ فضل قادة المقاومات النوميديّة الموت بكرامة على أن يكونوا فريسة في يد روما تتفنن في تعذيبها كيفما تشاء بعد أن حققوا أهدافهم الاستراتيجية، وأهانوا روما وأضعفوا وجودها الإقليمي والعالمي بحوض البحر الأبيض المتوسط.

خاتمة

بعد دراستنا للخطط العسكرية للمقاومات النوميديّة للاحتلال الروماني من 146 ق.م إلى 430م توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات أهمها:

1- إن الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم لم يكن دفعة واحدة وإنما كان وفق سياسة المرحلية، والتي صاحبته سياسة التوسع والاستيطان بتوزيع الأراضي الخصبة على المستوطنين، ودفع النوميدي نحو الداخل، واستغلال الأراضي الإفريقية وتوزيعها توزيعاً محكماً ودقيقاً وتزويدها بمستلزمات الحياة الزراعية.

2- مع تزايد الاضطرابات والمجاهرة بالرفض واللجوء الى المقاومة المسلحة استقدم الأباطرة الرومان الفرقة الأوغسطية الثالثة، والتي كانت مهمتها الأساسية ضمان الأمن والاستقرار في بلاد المغرب القديم والقضاء على كل أشكال المقاومة، كما تم رسم الحدود بين المستعمرات الرومانية والأراضي النوميديّة (منظومة الليمس)، ومد شبكة من الطرق البرية لدوافع اقتصادية وعسكرية.

3- عمل الرومان جاهدين على ازالة الحدود بينهم وبين السكان المحليين ثقافياً (سياسة الرومنة)، بل وعلى حساب الثقافة والشخصية النوميديّة المحلية الضاربة في أعماق التاريخ والصمام الحافظ لكيان وهوية وشخصية السكان المحليين، ومحاولة إذابة العنصر النوميدي المحلي ثقافياً واجتماعياً وإدارياً، وصهره في الثقافة والكيان الروماني، مُسخرة في ذلك كل الأنظمة الإدارية والعسكرية، والاجتماعية.

4- تثبت الأدلة التاريخية أن الليبيين ومنذ القدم كونوا جيوشاً منظمة لمجاهمة أعتى القوى العسكرية في العالم القديم، والمتتبع لتاريخ الجيوش والمقاومات في شمال إفريقيا يدرك أن فكرة الاستعداد لمواجهة المخاطر كانت متجذرة عند المغاربة القدماء من خلال التحالفات السياسية والعادات الاجتماعية.

5- أكدت النقائش المصرية أن الليبيين كانوا يمتلكون جيشاً منظماً، تميز أفرادهم بالشجاعة والبسالة في القتال، كما تميز بالقوة العددية والتجهيز بمختلف الأسلحة العسكرية، وقد أبرز الصراع الليبي-المصري الخبرة العسكرية التي تميزت بها مختلف الفرق العسكرية الليبية، وما يفسر ذلك هو الاستعدادات الضخمة للفراعنة التي كانت تسبق خوض غمار الحروب ضد الليبيين، ثم الاستعانة بخبرة الجندي الليبي في الجيش المصري.

6- بعد تأسيس الفينيقيين لقرطاجنة برزت مع مرور الوقت فرق العنصر الليبي المحلي في الجيش القرطاجي، والتي أظهرت إمكانات وتراكم خبرات عسكرية أجمعت المصادر القديمة على أنّها كانت عنصراً فاعلاً في العديد من المعارك التي خاضها القرطاجيون أمام القوات الخارجية، ولو أنّ علاقة التحالف تلك لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما نشبت ثورة الجند المأجور التي نجح فيها القائد الليبي "ماتوس" في تجنيد الفرق العسكرية الليبية المحلية وتنظيمها في الحرب ضد قرطاجنة.

7- أثبتت الأدلة التاريخية أنّ الجيش النوميدي كان يضاوي الجيوش العالمية في ذلك الوقت لما تميز به من دقة في التنظيم، وتسلسل في الرتب العسكرية، إضافة إلى التكامل الموجود بين وحداته وفرقه العسكرية المتنوعة، خاصة فرقتا الجيش البري المشاة والفرسان.

8- اهتم الأقاليد النوميدي بصقل مواهب أفراد الجيش العسكري بالاعتماد على خبرات عسكرية محلية وأجنبية رومانية وإغريقية، كما جهزوا جيوشهم بمختلف التجهيزات العسكرية الدفاعية والهجومية، التي تطورت كماً ونوعاً.

9- شكلت الحيوانات الحربية عنصراً أساسياً في الجيش النوميدي، فكان الحصان النوميدي محل إشادة المؤرخين لما تميز به من خفة في الحركة وسهولة في الانقياد، إضافة إلى استعانتهم بدبابنة العصر القديم وهو الفيل الإفريقي الذي كان يظهر عادة في الواجهة الأمامية للجيوش الإفريقية، كما أشارت آثار مدينة هابو المصرية إلى استعمالهم للعربات الحربية التي لوحظت ضمن غنائم حربهم الثانية ضد الفرعون رمسيس الثالث، مما يطرح فرضية استخدامها في عصور لاحقة (النوميديّة).

10- وظف قادة المقاومات النوميديّة سلاح المال والدبلوماسية لأغراض حربية، وهو الذي حقق نتائج استراتيجية هامة في حرب يوغرطة الذي أثبت التاريخ أنه كان رجلاً استثنائياً وخبيراً عسكرياً دفعت طريقته في الحرب بالرومان إلى مراجعة أساليبهم وإعادة تنظيم جيوشهم.

11- استفاد النوميديون من الصراعات الأهلية التي كانت تجري في روما وذلك بالتحالف مع أحد قناصلتها المتخاصمين لإضعاف الطرف الآخر، مثل ما فعل هيرباس ويوبا الأول وأريون فيما عرف بسياسة التحالفات التي حققت نصراً جزئياً.

12- استغل النوميديون خبرتهم العسكرية ومعرفتهم بتضاريس منطقتهم وطبيعتها لتنفيذ استراتيجيات عدة كمنصب الكمائن وحرب العصابات بتوجيه ضربات موجعة للرومان، ثم الاختفاء عن الأنظار ومعاودة الكرة مرة أخرى، وقد أثقلت هذه الاستراتيجية كاهل روما كثيراً فسلكت للقضاء عليها مسالك عدة دون جدوى.

ونتيجة للسياسة الاقتصادية لروما ببلاد المغرب القديم، وما نتج عنها من بؤس وشقاء عمد النوميديون إلى اتباع استراتيجية ردم الابار واستهداف ممتلكات العدو، والتي كانت بارزة في ثورة الدوارين(الريفيين)، وثورة فيرموس، كما أتقن النوميديون إضافة إلى ذلك أسلوب الحصار العسكري الذي أتقنه الرومان عبر تاريخهم الطويل.

13- استعان الملك النوميدي "جيلدون" بسلاح ظل حتى العصر الحديث سلاح استراتيجياً هاماً لتجنب الحسائر البشرية، وهو سلاح التجويع حيث رفض شحن القمح إلى روما التي كانت بحاجة ماسة إليه، مما جرّ عليه خصومة روما التي كانت بالأمس القريب تمنحه النياشين والألقاب الفخمة فجهزت الجيوش وحاكت المؤامرات للقضاء عليه .

14- ظلت بلاد المغرب القديم مسرحاً لحرب كانت لها خصوصيتها في الاستراتيجية المتبعة وهي المقاومة الدينية ، فقد استعمل النوميديون الحرب الدينية كنوع من أنواع الرفض لسياسة روما الثقافية والدينية ، فتشبث النوميديون بخصائص وروح معبوداتهم وطقوسهم الدينية رغم محاولة روما رومنة الديانة وفرضها بالقوة، واستمر انتهاج هذه السياسة القائمة على رفض كل ماله علاقة بروما، فتنصر المغاربة القدامى للمسيحية في فترة كان معتنقها يتعرضون للاضطهاد، وحتى بعد اعتراف روما بالمسيحية انضوا تحت النحلة الدوناتية ضد كاثوليكية روما ما أشعل حرباً دينية بين روما ونوميديا.

15- إنَّ التنوع في استعمال الاستراتيجيات العسكرية في المقاومات النوميديّة يُعد دليلاً واضحاً على الحنكة العسكرية، ومهارة القادة النوميديين في اختيار الأساليب الحربية واتقان فن الحرب، حتى أننا لنجد بعض تلك الخطط لازالت معتمدة حتى عهد قريب، وهو ما يجعل منهم قادة عسكريين تاريخيين بكل ما تحمله هذه اللفظة من وظائف سياسية وعسكرية واستراتيجية، والتي ربما يرجع سببها إلى كون المنطقة كانت مسرحاً لعدة أحداث

تاريخية وحربية عالمية بالأساس، حيث كان النوميديون حاضرون فيها دائماً ما ساهم في صقل خبراتهم الحربية.

16- ساهم التنوع في الخطط العسكرية للمقاومات النوميديّة في تحقيق العديد من الانتصارات وكبد روما خسائر فادحة فرضت عليها في كثير من الأحيان استدعاء القوات المساعدة من ولايات رومانية أخرى لاحتواء الأزمات رغم وجود الفيالق الروماني المرابط بالمقاطعة الإفريقية، كما أجبرتها على تغيير القيادات العسكرية للجيش واختيار القادة العسكريين التاريخيين للقضاء على ما بات يشكل بالنسبة للرومان هاجس المقاومة النوميديّة.

17- حققت المقاومات النوميديّة انتصارات استراتيجية أثرت على سمعة وقوة الإمبراطورية الرومانية، وقد ارتبطت تلك الانتصارات بمرحلة القوة النوميديّة، ولو أن الرومان استطاعوا اختراق المقاومة ووحدة صف النوميديين عن طريق تقديم وعود واغراءات بالتربع على العرش النوميدي أو توسيع مناطق النفوذ لبعض الأقاليد على حساب الآخرين، إضافة إلى أسلوب التآمر الذي أطاح بمقاومة يوغرطة، وهو دليل واضح على فشلها في القضاء عليها بالمواجهة العسكرية والدهاء الحربي.

18- صاحب المقاومات النوميديّة تغيرات سياسية وأخرى إدارية كان غرض روما الأساسي منها إعادة ضبط سلطاتها وتقوية نفوذها بالمنطقة، وتشكيل خارطة سياسية وإدارية واجتماعية في المقاطعة الإفريقية، وللتفرغ لتوسعاتها الخارجية سواء بمكافأة الحليف ومد نفوذه أو تقسيم المقاطعة والحاق بعضها بروما مباشرة، فظهرت مقاطعة إفريقيا الجديدة بعد القضاء على يوبا الأول، وإفريقيا البروقنصلية في عهد الامبراطور أوكتافيوس أغسطس، وفي الغالب كانت تتزامن هذه العملية بتشجيع عملية الاستيطان وتأسيس المستوطنات، ومنح حقوق المواطنة وهي الأسباب التي كانت وراء اشعال نار المقاومة في مناطق أخرى . كما أن من المقاومات النوميديّة من حقق نتائج استراتيجية هامة داخل الامبراطورية الرومانية العظمى، فكشفت مقاومة يوغرطة عن الفساد الذي كان منتشراً في روما، وساهمت في تضعيف مكانتها العالمية، كما غيرت المقاومات النوميديّة السياسة الرومانية الداخلية واضطرتها لتغيير تكوين جيوشها وتغيير قياداتها وقناصلها من حين لآخر، فكانت سبباً في

استقطب مكانة بعضهم وارتقاء البعض الآخر في السلم الإداري إلى منصب القنصلية، والذي انجر عنه في الكثير من الأحيان حروب أهلية كانت نتائجها وخيمة على روما في حد ذاتها. وفي الأخير نأمل أن نكون قد وفقنا في إزالة اللبس وحل الإشكاليات المتعلقة بموضوع الدراسة في عناصر هذه الأطروحة راجين من المولى عز وجل التوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

سبلو غرافيا المصادر والمرام

أولاً: المصادر:

أ- المصادر باللغة العربية:

1. القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، ط2، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2008 .
2. الكتاب المقدس، (العهد القديم والعهد الجديد)، سفر الأيام الثاني الإصحاح الثاني عشرة، كنيسة الانيا تكلاهيمانوت، مصر، متوفر على الرابط: https://st-takla.org/pub_oldtest/Arabic-Old-Testament-Books/14-Second-Chronicles/Sefr-Akhbaar-Al-Ayaam-El-Thani-Chapter-12.html
3. بلوتارك، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، مج2، تر: جرجيش فتح الله، الدار العربية للموسوعة، ص890.
4. بليبي الأكبر، الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي، تر: محمد المبروك الدويب، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 2003
5. ترتليانوس، المناقحة (دفاع عن التوحيد)، تر: عمّار الجلاصي، 2001، متوفر على: http://www.tawalt.com/wp-content/books/turtlianus/tutlianus_1.pdf
6. سالوستيوس، الحرب اليوغرطية، تر: محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا.
7. هيروdot، تاريخ هيروdot، تر: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبوظبي، الامارات العربية المتحدة، 2001م.
8. هيروdot، أحاديث هيروdot عن الليبيين، تر: مصطفى أعشي، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 2008م
9. يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر: القس مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، د.ت.
10. يوليوس قيصر، حرب افريقية، تر: محمد الهادي حارش، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م.

ب- المصادر باللغة الأجنبية :

1. Ammien Marcellien, **Histoire de Rome**, trad: M. Nisard, Firmin Didot, Paris, 1860.

2. Appien, **Histoire Des Guerre Civiles De La République Romane**, Trad: Combes-Dounous, Imprimerir Des Frères Mame, 1808.
3. Appien, **Ibérique**, trad: Phillippe, <http://remacle.org/bloodwolf/historiens/appien/iberique.htm>
4. Appien, **La guerre d'Hannibal**, liv:I. <http://remacle.org/bloodwolf/historiens/appien/hannibalique.htm>
5. Augustin, **Les letteres de S. Augustin**, trad: Rangées Selon l'ordre des temps du bois , Jean Baptiste Coldnard, Paris.
6. César, **Guerre d'Alexandrie**, trad: M. Nisard, Paris, 1865 متوفر على الرابط: <http://bcs.fltr.ucl.ac.be/CAES/BA.html>
7. Cicéron, **Lettres Aatticus**, trad: M. Nisard, Firmin Didot frères, Paris.
8. Diodore Sicile, **Histoire Universelle**, trad: L'Abbé Terrasson, Paris, 1744
9. Diodore Sicile, **Bibliothèque Historique**, 2^{me} Edi, trad: L'Abbé Terrasson, libraire Hachette, Paris, 1955.
10. Dion Cassius, **Histoire Romane**, librairie de Firmin Didot frères, Paris, 1855.
11. Florus, **Abrégé de l'Histoire Romane**, trad: M. Nisard, Firmin Didot, Paris.
12. Hérodote, **Histoire d'Hirodote**, trad: Larcher avec des notes des Bochard, Wesseling Scaliger et Carpentier, Paris, 1850.
13. Julius Solin, **Polyhistor**, trad: M.A.Agnant.C.L.F, Pan kouke, 1847.
14. Justin, **Histoire Universelle**, liv:II. <http://remacle.org/bloodwolf/historiens/justin/livre1.htm>
15. Justinus Marcus Junianus, **Histoires philippiques de trogue pompée**, trad: Marie Pierre Arnaud-Linder.

16. Plin L'Ancien, **Histoire Naturelle**, Dubochet, 1848.
17. Plutarque, **Vies des hommes illustres** (Vie de Marius), trad: Alexis Pierron, T:2, charpentier libraire editeur, Paris, 1845.
18. Polybe, **Histoire Générale**, trad: Felix Bouchout charpentier libraire, Paris 1847.
19. Salluste, **Guerre de Jugurtha**, édi: François Richard, 1933.
20. Silius Italicus Claudien, **ouvre complétés, sur la guerre conter Gildon**, trad: M. Nisard, Firmin-Didot, et c, Paris. <http://remacle.org/bloodwolf/poetes/clauidien/gildon.htm>
21. Sixtus Julius Frontin, **Stratagèmes**, trad: D.G A.L.R.B.L.C.D.S.M, 1839.
22. Strabon, **Géographie**, trad: Amédée Tardieu, librairie de la Hachette, Paris, 1867.
23. Suétone, **vie de Jules Césaes**, trad: Bibliotheca Classica Selecta, 2011, : <http://bcs.fltr.ucl.ac.be/SUET/CAES/plan.html> متوفر على الرابط
24. Tacite, **Annales**, trad: J. L. Burnouf, Librairie de Hachette et Cie, Paris.
25. Tacite, **Les Histoires**, trad: J.L. Burnouf librairie de L. Hachette et cie, Paris.
26. Tertullien, **Apologétique**, trad: J.P. Waltzing, 2^{eme} édition, Librairie Bloud Et Gay, Paris, 1914.
27. Tite Live, **Histoire Romaine**, trad: M. Nisard et c, Firmin pinot frères, fils et c libraires, Paris.
28. Tit-Live, **Ab urbe Condita**, trad: M. Nisard, Firmin-didot, Paris, 1864.

29. Varron, **De m'agriculture**, trad: M. Nisard, Firmin-didot et c. libraires , Paris.

30. Velleius Paterculus, **Histoire Romane**, trad: Garnier, ed: Pierre hainsselin et watelet

ثانياً: المرجع:

أ- المراجع باللغة العربية:

1. أكريز عبد العزيز، تاريخ المغرب القديم من الملك يوبا الثاني إلى مجئ الإسلام، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2016.
2. أنديشة (أحمد محمد)، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، ط01، الدار الجامعية للنشر والتوزيع ، ليبيا ، 1993م.
3. أيوب (إبراهيم) ، التاريخ الروماني ، ط1، الشركة العالمية للكتاب ، لبنان، 1996م.
4. أيوب (محمد سليمان) ، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية ، ط1، دار المصراي ، ليبيا، 1969.
5. البرغوثي (عبد اللطيف محمود) ، التاريخ الليبي القديم ، من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي ، ج1، منشورات تامغناست.
6. بشي (إبراهيم العيد) ، مدخل إلى تاريخ حضارات بلاد المغرب القديم، زاد الطالب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.
7. بلعابد (زينب) ، وظائف ومهن قديمة بسيرتا ، منشورات المتحف الوطني بسيرتا ، 2005.
8. بلقاسم رحماني وآخرون، أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016م.
9. بن أشنهو (عبد الحميد)، الملك العالم ، يوبا الثاني ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.
10. بورونية (الشادلي) ، طاهر (محمد) ، قرطاج البونية تاريخ حضارة ، مكتبة الاسكندرية ، مركز النشر الجامعي ، مصر ، 1999.
11. بوكبوط (محمد) ، الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات (صفحات من تاريخ الأمازيغ القديم)، مركز طارق بن زياد، الرباط، 1984.
12. الثعالبي (عبد العزيز)، مقالات في التاريخ القديم ، ط1، تح: جلول الجريبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م.
13. حارش (محمد الهادي) ، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة ، دار هومه للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2001،
14. حجازي (عبد العزيز عبد الفتاح) ، روما وإفريقيا، ط1، المكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، 2007.
15. الحري (الناجي منصور) ، الليبيون في جيش قرطاجنة ، مجلس الثقافة العام ، ليبيا ، 2010 .

16. خالد (موسى)، تلخيص كتاب كارل فون كلاوزفيتز "عن الحرب"، مركز نورس للدراسات، (د.ت).
17. خشيم(علي فهمي) ، نصوص ليبية ، ط2، منشورات تامغناست، 1975.
18. السعدي(محمود إبراهيم)، حضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن 1م ، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، 1998م.
19. سلاطينة(عبد المالك)، المصادر التاريخية والأثرية وأهميتها في البحث التاريخي والأثري، ط1، دار الارشاد للنشر والتوزيع ، 2013.
20. السليماني(أحمد) ، ماسينيسا ويوغرطة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007
21. السليماني(أحمد) ، أضرحة الملوك النوميدي والمور، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007،
22. السليماني(أحمد) ، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة ، دار القصة ، الجزائر ، 2007م.
23. السليماني(أحمد) وآخرون ، المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في نوميديا القديمة ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 54، الجزائر ، 2007.
24. السيد(محمد عبد الغني)، نماذج من الكفاح الجزائري ضد الهيمنة الرومانية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1999م.
25. أبو سعده(حسام)، يوليوس قيصر رجل الحرب والسياسة ، ط01، العالمية للكتب والنشر، مصر، 2012م.
26. شارن (شافية شارن) وآخرون، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 54، الجزائر ، 2007م.
27. شفيق(محمد) ، ثلاثة وثلاثون قرناً من تاريخ الامازيغيين، منشورات تامغناست.
28. شنييتي(محمد البشير)، أضواء جديدة على تاريخ الجزائر القديم ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2003.
29. شنييتي(محمد البشير)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.
30. شنييتي(محمد البشير)، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م-40م)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1985م.
31. شنييتي(محمد البشير)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.
32. شنييتي(محمد البشير)، نوميديا وروما الامبراطورية ، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2012م.
33. شنييتي(محمد البشير)، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
34. الشيخ(حسين)، الرومان ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2005م.
35. الشيخ(حسين)، بعض مظاهر الفساد السياسي في أثينا وروما الرشوة والاختلاس في أوائل القرن 4ق.م وشراء الأصوات الانتخابية في روما أواخر العصر الجمهوري ، د.ت ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية.

36. صقر (أحمد) ، مدينة المغرب العربي في التاريخ ، ج1 ، بوسلامة للنشر ، تونس .
37. الصويغي (عبد العزيز) ، تاريخ الحضارة الليبية القديمة ، ط1 ، وزارة الثقافة والمجتمع المدني ، ليبيا ، 2003
38. طراد (محمد نجيب ابراهيم) ، تاريخ الرومانيين (من بناء رومية إلى تلاشي الحكومة الجمهورية ، المطبعة اللبنانية ، بيروت ، 1886 .
39. العبادي (مصطفى) ، الإمبراطورية الرومانية ، النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية ، درا المعرفة الجامعية ، مصر ، 1999م .
40. عبد العليم (مصطفى كمال) ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، المطبعة الأهلية ، 1966 .
41. العدواني (محمد الطاهر) ، الجزائر في التاريخ ، ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984 .
42. العدواني (محمد الطاهر) ، الحروب والأسلحة في عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر ، 1985 .
43. العروي (عبد الله) ، مجمل تاريخ المغرب ، ج1 ، ط5 ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، لبنان .
44. عقون (محمد العربي) ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم ، دار الهدى ، الجزائر ، 2008م .
45. عقون (محمد العربي) ، المؤرخون القدامى غايوس كريسبوس سالوستيوس وكتابه حرب يوغرطة ، ط1 ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2006م .
46. العقون (أم الخير) ، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية ، دار القدس العربي ، الجزائر ، 2015 .
47. عقون (محمد العربي) ، الونشريس الهوية والمقاومة في القديم ، مجموعة مؤلفين ، اسهامات منطقة الونشريس في المقاومة الجزائرية عبر التاريخ وشواهد الأثرية ، منشورات دار الثقافة تيسمسيلت ، 2012م .
48. عمران (عبد الحميد) ، الرومنة والتدين في شمال إفريقيا ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2018 .
49. عيساوي (مها) ، النقوش النوميديّة في بلاد المغرب القديم ، جسر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 .
50. غانم (حافظ أحمد) ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2007م .
51. غانم (محمد الصغير) وآخرون ، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم ، منشورات المركز الوطني للدراسات التاريخية و البحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 54 ، 2007 .
52. غانم (محمد الصغير) ، المملكة النوميديّة والحضارة البونية ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2006 .
53. غانم (محمد الصغير) ، النصب البونية القسنطينية المحفوظة بمتحف اللوفر بفرنسا ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر .
54. غانم (محمد الصغير) ، سيرتا النوميديّة ، النشأة والتطور ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2008 .
55. غانم (محمد الصغير) ، نصوص بونية - ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012 .

56. الغزالي(علي كسار غددير سلطان) ، القبائل الليبية القديمة وعلاقتها مع الشعوب المجاورة لها ، جامعة كربلاء ، (د.ت).
57. فرحاتي(فتيحة)، نوميديا من حكم غايا إلى الاحتلال الروماني، منشورات أبيك، 2007م.
58. فنطر(محمد حسين)، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، منشورات البحر الأبيض المتوسط، أليف مركز النشر الجامعي .
59. فنطر(محمد حسين)، الفينيقيون وقرطاج ، الموسوعة المتوسطية ، منشورات المتوسط أليف، تونس .
60. فنطر(محمد حسين)، يوغرطة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1970.
61. قداش(محمود)، الجزائر في العصور القديمة ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2007،
62. المحجوب(عبد المنعم)، رحلة حنون والطواف حول الأرجاء الليبية وراء أعمدة هرقل، مجلة لسان العرب، دار تانيت للنشر والدراسات، 2016م.
63. مجموعة مؤرخين ، تاريخ إفريقيا العام دراسات ووثائق ، تقرير ندوة نظمتها اليونيسكو ، باريس ،، المطبعة الكاثوليكية ، لبنان ، 1984 /1/16.
64. مجموعة مؤلفين ، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا وحضارته، ط1، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 2007م.
65. مجموعة مؤلفين ، بحوث ودراسات في التاريخ والآثار القديمة ، دار أجد للطباعة ،الجزائر، 2013م.
66. مجموعة مؤلفين، تونس عبر التاريخ، ج1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس، 2007م.
67. مجموعة مؤلفين، سلسلة تاريخنا، ج1، مطبعة دار التراث ، ليبيا،(د.ت).
68. المحجوبي(عمار) ، ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويدي (146ق.م-235م)، مركز النشر الجامعي ، 2001.
69. محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
70. منير(شفيق)، الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب ، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون ، 2008.
71. مهنتل(جهيدة) ، حاضرة قسنطينة ، دار الهدى ، الجزائر ، 2011.
72. الناصري(سيد أحمد علي)، تاريخ وحضارة الرومان(من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية)، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت).
73. الناصري(رشيد) ، المغرب الكبير ، ج1، دار النهضة العربية ، بيروت، 1981.

ب - المراجع المترجمة للغة العربية:

1. أكصيل(أصطيفان)، تاريخ شمال إفريقيا القديم ، ج4، ج5، ج6، ج7، ج8، تر: محمد التازي سعود، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط، 2007م.

2. إيمار(أندريه) ، جانين أبوايه، تاريخ الحضارات العام ،مج 2، روما وامبراطوريتها، تر: فريد م. داغر، فؤاد .ج. أبو ربحان، ط2، عويدات للنشر . بيروت، باريس، 1986.
3. أورنيك(بايتش)، اللبيون الشرقيون، تر: محمد أومادي، مروة شحاتة، ط1، دار الفرجاني، ليبيا، 2015.
4. برستد(جيمس هنري)، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، تر: حسن كمال، مر: محمد حسنين الغمراوي بك، ط2، مكتبة مديولي ، القاهرة، 1996.
5. بوفيل ، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي بولقمة ، محمد عزيز ، جامعة قاريونس 1988.
6. بورونية الشاذلي، محمد طاهر، قرطاج البونية، مركز النشر الجامعي، مكتبة الاسكندرية، 1999
7. جاردنر(سير الان) ، مصر الفراعنة ، تر: نجيب ميخائيل ابراهيم ، عبد المنعم أبوبكر، الهيئة المصرية للكتاب ، 1973.
8. جوليان(شارل أندري)، تاريخ إفريقيا الشمالية ، تر: محمد مزالي ، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983م.
9. دانيلز(تشارلز)، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، تر: أحمد اليازوري، ط1، دار الفرجاني، ليبيا، 1974.
10. دوكره(فرانسوا) ، قرطاج الحضارة والتاريخ ، ط1، تر: يوسف شلب الشام ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، 1994.
11. ديزانج(جيهان)، البربر الأصليون ، مجموعة مؤلفين ، تاريخ إفريقيا العام ، ج2، اليونيسكو ، 1985.
12. ديوران(وايريل)، قصة الحضارة ، مج1، تر: زكي نجيب محمود ، دار الجيل للطباعة والنشر ، بيروت ، الاليسكو ، تونس .
13. ديوران(وايريل)، قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، مج3، مج1، تر: محمد بدران، دار الجيل للطباعة والنشر ، بيروت جامعة الدول العربية، تونس
14. رستوفتريف ، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي ، ج1، تر: زكي علي ، محمد سليم سالم ، مكتبة النهضة المصرية ، د.ت.
15. روبين دانيال ، أصول التراث المسيحي في شمال إفريقيا، منشورات تامغناست.
16. سن تزو ، فن الحرب ، تر: رؤوف شبايك ، 2007.
17. سنيويوس(شارل)، تاريخ حضارات العالم ، ط1، تر: محمد كرد علي ، العالمية للكتب والنشر ، دار طيبة للطباعة ، مصر 2012.
18. فيفر(فرانسيس)، الفرعون الأخير رمسيس الثالث أو زوال حضارة عريقة . تر: فاطمة البهلول، دار الحصاد .
19. قوتيه(أ.ف.)، ماضي شمال إفريقيا ، تر: هاشم الحسيني ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، 2010.

20. كاستيلان(جورج) ، تاريخ الجيوش ، تر: كمال الدسوقي ، مكتبة الاسكندرية ، مصر .
21. كامبس(قابريل)، في أصول بلاد البربر، ماسينييسا أو بداية التاريخ . تر: محمد العربي عقون ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر .
22. ليدل هارت(ب.هـ.) ، الاستراتيجية وتاريخها في العالم ، تر: الهيثم الأيوبي، ط4، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2000م.
23. مونتنسكيو ، تأملات في تاريخ الرومان ، أسباب النهوض والانحطاط، ط1، تر: عبد الله العروي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، بيروت ، 2011 .
24. ورت(تشارلز)، الامبراطورية الرومانية ، تر: عبده رمزي جرجس، مكتبة الأسرة ، مصر .
25. ورمنتن(ب.هـ.)، تاريخ ولايات شمال إفريقيا الرومانية ، تر: عبد الحفيظ المبار، ط1، 1994.

ت - المراجع باللغة الأجنبية:

1. Ait Amara(Ouiza), **Numides et Maures au Combat états et Armées en Afrique du Nord jusqu'au v époque de JUBA1** , sandhi,2013, Africa antiquita.
2. Ait Amara(Ouiza), **Le Cheval et le Cavalier Numides**, éd: Comité des Travaux Historiques et Scientifique, 2018. WWW.openedition.ogr.
3. Albert (M.Liong), **L'Algérie Ancienne et Moderne**, Romaine Durant 584ans, Le Gouvernement de Gildon, <https://www.algerie-ancienne.com>
4. Armandi(p), **Histoire Militaire des Eléphants**, librairie d'Amyot, londres,Paris,1843.
5. Baradez(Jean), **Fossatum Africae** , center de docimentation historique sur l'Algerie, <http://www.cdha.fr/note-de-lecture-fossatum-africae-de-jean-baradez>
6. Bates(Oric),**The Eastern Libyens**, Macmillan and co, limited ,st, Martin's street, London ,1914.
7. Boissier (Gaston), **Roman Afrique** ,G.Pputnam's sons, New York,London,Paris,1899.
8. Bousquet (Jean), **Cahiers dugroupe deRecherches sur L'Armée et mes Provinces** Pressesde l'école normale supérieure,Paris,1979.

9. Cagnat (M.René), **L'Armée Roman d'Afrique** ,
imprimerie,vational ,Paris.
- 10.Camps (Gabriel), **Monument et Rites Funéraire
Protohistoriques** , arts et métiers graphiques, Paris,2011.
- 11.Camps(Gabriel), **L'Origine des Berbères**, Ed: C.N.R.S, Paris,
1990.
- 12.Chadburn (Cédric), **Les Relation Entre Tribus Berbères et
Autorités Romaines.**:على متوفر
https://www.academia.edu/36999122/Les_relations_entre_les_tribus_berb%C3%A8res_et_les_autorit%C3%A9s_romaines_In_Les_berb%C3%A8res_sous_l'empire_romain
- 13.Chadburn(Cédric), **L'équipement Militaire des Auxiliaires
Africains dans l'Armée Romaine**, 2006.
- 14.Daho (Keltoum Kitoni) et autre, **L'Algérie aux Temps des
Royaumes Numides**, Ministère de la Communication et de la
Culture, Alger, 2003 .
- 15.De la Malle (Dureau), **L'Algérie histoire des guerre des
Romains**, librairie de Firmin Didot frères, Paris. تم الرفع عن طريق حسابي
على موقع <https://www.academia.edu>
- 16.Delamalle (Dureau), **Algérie**, Libraire de Firmin Didot Frères, Paris,
1852.
- 17.Falbe (C.T), J. Chr. Lindberg, L.Muller **Numismatique de
L'Ancienne Afrique**, Les Monnaies de la Numidie et la
Mauritanie, Copenhague, 1862.
- 18.Gsell(Stéphan), **Inscription latines de l'Algerie** ,tome: 01,libraire
ancienne Honoré champion,Paris,1922.
- 19.Gsell(Stephan), **H.A.A.N**, T: 1,4,5,6,7,8, librairie Hachette, Paris,
1927.
- 20.Hadjadji (Houaria KHadra), **Massinissa le Grand Africain**, éd.
Karthala,2013.
- 21.Jermiah(.B.MC.Call). **The cavalry of the Roman republic**,
Routledge, London, New –York.

22. Jérôme (France), **L'Afrique Romaine des Flaviens aux Vandales**, Université Michel de Montaigne-Bordeaux3, tome: 2
23. Julien (Guey), **Note Sur Limes Roman de Numidie et le Sahara au IV siècle**, Mélanges de l'école Française de Rome, vol:56, 1939.
24. Laport (Jean- Pierre), **Les Révoltes dans La Guerre de Firmus en Maurétanie Césarienne (370-375)**, Edition du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques Collection CTHS Histoire, 2014.
25. Laport (Jean- Pierre), **Nobil, Sammac, Firmus et les Autres Une Famille Berbère dans l'Empire Roman**, l'Africa Romana, atti de XIX, Carocci editore, 16-19-12, 2010.
26. Lassere (J.M), « **Barbe** », *Encyclopédie berbère*, N: 9, 1991, 01 décembre 2012, (P,P) (2348, 2360).
27. Lasserre (Guy), **Le Maroc antique**, cahiers d'autre-mer, N:01, 1948.
28. le Bohec (Yann), **La Troisième Légion Auguste**, Centre National De La Recherche, Scientifique, 1989.
29. Leglay (Marcel), **Saturne Africain**, Boccard, Paris, 1966.
30. Louis Lacroix, **Histoire de la Numidie et des Maurétanies**, Alger-Livres edition, 2008.
31. Marcel Benabou, **La résistance africaine à la romanisation**, ed: Maspero, Paris, 1976.
32. March (Katharine), **Julius Caesar**, Future Publishing, 2015.
33. Marciac (Ernest), **Histoire de L'Afrique Septentrionale**, tome:01, Ernest Le Roux éditeur, 1888.
34. Marquardt (Joachim), **Organisation de l'empire Roman**, T:2, Ernest thorne, éditeur, Paris.
35. Mercier (Ernest), **Histoire de l'Afrique Septentrionale (Berberie) depuis les Temps les Plus Reculés jusqu'à la Conquête Française 1830**, T: 1, Ed: Ernest Leroux, Paris, 1888.
36. René (Cagnat), **L'Armée Romaine d'Afrique et l'Occupation Militaire de l'Afrique**, Imprimerie Nationale, Paris, 2013.

37. Sahli (Mohammed cherif), **Le Message de Yougourtha**, Ennahdaha, Alger
38. Saumagne (Charles), **La Numidie et Rome , Massinissa et Jugurtha**, presses universitaires de France, Paris, 1966.
39. Thépenier (E) , **Reflescions et Suppositions au Sujet des Découvertes Faites a la Souma** , Jordan libraire éditeur, Paris ,1916
40. Winterling (Aloys), **Caligula Abiography**, university of Californie press, Los Angeles London.
41. Wroller (Duane) , **The world of Jubal and Kliopatra Selene**, Taylor and Francise –library, 200.

ثالثاً: المقالات

أ- المقالات باللغة العربية:

1. إسعون (رابح)، تاريخ الإقليم الشرقي لموريطانيا القيصرية من خلال بعض الشواهد الأثرية ، مجلة تنوير، الع:6، جامعة الخلفة، 2018.
2. أسهمر (المحفوظ) ، أهمية الفن الصخري في كتابة تاريخ المغرب القديم وحضارته ، مجموعة مؤلفين ، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا وحضارته، ط1، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 2007م.
3. أعشي (مصطفى)، ثورة تاكفاريناس ومجموعة الموسولام نموذج المقاومة ضد الرومان ، الحركة ، الع:3978، أكتوبر 2000، متوفر على الرابط: <http://www.tawalt.com/?p=23776>
4. أعشي (مصطفى) ، العلاقات العسكرية والسياسية بين الموريتانيين والرومان في موريتانيا الطنجية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الع:4،5، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، المغرب ، 1981.
5. أفسباري (اليتور) ، برقة القديمة واقتصادها ، تر: سعاد خليل، مجلة الليبي ، الع:4، مؤسسة الخدمات الإعلامية بمجلس النواب، ليبيا، أبريل 2019م. <http://libyanmagazine.com/>
6. أقوني (الياسمين) ، السياسة الرومانية في الجهة الشمالية الشرقية لموريطانيا القيصرية ، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية ، الع:2، 2015.
7. أنديشة (أحمد) ، الامبراطورية الرومانية والقمح الافريقي ، مجلة البحوث الاكاديمية الليبية ، ليبيا .
8. بشاري (الحبيب) السياسة الأمنية الرومانية في شرق موريطانيا القيصرية ، مجموعة مؤلفين ، بحوث ودراسات في التاريخ والآثار القديمة ، دار أمجد للطباعة ، الجزائر، 2013م.
9. بشاري (محمد الحبيب) ، ثورة جيلدون، بلقاسم رحمان وآخرون، أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016م.

10. بشاري(محمد الحبيب)، أوضاع الامبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن 4م، ثورة جيلدون 397-398م، مجلة الإتحاد العام للآثارين العرب، الع:13، الإتحاد العام للآثارين العرب والمجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية، القاهرة، 2012م.
11. بن بوزيد(لخضر) ، الجمل في ما قبل التاريخ الشمال الإفريقي ، مجلة علوم الإنسان والمجتمع ، الع:6، جامعة بسكرة ، جوان 2013.
12. بن عبد المؤمن(محمد)، الرسومات الجدارية البونية ومعتقد رحلة الروح نحو العالم الآخر ، مجموعة مؤلفين ، بحوث ودراسات في التاريخ والآثار القديمة ، دار أمجد للطباعة، الجزائر، 2013م.
13. بن عطالله(عبد الرحمان)، انتشار الديانة المسيحية في إفريقيا ، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، الع:11، جامعة تبسة.
14. بن علال(رضا)، تقنيات كدن العربات في الرسومات والنقوش الصخرية ، مجموعة مؤلفين ، بحوث ودراسات في التاريخ والآثار القديمة ، دار أمجد للطباعة ، الجزائر، 2013م.
15. بودرقا(الحسن) ، المجال والتاريخ مساهمة في تاريخ شمال إفريقيا القديم ، مجموعة مؤلفين ، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا وحضارته، ط1، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 2007م
16. بورحلي(ابراهيم)، علامات المسح الروماني في شمال تيمقاد، مجلة آثار ، الع: 01، 1998م.
17. البوزيدي(سعيد)، مشروع الرومنة بالمغرب القديم، آليات التنفيذ وأشكال المقاومة، مجلة فكر العلوم الانسانية والاجتماعية، الع:11، المغرب، 2014.
18. بوصبيح(عمر) ، المحاولات الاصلاحية للأخوين جراكوس وانعكاساتها على الأوضاع العامة للجمهورية الرومانية (133-121ق.م)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، العدد 11 ، جامعة الوادي .
19. بوعزم(عبد القادر)، اغتيال الملك بطليموس ونهاية مملكة موريتانيا ، مجلة الحضارة الاسلامية ، الع:17، جامعة وهران، الجزائر.
20. بولخراف(حمادوش)، نوميديا من ماسينيسا إلى يوغرطة ، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ، الع: 30، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2015م.
21. تيكيالين(محمد) ، التواجد الروماني في الصحراء بين الاستراتيجية الدفاعية والمصالح الاقتصادية ، مجلة الواحات ، الع:15، جامعة غرداية، 2011م.
22. جودي(زكرياء)، النوميديون والجروب البونية(264-146ق.م)، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، الع: 2، المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري الجزائري، الجزائر، 2020
23. حارش(محمد الهادي)، ثورة فيرموس 372-375، مجلة الدراسات التاريخية ، الع:7، جامعة الجزائر ، 1993.
24. حسين(محمد عواد) ، الثورة الرومانية ، المرحلة الثانية، مجلة كلية الآداب والتربية ، الع:15، جامعة الكويت ، 1979م.
25. حسين(محمد عواد) ، الثورة الرومانية الصراع بين بومي وقيصر حتى الحرب الأهلية ، مجلة عالم الفكر ، (د.ط.)،

26. حمداوي(جميل) ، من أبطال المقاومة الأمازيغية (جيلدون)، متوفر على: [/http://www.tawalt.com](http://www.tawalt.com)
27. الربيعي(جبار حميدي محيسن)، الرسوم الصخرية لعصور ما قبل التاريخ في ليبيا، اوراق بحثية ، جامعة القادسية.
28. رحمان(بلقاسم) ، روما وسياسة الرومنة في شمال إفريقيا، مجلة البحوث والدراسات، الع:9، الجزائر، يناير 2010م.
29. رمضاني(أم هاني)، الإمبراطورية الرومانية والمسيحية ، مجلة تاريخ المغرب العربي، الع:7، جامعة الجزائر.
30. رمضاني(أم هاني)، أهم المقاومات الوطنية في شمال إفريقيا القديم ، مجلة تاريخ المغرب العربي ، مج2، الع:3، جامعة الجزائر 2.
31. زايد(موسى معمر) ، الاجراءات الاستعمارية الرومانية لإحكام السيطرة على بلاد المغرب القديم ، مجلة العلوم الانسانية والعلمية الاجتماعية ، الع:01، جامعة المرقب، ليبيا، 2016.
32. زموشي(محمد الصالح) ، من ملامح المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الأجنبي بمنطقة متيجة في العصور القديمة ، مجلة متيجة ، الع:3، جامعة البليدة ، 2013.
33. سراج (أحمد)، صورة المرأة في الأسطورة القديمة ، مجلة أمل ، الع:13-14، المغرب ، 1 يونيو 1998.
34. سرحان(أبوبكر)، الطرق ووسائل النقل والحصون الرومانية في المغرب القديم ، مجلة وقائع تاريخية ، مركز البحوث والدراسات التاريخية، الع: 21، جامعة القاهرة ، 2014.
35. سعيدي سليم، الحصان النوميدي من خلال المصادر المادية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، مج:6، الع:3، جامعة الجزائر، 2018م.
36. شارن(شافية) ، أهمية القنطرة الاستراتيجية والاقتصادية في العصر الروماني ، عبد المالك سلاطنية، المصادر التاريخية والأثرية وأهميتها في البحث التاريخي والأثري، ط1، دار الارشاد للنشر والتوزيع، 2013
37. شنيّتي(محمد البشير)، التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية ، مجلة الدراسات التاريخية ، الع: 41، الجزائر.
38. شنيّتي(محمد البشير)، قضية السيادة النوميديّة من خلال المصادر القديمة ، مجلة الدراسات التاريخية ، الع: 5، الجزائر.
39. عبد الحفيظ رباح، الاستيطان اليوليو كلاودي في إفريقيا البروقنصلية(أواخر العهد الجمهوري وبداية الامبراطوري)، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج13، الع:1، جامعة الخلفة، 2021،
40. عرايشي(حميد)، توظيف التاريخ القديم في الخطاب المعاصر وأثر التاريخ المعاصر في مقارنة التاريخ القديم، مجلة البحث التاريخي ، الع: 14، 13، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2017، 2016، ص71.
41. عطا(سمير)، أمازونيا والأمازونات ، مجلة الفيصل ، الع:314، المملكة العربية السعودية ، أكتوبر، نوفمبر، 2002.

42. العقون(أم الخير)، من مصادر تاريخ المغرب القديم ، الرسوم الصخرية والآثار المصرية، كتب كراسك 2016، <https://ouvrages.crasc.dz>.
43. العقون(أم الخير)، نماذج عن تطابق الآثار المصرية الرسوم الصخرية بالصحراء حول تاريخ المغرب القديم ، مجموعة مؤلفين ، بحوث ودراسات في التاريخ والآثار القديمة ، دار أمجد للطباعة، الجزائر، 2013م.
44. عقون(محمد العربي)، الإنقسام والصراع السلطة في إفريقيا الشمالية القديمة ، أزمة وراثته العرش النوميدي 118ق.م ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، الع:15، 2006م.
45. عقون(محمد العربي)، من تداعيات الحرب البونية الأولى على قرطاج ثورة جندها المأجور (241-237ق.م)مجلة العلوم الانسانية ، الع:21 ، جامعة قسنطينة ، جوان 2004.
46. عمران(عبد الحميد)، يوغرطة في حربه ضد روما 112-104ق.م، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية ، الم:7، الع: 13، جامعة المسيلة، 2007م.
47. عمران(عبد الحميد)، مقاومة الاحتلال الروماني ، ثورة فيرموس نموذحاً، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الع:8، 2016.
48. العمري(عبد النور)، الاستراتيجية العسكرية الرومانية وفشلها ببلاد المغرب القديم (146ق.م-439م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ، الع:6، الجزائر، 2015.
49. عناق(جمال) ، الأنظمة والتقنيات المائية في الفترة القديمة بإقليم الزاب وجنوب الأوراس ، مجلة الآثار ، 2018 ،
50. عوادات(حميدة القماطي)، زراعة الزيتون في شمال إفريقيا خلال العهد الروماني ، مجلة العلوم الانسانية والعلمية والاجتماعية ، الع:02، 2016م.
51. عولمي(الربيع) ، التجهيزات العسكرية للقوات المساعدة النوميديّة والموريطانية في الجيش الروماني ، مجلة الحوار الفكري ، الع:11، جامعة أدرار.
52. عولمي(الربيع) ، الجدل الدوناتي الكاثوليكي وانعكاساته على بلاد المغرب القديم ، مجلة الحقيقة، الع:3.4 جامعة أدرار، 2018.
53. عولمي(الربيع)، الصراع الدوناتي الكاثوليكي في المغرب القديم من خلال كتابات القديس أوغسطين، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، الع:5، جامعة الوادي .
54. عيسى(محمد علي)، تبليط شوارع مدينة لبدّة وثورة تاكفاريناس ، جولات في التاريخ الليبي.

[https://historylibya.wordpress.com/2013/10/23/%d8%aa%d8%aa%d9%84%d9%8a%d8%b7-](https://historylibya.wordpress.com/2013/10/23/%d8%aa%d8%aa%d9%84%d9%8a%d8%b7-%d8%b4%d9%88%d8%a7%d8%b1%d8%b9-%d9%85%d8%af%d9%8a%d9%86%d8%a9-%d9%84%d8%a8%d8%af%d8%a9-%d9%88%d8%ab%d9%88%d8%b1%d8%a9-)

[%d8%b4%d9%88%d8%a7%d8%b1%d8%b9-](https://historylibya.wordpress.com/2013/10/23/%d8%aa%d8%aa%d9%84%d9%8a%d8%b7-%d8%b4%d9%88%d8%a7%d8%b1%d8%b9-%d9%85%d8%af%d9%8a%d9%86%d8%a9-%d9%84%d8%a8%d8%af%d8%a9-%d9%88%d8%ab%d9%88%d8%b1%d8%a9-)

[%d9%85%d8%af%d9%8a%d9%86%d8%a9-](https://historylibya.wordpress.com/2013/10/23/%d8%aa%d8%aa%d9%84%d9%8a%d8%b7-%d8%b4%d9%88%d8%a7%d8%b1%d8%b9-%d9%85%d8%af%d9%8a%d9%86%d8%a9-%d9%84%d8%a8%d8%af%d8%a9-%d9%88%d8%ab%d9%88%d8%b1%d8%a9-)

[%d9%84%d8%a8%d8%af%d8%a9-](https://historylibya.wordpress.com/2013/10/23/%d8%aa%d8%aa%d9%84%d9%8a%d8%b7-%d8%b4%d9%88%d8%a7%d8%b1%d8%b9-%d9%85%d8%af%d9%8a%d9%86%d8%a9-%d9%84%d8%a8%d8%af%d8%a9-%d9%88%d8%ab%d9%88%d8%b1%d8%a9-)

[%d9%88%d8%ab%d9%88%d8%b1%d8%a9-](https://historylibya.wordpress.com/2013/10/23/%d8%aa%d8%aa%d9%84%d9%8a%d8%b7-%d8%b4%d9%88%d8%a7%d8%b1%d8%b9-%d9%85%d8%af%d9%8a%d9%86%d8%a9-%d9%84%d8%a8%d8%af%d8%a9-%d9%88%d8%ab%d9%88%d8%b1%d8%a9-)

[%](https://historylibya.wordpress.com/2013/10/23/%d8%aa%d8%aa%d9%84%d9%8a%d8%b7-%d8%b4%d9%88%d8%a7%d8%b1%d8%b9-%d9%85%d8%af%d9%8a%d9%86%d8%a9-%d9%84%d8%a8%d8%af%d8%a9-%d9%88%d8%ab%d9%88%d8%b1%d8%a9-)

[%d8%aa%d8%a7%d9%83%d9%81%d8%a7%d8%b1%d9%8a
/%d9%86](#)

55. العيوض (سيدي محمد) ، موقع بناصا الأثري من الأصول إلى الجلاء الروماني ، مجلة كان التاريخية ، الع: 13 ، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت.
56. غطيس (مصطفى)، المغاربة والبحر خلال العصور القديمة، مجلة كان التاريخية، الع: 12، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، 12 يوليو 2011.
57. الفاخري (مبروكة محمد سعيد)، الليبيون في الجيش الفرعوني والبطلمي والقرطاجي ، مجلة كلية الآداب ، الع: 52، ج2، دار رؤية للطباعة والدعاية والاعلان ، ليبيا ، 2018.
58. فنطر (محمد حسين)، اسلافنا اللوبيين ، مجموعة مؤلفين ، تونس عبر العصور ، ج1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2007م.
59. قراقب (عبد الرزاق)، العصور الحجرية، مجموعة مؤرخين، تونس عبر التاريخ، ج1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس، 2007 م .
60. قلاله (نبيل)، المتوسط الغربي رهان الصراع القرطاجي الروماني (241-146 ق.م)، مجموعة مؤلفين ، تونس عبر العصور، ج1، مركز الدراسات التاريخية والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2007.
61. لاروند ، التنمية الزراعية في ليبيا في عهد الرومان وتأثيرها على الاقتصاد الليبي-الروماني قبل الفتح الاسلامي، مجموعة مؤرخين ، تاريخ إفريقيا العام دراسات ووثائق، تقرير ندوة نظمتها اليونيسكو ، باريس، المطبعة الكاثوليكية ، لبنان ، 18/1/1984.
62. البار (محمد البار)، مواقع بعض محطات المحاور الطرقية بين الموريطانياتين الطنجية والقيصرية ، مجموعة مؤلفين ، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا وحضارته، ط01، مكتبة درا السلام، المغرب، 2007.
63. لعياضي حفيظة، تقديس الجبل في بلاد المغرب القديم، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج: 16، الع: 4، ديسمبر 2020.
64. أبو ميس (أنيس) وآخرون ، تحت الأرض أسرار وخفايا ، مجلة تاريخ ليبيا، يناير ، 2016، متوفر على : WWW.HISTORY.LY
65. المسلمي (عبد الله حسن)، العلاقات الليبية -البربرية مع مصر القديمة التحنو في المصادر المصرية ، مجموعة مؤرخين ، تاريخ إفريقيا العام دراسات ووثائق ، تقرير ندوة نظمتها اليونيسكو ، باريس ، ، المطبعة الكاثوليكية ، لبنان ، 18/1/1984.
66. مشارك (أحمد)، إفريقيا من الاحتلال إلى الرومنة ، مجموعة مؤلفين ، تونس عبر العصور ، ج1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس ، 2007م.
67. مضوي (خالدية)، أضواء على العلاقات التجارية الأورو متوسطية خلال النصف الأول من القرن الثاني ق.م (قسنطينة وضواحيها نموذجاً)، مجلة كان التاريخية ، الع: 13، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، 2011.

68. مغازي(نوال) ، في تطور العلاقات السلمية بين قرطاجنة والليبيين خلال الفترة 480-146ق.م ، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ، المجلد:3، العدد:5، الجزائر ، 2015م.
- 69.مقدم(نبت النبي) ، المنجزات العسكرية بالجزائر القديمة ، مجلة أفكار وآفاق، العدد:02، جامعة الجزائر ، 2017، 2.
- 70.مقدم(نبت النبي)، المظاهر الاجتماعية للأسرة ببلاد المغرب القديم خلال العهد القرطاجي، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد:20، العدد:1، جامعة الجزائر، 2019م.
- 71.مناصر(كريم) ، بنايات نشاطات الترفيه والتسلية الرومانية في مدينة القيصرية ، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية ، العدد: 03، جوان 2015.
- 72.مناصر(كريم)، الفرسان النوميديون، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مجلد:3، العدد:1، الجزائر، جانفي 2021.
- 73.منصوري(خديجة)، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال الآثار المادية والمصادر الأدبية ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد:25، 2008م.
- 74.منصوري(خديجة)، الصراع الدوناتي الكاثوليكي ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، مجلد:17، العدد:2 ، جامعة قسنطينة .
- 75.منصوري(خديجة)، ثورة ايدمون واضطرابات القرن الأول بموريطانيا القيصرية ، مجلة دراسات تاريخية ، المجلد:8، العدد:12، جامعة الجزائر ، 2000م.
- 76.مهنتل(جهيدة) ، ماسينيسا حلف روما والمحافظ الوفي للثقافة البونية ، ليبيا، العدد: 02، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ ، قسنطينة، الجزائر، 2017م.
- 77.مهنتل(جهيدة)، الأصل المحلي لأسماء المدن الجزائرية القديمة ، حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد: 09، جامعة الجزائر .
- 78.ميلر(مارك) ، من إكتشافات كهف هوافطيح ، تر: انس أبو ميس، مجلة تاريخ ليبيا، ليبيا، يناير 2016.
- 79.نشنتش (حميدة)، سياسة روما الدينية في المغرب القديم قبل ظهور المسيحية وموقف الأهالي منها ، مجلة الباحث ، العدد:15، الجزائر، 2020م.
- 80.نصرات(عادل مصباح) ، ثورة جند قرطاجنة المأجورين ، الأسباب والنتائج (241ق.م-237ق.م)، مجلة جامعة الزيتونة، العدد:21، تونس، 2017م.
- 81.الهادي(هدى الطاهر)، المقاومة الليبية للوجود الروماني منذ العام 19م إلى 429م، مجلة كلية الآداب ، العدد:23، ج:2، ليبيا، 2017.
- 82.هسوف(عبد الحفيظ) ، تاريخ الليبيين المنسي سبتموس سيفيروس، متوفر على الرابط:
WWW.TAWALT.COM
- 83.وارمنجتون(ب.ه)، العصر القرطاجي ، مجموعة مؤلفين ، تاريخ إفريقيا العام ، مجلد:2، اليونيسكو باريس، 1980.

84. يفصح(نادية)، سياسة الاستيطان الروماني ببلاد المغرب القديم (أواخر العهد الجمهوري - أوائل العهد الامبراطوري)، مجلة التاريخ المتوسطي، المجلد:3، العدد:1، جامعة بجاية، الجزائر، جوان 2021.

ب- المقالات باللغة الأجنبية:

1. Ait Amara (Ouiza), **Le Role de Massinissa dans la Deuxiem Guerre Punique**, Libyca, N:2, C.N.R.P.A.H, Constantine, 2017.
2. Ait Amara(Ouiza), , **Les Numidies et les Maures Possédaient-ils Une Flotte de Guerre** , Aquila Légions, N: 10, Espagne, 2008.
3. Ait Amara(Ouiza), **Jugurtha et la Conquête de Pouvoir en Numidie**, Ikosim, N: 08, A.A.S.P.P.A, Alger, 2019.
4. Ait Amara(Ouiza), **La logistique de l'armée numide jusqu'à la mort de Juba Ier**, Rivista di Studi Militari , N°: 3, Italia,2014.
5. Ait Amara (Ouiza), **Les Guerriers de Jugurtha dans le Bellum Jugurthinum**, Vita Latina, N° :197, anno: MMXVIII, Italia.
6. Ben Abou(Mercel), **Proconsulet Legat en Afrique le témoignage de Tacite** , Antiquites Africaines, tome:6, 1972.
7. Bertrandy (Francois), **Apropos du Cavlier de Simitthus (Chemtou)**, Anti.Afri, N:22,19986,
8. Bonnell,**Monument Greco-Punique de la Souma**, Recueil des Notices Et Mémoires dela Société Archéologique du Departement de Constantiné, Vol: 6, Jourdan, Libraire-editeur , René Roger,Librairie Africaine et Coloniale, Alger,Paris,1916.
9. Camps (Gabriel), **Arabion**, Encyclopidie Berbère, N:6, Aix-en-Provence, 1989.
- 10.Camps(G), **Firmus**, Encyclopedie Berbere, Vol:19, Eilage-Gastel, Aix-en-provence, edisud, 1940, <https://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/194>
- 11.Camps(Gabriel) , Chaker(S), **Jugurtha**, Encyclopédia Berbère, N°:18, juin 2011.

12. Charles (Saumagne), **Le Champ de Bataille de Muthul**, Rev.Tun, N^o :1, société anonyme de l'imprimerie rapide de Tunis, Tunis, 1930.
13. Demougeot (Emilienne), **Le Chameau et l'Afrique du nord romaine**, Annales, Economies, Sociétés, Civilisation, N:2, Année:15, 1960, p217
14. Deneave (Jean), Françoise Villedieu , **Le Cardo maxilus et les édifices situés à l'est de la voie** , Anti. Afri , tome: 11, 1977.
15. De Verneui (B)t et J. Bugnot , **Esquisses historiques sur la Mauritanie césarienne** , Riv. Afri, Vol:14, 1870.
16. Dussaud (René), Baradez (Jean), **Fossatum Africae**, Syria Archéologie , Art et Histoire, Tome:27, 1950, (p-p)(359-361).
https://www.persee.fr/doc/syria_0039-7946_1950_num_27_3_4598_t1_0359_0000_3
17. Fabrer (H. Camps), **Ivoire**, encyclopédie berbère, N^o:25, 2011, Aix-en-Provenc.
<http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/1456>
18. Ferchiou (N), **Fossa Régia**, Encyclopédie Berbère, N:19, 1998.
19. Frédéric (M. La croix), **Afrique Ancienne** , Riv. Afri, vol:14; 1870.
20. Gabriel (Camps), **Les Chars Sahariens**, Images d'une Société Aristocratique, Anti. Afri, N:25, 1989.
21. Géograp (Hans), Flaum, **Castillum Dimidi**, Journal des savants, 1949.
22. Gilbert (Picard), **Images de Chars Romains sur les rochers du Sahara** , comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et Belles -lettres, N^o :1, année 102, 1958.
23. Gsell (Stéphane), **Juba II savant et écrivain**, Riv. Afri, Vol: 68, A. Jourdan Libraire-Editeur, A Rnolet, Challamel AÎNÉ, Paris, 1927.

24. Gsell(Stéphane), Graillot(H), **Exploration Archéologique dans le Constantin–Ruines Romain A Nord des Monts de Batna**, Mélanges de l'école Française de Rome, N°:14, 1894.
25. Hammond(Mason), **Trajan roman emperor**, encyclopedia britannica. WWW.britanica.com.
26. Joshua J. Mark), **Ancient history** Encyclopedia, 2.9.2009 <https://www.ancient.eu/user/JPryst/>
27. Lacroix(f), **Afrique Ancienne** ,Riv. Afri, T:13,1869.
28. Lacroix(M. Frédéric), **Afrique Ancienne**, Riv .Afri, T:14, 1870.
29. Lancel(S), **Circoncillions**, Encyclopédia Berbère, N°:13, 1994,p2
30. LeBohec(Birly), Christime Hamdoun, **Les Auxilia esterna Africains des Armées Romaines III siècle J.C, IV siècle**, L'Antiquité classique, T:70,2001.
31. LeBohec(Yann), **Timgad, la Numidie et l'Armée** , Bulletin Archéologique, Vol:15,16,C.T.H.S,1984.
32. Louis(Rinn) , **La Guerre de Jugurtha**, Riv. Afri, tome: 29, 1885.
33. Moinier(Colonel), **Compagne de J.César en Afrique**, Riv. Afri, vol: 46, 1902.
34. Odette(Vannier), **Les Circoncillions et leur Rapportes avec l'église Donatiste d'après le Texte d' Optat**, Riv. Afri, N°:67, 1926 .
35. Paul Monceaux, Les premiers Temps du Donatisme et La question des deuws Donat, Comptes rendus des sé ances de l'Académie des Inscritons et Belles–Lettres, 60^e année, N. 1, 1916.

36. Payre (Monique Dondin), **Recherches sur un aspect de la Romanisation de l'Afrique du Nord l'expansion de la citoyenneté Romane jusqu'a Hadrien**, Anti-Afri, N:17, 1981.
37. Philippe (Leveau), **La Situation Coloniale de l'Afrique Romane**, Annales ,Economies, Societes, Civilisations, Tome: 33, N°:1, 1978, p90.
38. Portier (Bruno), **Les Circoncellions un Mouvement Ascétique Itinérant dans l'Afrique du Nord des IVetV Siecle**, Antiquites Africaines, tome: 44, C .N. R. S , paris, 2010.
39. Prtit (Paul) , Jacques Gascou, **La politique municipale de empire roman en Afrique proconsulaire de Trajan à Septime-Sévère** ,Antiquite classique ,tome:42,1973.
40. Troussel (Pol), **Nouvelles observations sur la centuriation romane à l'est d'Eljem** , Anti. Afri, tome:11,1977.
41. Vannesse (Michael), **L'Armée Romane en Occidentsous Stilichon(395-408)**, Revue Belge de Philologie et d'Histoire, N°:88, 2010.
42. Yves (Modéran), **Gildon, Les Maures et l'Afrique**, Melanges de l'ecole Francaise de Rome , Antiquite, tome:101, N°: 2, 1989.

رابعاً: أعمال الندوات والمؤتمرات العلمية:

1. أكير (محمد)، مقاومة الرومنة، المصطلحات والمفاهيم، أعمال الندوة الأولى حول المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2005م.
2. حاجي (ياسين رابح) ، الخريطة الأثرية لمقاطعة نوميديا في الفترة المسيحية ، مؤتمر الأوراس عبر التاريخ، المتحف العمومي بخنشلة، 18، 19 فيفري 2013م.
3. حسني (عبيد) ، مسير الخندق الملكي بحوض سليانة، اعمال الندوة الوطنية للتاريخ العسكري حول التخوم بالبلاد التونسية عبر العصور، 3،4، جوان 2014م، وزارة الدفاع الوطني، تونس، 2016م.

4. فدادي (إبراهيم) ، مقاومة تاكفاريناس الأمازيغي من خلال كتاب تاكيتوس الروماني، أعمال الندوة الأولى حول المقاومة المغربية غير التاريخ أو مغرب المقاومات، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2005م.
5. فنطر(محمد حسين)، صغينية ، مؤتمر المرأة في الوطن العربي عبر العصور، الأكاديمية الدولية للعالمية والتحكيم ، تونس ، 2017.
6. فوكة (محمد)، تأثير قبائل منطقتي الشلف والونشريس في السياسة العسكرية الرومانية، المؤتمر الوطني لشهر التراث، من تاريخ وتراث منطقة الونشريس، منشورات دار الثقافة لولاية تيسمسيلت، أبحاث للطباعة والنشر والتوزيع، 2013.
7. مسرحي (جمال)، التواصل الموزيلامي - الموري من خلال ثورتي تاكفاريناس وإيدمون ضد الاحتلال الروماني، المؤتمر الوطني لشهر التراث ، من تاريخ وتراث منطقة الونشريس، منشورات دار الثقافة لولاية تيسمسيلت، أبحاث للطباعة والنشر والتوزيع، 2013.
8. عنان(سليم)، مقاومة جيلدون أهم ملوك تامازغا، الملتقى الوطني حول المقاومة الجزائرية عبر العصور، المتحف العمومي الوطني، سطيف، يومي 11 و12 ديسمبر 2012.

خامساً: الأطالس والموسوعات والمعاجم والقواميس:

1. الإدارة العامة للتهيئة الترابية، أطلس ولاية سليانة، تونس 2013.
2. عبد الرحمان (أسعد) وآخرون، الموسوعة الفلسطينية، متاح على الرابط:
<https://www.palestinapedia.net/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9/%84%D9%88%D9%82%D9%8A%D9%88%D9%86>
3. حسن(سليم)، موسوعة مصر القديمة ، ج7، مؤسسة هندأوي، مصر، 2017.
4. عبد المسيح(عادل فرج)، موسوعة آباء الكنيسة ، ج2، دار الثقافة ، القاهرة،(د.ت).
5. المحجوب(عبد المنعم) ، معجم تانيت ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1971.
6. محمد (مقدون)، على (واحدي)، ايدمون، معلمة المغرب، المحج: 3، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1989، 1410، الرباط.
7. مفهوم الاستراتيجية، الموسوعة السياسية، متوفر على: <https://political-encyclopedia.org/dictionary/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%8%D9%85%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%A9>
8. الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية ، 19-08-2019، متوفرة على الرابط <https://www.politics-dz.com>
9. معجم المعاني متوفر على: <https://www.almaany.com>

10. وهيب (أبي فاضل)، موسوعة عالم التاريخ والحضارة، ج2، ط2، نوبليس، 2005م.
11. Badel (Christophe), **Atlas de l'empire roman**, Autrement édition.
12. Gsell (Stéphane), **Atlas Archéologique de L'Algérie**, Adolphe Jordan, Alger, Fontemiong &C, Paris.

سابعاً: الرسائل الجامعية:

1. بشاري (الحبيب)، دور المقاطعات الإفريقية في اقتصاد روما، دكتوراه قدم، إشراف: محمد البشير شنيقي، جامعة الجزائر، 2007، 2006م.
2. حارش (محمد الهادي)، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش حتى وفاة يوبا الأول، ماجستير قدم، إشراف: مصطفى الألفي، جامعة الجزائر، 1985م.
3. دردار (فتحي)، الثورات النوميديّة في مواجهة التدخل الروماني (111-46 ق.م)، ماجستير قدم، إشراف: ويزة ايت عمارة، جامعة الجزائر 2، (2014-2015م).
4. شارن (شافية)، النشاط التجاري في نوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني، دكتوراه قدم، إشراف: محمد البشير شنيقي، جامعة الجزائر، 2001-200م.
5. العمر (بديع)، الجيش الروماني البري في الفترة الامبراطورية، ماجستير تاريخ قدم، إشراف: عبد المجيد حمدان، جامعة دمشق، 2010.
6. عمران (نورة)، رجال المال والأعمال الأجانب في المقاطعات الإفريقية الرومانية (146 ق.م-285م)، إشراف: شافية شارن، ماجستير قدم، جامعة الجزائر 2، 2009، 2010م.
7. اللاتي (محمد سلام)، اصلاحات ديوكليتيانوس وآثارها السلبية والايجابية على الإمبراطورية الرومانية فيما بين 284، 305م، ماجستير قدم، إشراف: محمد علي عيسى، جامعة المرقب، ليبيا، 2007م.
8. مسرحي (جمال)، المقاومة النوميديّة للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري، ماجستير قدم، إشراف: محمد الصغير غاتم، جامعة قسنطينة، 2009، 2008م.

سادساً: المواقع الإلكترونية:

1. http://encyclopedie-afn.org/Plan_Lamb%C3%A8se_-_VilleM

2. http://www.eternalegypt.org/EternalEgyptWebsiteWeb/HomeServlet?ee_website_action_key=action.display.element&story_id=9&module_id=74&language_id=3&element_id=60627&ee_messages=0001.flashrequired.text
3. http://www.inp.rnrt.tn/index.php?option=com_content&view=article&id=113&Itemid
4. http://www.inp.rnrt.tn/index.php?option=com_content&view=article&id=43&Itemid
5. <http://www.musee-cherchell.dz/Arabe/JubaII.html>
6. <https://www.convertworld.com/ar/volume/bushel.html>
7. <https://www.facebook.com/museumofhippo/videos/663967041034680/>
8. <https://www.google.com/maps/@36.8819033,7.7519867,3a,90y,168.65h,74.94t/data=!3m7!1e1!3m5!1sAF1QipPa7dLWgpNMHirWngU6VcAgW03U5I8l77T9Rv3y!2e10!3e12!7i5376!8i2688>
9. <https://www.marefa.org>
10. <https://www.ultrasawt.com>
11. <https://www.wikiwand.com/ar/>
12. المعهد الوطني للتراث ، تونس
13. المكتبة الالكترونية " الجزائر القديمة " [/https://www.algerie-ancienne.com](https://www.algerie-ancienne.com)
14. المكتبة الالكترونية برسي: [/https://www.persee.fr](https://www.persee.fr)
15. المنصة الالكترونية للمجلات العلمية الجزائرية: [. https://www.asjp.cerist.dz/en](https://www.asjp.cerist.dz/en)
16. موقع مؤسسة تاوالت الثقافية: [/http://www.tawalt.com](http://www.tawalt.com)
17. وزارة الدفاع الوطني، استراتيجية جنبل في جيشه ، وزارة الدفاع الوطني، تونس ، متوفر على : <http://www.hmp.defense.tn>
18. وزارة الدفاع الوطني، الجيش القرطاجي ، موقع وزارة الدفاع الوطني ، تونس ، متوفر على : <http://www.hmp.defense.tn/index.php/ar/2013-09-05-14-08-14/2013-09-05-14-08-31/2013-09-05-14-08-45>

الفهارس

أولاً : فهرس الأعلام

ثانياً: فهرس الأماكن والبلدان

ثالثاً: فهرس القبائل والشعوب

رابعاً: فهرس الخرائط

خامساً: فهرس المخططات

سادساً: فهرس الجداول

سابعاً: فهرس الأشكال

ثامناً: فهرس المحتويات

أولاً: فهرس الأعلام

أ

- آرابيون، - 22 -، - 23 - آرابيون، - 174 -، - 177 -، - 178 -، - 179 -، - 201 - 240 -، - 247 -،
- 273 -
أزريعل، - 15 -
أغسطس، - 23 -، - 25 -، - 28 -، - 44 -، - 49 -، - 68 -
أوكثافيوس، - 24 -، - 25 -، - 29 -، - 37 -، - 44 - 196 -، - 216 -، - 218 -، - 220 - 101 -
- 174 -، - 177 -، - 179 -
إيدمون، - 26 - ايدمون، - 191 -، - 192 -، - 193 -، - 195 -
أبيان، - 97 -، - 146 -
أغاثوكليس، - 88 -، - 91 -، - 144 -
أم الخير العقون، - 73 -، - 75 -، - 79 -، - 108 -، - 118 -، - 119 -، - 120 -، - 133 -، - 137 -
-، - 142 -
أمنحاتب الرابع، - 133 -
أمون، - 78 -، - 86 -، - 89 -
أنتيوب، - 84 -
أنتيوشوس، - 138 -
أورتيي، - 83 -
أوبي، - 76 -
ايلماس، - 88 -، - 91 -
أبرونيوس، - 190 -
أبرونيوس كايسيانوس، - 190 -
أتيوس، - 171 -
أذريعل، - 156 -، - 157 -، - 200 -
أركاديوس، - 202 -، - 203 -، - 204 -
ألبيوس، - 181 -
الحبيب بشاري، - 202 -، - 203 -، - 207 -
أنطونيوس، - 174 -، - 177 -، - 179 -، - 210 -
اوبيميوس، - 156 -، - 157 -

- أوتوب، - 203 -
 أولوس، - 181 -، - 182 -
 أبرونيوس، - 190 -
 أبرونيوس كاسيانوس، - 190 -
 أتيوس، - 171 -
 أذريعل، - 156 -، - 157 -، - 200 -
 ألبينوس، - 181 -
 أنطونيوس، - 174 -، - 177 -، - 179 -، - 210 -
 اوبيميوس، - 156 -، - 157 -
 أوتوب، - 203 -
 أوغسطين، أوغسطينيوس، - 275 -، - 272 -، - 196 -، - 216 -، - 218 -، - 220 -
 أولوس، - 181 -، - 182 -
 ايدمون، - 191 -، - 192 -، - 193 -، - 195 -
 كاتون، - 236 -
 آتيوس فاروس، - 246 -
 أذريعل، - 231 -
 أغسطس، - 242 -، - 243 -، - 244 -، - 245 -، - 246 -، - 247 -، - 248 -، - 250 -، - 251 -
 -، - 253 -، - 255 -، - 259 -
 أوبتا التاموقادي، - 272 -
 أوبتا الميلبي، - 275 -
 إيدمون، - 262 -، - 263 -، - 264 -

ب

- بطليموس، - 25 -، - 26 -، - 29 -، - 30 -، - 61 -، - 188 -، - 19 -، - 236 -، - 256 -، - 258 -، - 259 -
 بوغود، - 24 -، - 26 -
 بوكوس، - 21 -، - 24 -، - 60 -
 بومي، بومبيوس، - 166 -، - 167 -، - 168 -، - 172 -، - 178 -
 - 20 -، - 21 -، - 36 -
 برستد، - 78 -
 بطليموس بن لاجوس، - 80 -

- بوستار، - 89 -
 بوليب، - 88 -، - 91 -، - 93 -، - 138 -
 بومبيوس، - 103 -
 بويوواوا، - 80 -
 بيبي الأول، - 75 -
 بيتس، - 75 -، - 141 -
 برييتوا، - 214 -
 بطليموس أبيون، - 236 -
 بلوتارك، - 229 -
 بليني، - 245 -، - 246 -، - 247 -، - 249 -، - 250 -
 بوغود، - 101 -، - 248 -، - 249 -، - 253 -
 بوكوس، - 225 -، - 226 -، - 228 -، - 229 -، - 231 -، - 235 -، - 240 -، - 248 -، - 253 -
 بولبيوس سولبيكوس، - 235 -
 بومي، - 237 -، - 240 -، - 242 -، - 246 -
 بلوتارك، - 160 -، - 165 -
 بوخوس، - 160 -، - 172 -، - 177 -
 بوغود، - 165 -
 بوكوس الأول، - 187 -
 بولوس، - 216 -، - 218 -
 بوميلكار، - 159 -
 ريتتوا، - 214 -

ت

- تاكفاريناس، - 2 -، - 188 -، - 189 -، - 190 -، - 191 -، - 195 -، - 255 -، - 256 -، - 257 -،
 - 258 -، - 259 -، - 261 -، - 262 -، - 263 -
 تاكيتوس، - 189 -، - 190 -، - 195 -، - 255 -، - 256 -، - 259 -
 تيربوس، - 190 -، - 246 -، - 250 -، - 255 -، - 257 -، - 259 -
 تيودوز، - 162 -، - 163 -، - 202 -، - 203 -، - 270 -، - 271 -
 ترتليانوس، - 210 -، - 211 -، - 214 -
 تراجان، - 37 -، - 44 -، - 49 -، - 52 -

ث

ثيودوز، - 270 -، - 271 -

ج

جيلدون، - 162 -، - 197 -، - 198 -، - 200 -، - 202 -، - 203 -، - 204 -، - 205 -،
- 207 -، - 270 -، - 271 -، - 272 -، - 273 -، - 274 -، - 275 -، - 276 -، - 197 -،
- 198 -، - 200 -، - 202 -، - 203 -، - 204 -، - 205 -، - 207 -

جيليوس أسبير، - 213 -

جيهان داينج، - 119 -

جايوس بايبيوس، - 158 -

ح

حانون، - 84 -

حنبل، - 89 -، - 90 -، - 96 -، - 97 -، - 120 -، - 141 -، - 146 -، - 151 -، - 236 -

د

دوكريه، - 92 -

ديودور الصقلي، - 82 -، - 83 -، - 88 -، - 91 -، - 119 -، - 131 -، - 144 -

دقلديانوس، دقلديانوس، - 210 -، - 215 -

دوميتوس، - 166 -

دوناتوس، - 195 -، - 217 -، - 218 -، - 219 -

ديكريوس، - 189 -، - 210 -، - 215 -

دوميتوس، - 166 -

دوناتوس، - 195 -، - 217 -، - 218 -، - 219 -

ر

روبيليوس بلاندوس، - 259 -، - 260 -

رمسيس الثالث، - 79 -

رمسيس الثاني، - 76 -

روغولوس، - 90 -

- روماتوس، - 150
- ريلوس، - 170
- روتيلوس، - 183

س

- ساپورا، - 170 -، - 171 -، - 173 -، - 188
- سالوستيوس، - 98 -، - 106 -، - 116 -، - 118 -، - 159 -، - 160 -، - 172 -، - 181 -، - 182
- 182 -، - 183 -، - 187 -، - 200
- ستيلكون، - 203 -، - 207 -، - 273
- سكاوروس، - 158
- سكتيوس، - 174 -، - 177 -، - 178 -، - 179 -، - 201
- سكيبيو، - 171 -، - 172 -، - 173 -، - 174
- سماك، - 161 -، - 163
- سويتونيوس باوليتوس، - 192
- سيتيوس، - 172 -، - 174 -، - 177
- سيرليوس، - 160
- سيلا، - 160 -، - 165 -، - 166 -، - 187
- سيماك، - 203
- سكتيوس، - 273
- سكيبيو الاميلي، - 18 -، - 238
- سويتون، - 243
- سيتيوس، - 240 -، - 242 -، - 247
- سيلا، - 225 -، - 226 -، - 228 -، - 232 -، - 234 -، - 235 -، - 243
- سترايون، - 94 -، - 96 -، - 109 -، - 114 -، - 116 -، - 125 -، - 131
- سنيوبوس شارل، - 87 -، - 90
- سيفاكس، - 88 -، - 94 -، - 98 -، - 110 -، - 124
- سبتموس سيفيروس، - 53 -، - 63
- سترايون، - 23

ش

- شنيطي، - 21 -، - 27 -، - 31 -، - 32 -، - 33 -، - 35 -، - 37 -، - 43 -، - 47 -، - 53 -، - 54
- 54 -، - 55 -، - 56 -، - 57 -، - 63
- شيشرون، - 101

- شيشنق، - 80 - ، - 110 -
 شيبون الإفريقي، - 194 -
 شيشرون، - 160 -

ص

- صدرعل، - 93 -
 شيبون الإفريقي، - 194 -
 شيشرون، - 160 -
 صالايوس، - 192 -
 صفونيزب، - 194 -

غ

- غايا، - 88 - ، - 137 -
 غزال، - 97 - ، - 98 - ، - 192 - ، - 194 - ، - 198 - ، - 109 - ، - 125 - ، - 144 - ، - 228 - ،
 - 231 - ، - 244 - ، - 247 -
 غودا، - 231 -
 غايوس جراكوس، - 31 - ، - 35 -
 غلوسة، - 158 -

ف

- فارون، - 129 -
 فتحة فرحاتي، - 137 -
 فرانسيس فيفر، - 76 - ، - 79 - ، - 116 -
 فرميناء، - 94 -
 فيليب، - 138 -
 فاروس، - 170 - ، - 171 -
 فاليريان، - 214 -
 فاليريوس فستوس، - 194 -
 فريوس كاميلوس، - 188 -
 فسباسيان، - 194 -
 فاروس، - 170 - ، - 171 -

فيرموس، - 161 -، - 162 -، - 163 -، - 193 -، - 197 -، - 198 -، - 202 -، - 203 -، - 205 -
 -، - 221 -، - 269 -، - 270 -، - 271 -، - 272 -، - 273 -، - 274 -، - 276 -
 فنطر، - 225 -، - 226 -، - 229 -

ق

قيصر(يوليوس قيصر)، - 20 -، - 21 -، - 22 -، - 24 -، - 26 -، - 29 -، - 31 -، - 37 -، - 38 -،
 -، - 44 -، - 47 -، - 59 -، - 60 -، - 68 -، - 101 -، - 147 -، - 148 -، - 150 -، - 161 -،
 - 167 -، - 168 -، - 171 -، - 172 -، - 173 -، - 174 -، - 177 -، - 178 -، - 179 -،
 - 194 -، - 201 -
 قسطنطين، - 38 -
 قيريانوس، - 214 -
 قسطنطين، - 210 -، - 217 -، - 218 -

ك

كاتو، - 16 -
 كاليجولا، - 25 -، - 26 -، - 28 -، - 43 -
 كركلا، - 63 -
 كاباون، - 151 -
 كامبس، - 101 -، - 116 -، - 131 -
 كيريا، - 86 -
 كابورنيوس بستيا، - 201 -
 كاسيليانوس، - 216 -، - 217 -
 كاسيوس، - 172 -
 كاميلوس، - 189 -
 كلاوزيفتزر، - 155 -
 كلبورونيوس بيستيا، - 158 -
 كلوديان، - 207 -
 كورنفيكيوس، - 201 -
 كورنفيكيوس، - 174 -، - 177 -، - 178 -، - 201 -
 كوريو، - 170 -، - 171 -، - 174 -، - 188 -، - 194 -، - 201 -

ل

- لسليوس ايطاليكوس، - 133
- لوسيو كيتوس، - 141 - لبيدوس، - 177
- لوكيانوس، - 214
- ليدل هارت، - 155
- ليليوس، - 178 -، - 201
- لبيدوس، - 177
- لوسيلا، - 216
- لوكيانوس، - 214
- ليدل هارت، - 155

م

- مارسال بن عبو، - 58
- ماريوس، - 20 -، - 21
- ماسينيسا، - 17 -، - 18 -، - 21 -، - 24 -، - 30 -، - 35 -، - 36 -، - 89 -، - 90 -، - 93 -، - 95 -، - 97 -، - 99 -، - 101 -، - 105 -، - 116 -، - 122 -، - 138 -، - 139 -، - 141 -، - 148 -، - 150 -، - 232 -، - 231 -، - 232 -، - 240 -
- ماجورينوس، - 216 -، - 217
- ماريوس، - 165 -، - 187
- مازيبا، - 188 -، - 189 -، - 195
- ماسيفاء، - 158 -، - 180
- ماسينتا، - 161 -، - 168
- ماكارينوس، - 220
- ماكزيل، - 163
- ماكسيموس، - 202
- ماكسيميانوس، - 219
- مكيبسا، - 156 -، - 157 -، - 159 -، - 240 -، - 231
- مولنكة، - 155

- ميتيلوس، - 159 -
 ماجنيوس ماكسيموس، - 272 -
 ماركوس بتيوريوس، - 237 -
 ماريوس، - 225 -، - 226 -، - 228 -، - 229 -، - 231 -، - 232 -، - 233 -، - 234 -، - 235 -
 -
 ماكزيل، - 273 -، - 274 -
 ميتلوس، - 231 -، - 233 -، - 234 -
 مثيردات، - 235 -

ن

- نوبيل، - 161 -، - 162 -، - 202 -

هـ

- هالريانوس، - 213 -
 هوزيديوس جيتا، - 192 -
 مسطنبعل، - 17 -، - 139 -
 مكيسا، - 18 -، - 95 -، - 99 -، - 122 -
 مومسن، - 44 -
 مونيك دوندين باير، - 58 -
 ماتوس، - 91 -، - 92 -
 مارييسيا، - 82 -
 مرنتاح، - 73 -، - 76 -، - 118 -، - 137 -
 مري رع، - 76 -
 مربي بن دد، - 73 -، - 75 -، - 110 -، - 118 -
 منيرفا، - 114 -
 مورينا، - 82 -، - 83 -، - 84 -
 ميزاجين، - 138 -
 هادريان، - 120 -، - 44 -
 هيلكار، - 15 -، - 89 -
 هيمصال، - 18 -، - 99 -
 هسدروبال، - 133 -

هملكار، - 93 -

هيرودوت، - 109 -، - 114 -، - 120 -، - 124 -، - 125 -، - 129 -، - 137 -، - 142 -، - 144 -،
- 151 -، -

هلاريانوس، - 213 -

هوزيديوس جيتا، - 192 -

هونوريوس، - 202 -، - 203 -، - 204 -، - 207 -، - 220 -

هيرباص، - 165 -، - 166 -، - 177 -، - 179 -

هيمصال، - 156 -، - 157 -، - 160 -، - 161 -، - 165 -، - 166 -

هيمصال الثاني، - 166 -

و

ول ديوراننت، - 211 -

ي

يوبيا الأول، - 160 -، - 161 -، - 166 -، - 167 -، - 168 -، - 170 -، - 171 -، - 172 -، - 173 -،
- 174 -، - 188 -، - 194 -، - 201 -، - 203 -، - 236 -، - 237 -، - 238 -، - 240 -، - 242 -،
- 246 -، - 248 -

يوبيا الثاني، - 188 -، - 189 -، - 191 -، - 256 -، - 258 -، - 259 -، - 263 -

يوغرطة، - 156 -، - 157 -، - 158 -، - 159 -، - 160 -، - 163 -، - 165 -، - 167 -، - 180 -،
- 181 -، - 182 -، - 183 -، - 184 -، - 187 -، - 188 -، - 194 -، - 200 -، - 225 -،
- 226 -، - 227 -، - 228 -، - 229 -، - 231 -، - 232 -، - 233 -، - 234 -، - 235 -،
- 236 -، - 240 -، - 255 -، - 258 -، - 270 -

يوليوس قيصر، - 159 -، - 160 -، - 161 -، - 168 -، - 172 -، - 174 -

- 236 -، - 237 -، - 238 -، - 242 -، - 243 -، - 244 -، - 245 -، - 246 -، - 247 -،
- 250 -، - 251 -، - 255 -

يونوس بلاسيوس، - 190 -

ثانياً: فهرس الأماكن والبلدان

!

- إسبانيا، - 4 -، - 9 -
 إفريقيا(شمال إفريقيا)، - 2 -، - 3 -، - 4 -، - 5 -، - 6 -، - 7 -، - 9 -، - 10 -، - 11 -، - 12 -،
 - 13 -، - 17 -، - 18 -، - 19 -، - 20 -، - 25 -، - 26 -، - 27 -، - 29 -، - 30 -، - 32 -،
 - 33 -، - 36 -، - 37 -، - 38 -، - 41 -، - 42 -، - 46 -، - 48 -، - 49 -، - 50 -، - 51 -،
 - 55 -، - 56 -، - 57 -، - 58 -، - 76 -، - 87 -، - 90 -، - 92 -، - 96 -، - 97 -،
 - 119 -، - 131 -، - 138 -، - 141 -، - 147 -، - 148 -، - 149 -، - 156 -، - 160 -،
 - 161 -، - 165 -، - 166 -، - 167 -، - 168 -، - 170 -، - 171 -، - 172 -، - 174 -،
 - 177 -، - 178 -، - 179 -، - 181 -، - 182 -، - 188 -، - 191 -، - 195 -، - 197 -،
 - 202 -، - 204 -، - 208 -، - 210 -، - 213 -، - 214 -، - 215 -، - 217 -، - 219 -،
 236 -، - 225 -، - 231 -، - 232 -، - 233 -، - 234 -، - 235 -، - 236 -، - 238 -، 240 -،
 - 242 -، - 243 -، - 244 -، - 246 -، - 247 -، - 248 -، - 251 -، - 255 -، - 256 -،
 - 257 -، - 259 -، - 260 -، - 262 -، - 264 -، - 265 -، - 269 -، - 270 -، - 272 -،
 - 273 -، - 275 -
 إيطاليا، - 231 -، - 232 -، - 235 -، - 243 -، - 251 -، - 254 -، - 272 -، - 274 -
 الأوراس، - 22 -، - 29 -، - 36 -، - 38 -، - 41 -، - 256 -، - 261 -، - 264 -
 البحر الأبيض المتوسط، - 3 -، - 4 -
 القسطنطينية، - 26 -، - 205 -، -273-
 المسيلة، - 7 -، - 36 -
 المغرب القديم، - 3 -، - 13 -، - 19 -، - 20 -، - 37 -، - 52 -
 الموثول، - 182 -
 الهضاب العليا، - 44 -
 الوادي الكبير، - 11 -، - 12 -، - 14 -، - 18 -
 أوتيكّا، - 6 -، - 166 -، - 170 -، - 171 -، - 178 -، - 182 -، - 188 -
 أوزيا، - 191 -
 اثينا، - 120 -، - 144 -، - 157 -، - 166 -، - 167 -، - 168 -
 آسيا، - 76 -، - 81 -، - 83 -
 الطاسيلي، - 144 -

المحيط الأطلسي، - 84 -

ب

باجة، - 6 -، -225-

ت

تابسوس، - 10 -، - 107 -، - 147 -، - 236 -، - 237 -، - 238 -
 توبروبومايوس، - 246 -
 تونس، - 4 -، - 5 -، - 6 -، - 10 -، - 15 -، - 40 -، - 57 -
 تيفاست، - 33 -
 تيمقاد، - 24 -، - 36 -، - 37 -، - 41 -
 توبوسكو، - 162 -
 تيكالت، - 191 -

ج

جزيرة قرقينة، - 172 -

خ

خنشلة، - 41 -

د

روما، - 4 -، - 5 -، - 6 -، - 7 -، - 9 -، - 11 -، - 12 -، - 14 -، - 17 -، - 18 -، - 19 -،
 - 20 -، - 21 -، - 22 -، - 25 -، - 26 -، - 27 -، - 29 -، - 31 -، - 33 -، - 37 -، - 42 -،
 - 44 -، - 46 -، - 47 -، - 49 -، - 50 -، - 51 -، - 52 -، - 54 -، - 58 -، - 86 -، - 89 -،
 - 95 -، - 96 -، - 98 -، - 120 -، - 138 -، - 139 -، - 141 -، - 146 -، - 147 -،
 - 149 -، - 150 -،
 - 155 -، - 156 -، - 157 -، - 158 -، - 160 -، - 161 -، - 165 -، - 167 -، - 168 -،
 - 172 -، - 174 -، - 177 -، - 179 -، - 180 -، - 182 -، - 187 -، - 193 -، - 195 -،
 - 198 -، - 200 -، - 201 -، - 202 -، - 203 -، - 204 -، - 205 -، - 208 -، - 210 -،
 - 213 -، - 215 -، - 216 -، - 219 -، - 221 -، - 222 -، - 225 -، - 226 -، - 228 -

229 - ، - 231 - ، - 232 - ، - 233 - ، - 234 - ، - 235 - ، - 238 - ، - 240 - ، - 243 - ، -
 244 - ، - 248 - ، - 251 - ، - 253 - ، - 254 - ، - 255 - ، - 256 - ، - 257 - ، - 258 - ، -
 259 - ، - 261 - ، - 262 - ، - 263 - ، - 264 - ، - 268 - ، - 270 - ، - 271 - ، - 272 - ، -
 273 - ، - 274 - ، - 276 -

روسبينا، - 172 -

رأس الطين، - 83 -

ز

زاما، - 160 - ، - 166 - ، - 184 - ، - 187 - ، - 90 - ، - 96 - ، - 106 - ، - 116 - ، - 120 - ، -
 147 -

س

سوريا، - 81 - ، - 83 -

سيرتا، -10- ، - 86 - ، - 93 - ، - 95 - ، - 99 - ، - 104 - ، - 106 - ، - 118 - ، - 120 - ، - 124 - ، -
 138 - ، - 139 - ، - 157 - ، - 173 - ، - 182 - ، - 187 - ، - 216 - ، - 220 - ، -

ساغونت، - 5 -

سوق أهراس، - 42 -

سيدي الهاني، - 6 -

سطيف، -162-، -203-

ش

شمال إفريقيا، - 72 - ، - 86 - ، - 109 - ، - 131 - ، - 137 - ، - 139 - ، - 141 - ، - 146 - ، - 149 - ، -
 152 - ، -

شرشال، - 49 -

ص

صفاقس، - 6 - ، - 50 -

ط

طبرقة، - 6 -
 طرابلس، - 12 -، - 42 -، - 55 -، - 56 -، - 258 -، - 259 -

طينة، - 6 -

ق

قرطاج، - 3 -، - 4 -، - 5 -، - 7 -، - 12 -، - 51 -، - 4 -، - 5 -، - 6 -، - 12 -، - 17 -، - 37 -
 -، - 48 -، - 49 -، - 57 -، - 86 -، - 89 -، - 90 -، - 91 -، - 92 -، - 93 -، - 96 -، -
 -، - 168 -، - 194 -، - 213 -، - 214 -، - 215 -، - 217 -، - 219 -، - 220 -، - 236 -، -
 -، - 242 -، - 243 -، - 246 -، - 258 -، - 244 -، - 245 -، - 246 -، - 247 -، - 248 -
 - 250

قيصرية، - 15 -، - 32 -، - 49 -، - 163 -، - 198 -

قسطنطينة، - 92 -، - 99 -، - 138 -

ك

كاستيلوم-تاجيتانوم، - 270 -

ل

لامبيز، - 32 -، - 33 -، - 37 -
 ليبيا (بلاد لوبا)، - 75 -، - 81 -، - 84 -، - 73 -، - 76 -، - 81 -، - 84 -، - 86 -، - 96 -، -
 - 100 -، - 110 -، - 116 -، - 121 -، - 133 -، - 138 -، - 139 -، - 142 -، - 145 -، -
 - 146 -، - 149 -، - 150 -، - 151 -، - 201 -، - 204 -، - 215 -، - 217 -

م

مصر، - 3 -، - 9 -، - 10 -، - 11 -، - 14 -، - 20 -، - 25 -، - 26 -، - 30 -، - 72 -، - 73 -
 - 76 -، - 78 -، - 79 -، - 80 -، - 87 -، - 137 -، - 142 -، - 149 -، - 151 -، - 236 -،
 - 248 -،

موريطانيا، - 12 -، - 13 -، - 14 -، - 15 -، - 18 -، - 21 -، - 30 -، - 31 -، - 42 -، - 49 -،
 - 50 -، - 55 -، - 56 -، - 57 -، - 165 -، - 218 -، - 225 -، - 235 -، - 236 -، - 240 -،
 - 254 -، - 256 -، - 257 -، - 258 -، - 259 -، - 263 -، - 264 -، - 270 -،
 موريطانيا الطنجية، - 50 -، - 55 -،
 موريطانيا القيصرية، - 15 -، - 18 -،
 مالطا، - 101 -،
 مقدونيا، - 138 -،

ن

نوميديا، - 6 -، - 10 -، - 12 -، - 13 -، - 18 -، - 21 -، - 24 -، - 26 -، - 31 -، - 32 -،
 - 36 -، - 38 -، - 42 -، - 52 -، - 55 -، - 56 -، - 156 -، - 157 -، - 158 -، - 159 -،
 - 166 -، - 168 -، - 172 -، - 177 -، - 178 -، - 179 -، - 182 -، - 196 -، - 203 -،
 - 216 -، - 217 -، - 2 -، - 225 -، - 231 -، - 232 -، - 237 -، - 238 -، - 240 -،
 - 241 -، - 242 -، - 244 -، - 247 -، - 251 -، - 262 -، - 264 -، - 268 -، - 269 -،
 نومنصا، - 156 - 228 -،

هـ

هادرومنت، - 237 -،

ثالثاً: فهرس القبائل والشعوب

أ

الإغريق، - 4 -، - 15 -، - 18 -، - 20 -، - 60 -، - 69 -، - 73 -، - 79 -
 الأفارقة، - 33 -، - 52 -، - 225 -، - 244 -، - 253 -، - 254 -، - 265 -
 الجيتول، - 10 -، - 187 -، - 188 -، - 202 -، - 203 -، - 207 -

الرومان، - 4 -، - 5 -، - 6 -، - 7 -، - 11 -، - 12 -، - 13 -، - 14 -، - 15 -، - 17 -، - 18 -،
 - 20 -، - 21 -، - 22 -، - 24 -، - 25 -، - 26 -، - 27 -، - 29 -، - 30 -، - 31 -، - 32 -،
 - 33 -، - 37 -، - 38 -، - 41 -، - 44 -، - 46 -، - 48 -، - 49 -، - 50 -، - 52 -، - 54 -،
 - 57 -، - 58 -، - 156 -، - 157 -، - 158 -، - 161 -، - 162 -، - 163 -، - 165 -، -
 - 167 -، - 170 -، - 174 -، - 177 -، - 179 -، - 180 -، - 181 -، - 183 -، - 184 -، -
 - 187 -، - 188 -، - 189 -، - 190 -، - 191 -، - 192 -، - 193 -، - 194 -، - 195 -، -
 - 197 -، - 198 -، - 201 -، - 202 -، - 203 -، - 205 -، - 207 -، - 210 -، - 211 -، -
 - 216 -، - 219 -، - 222 -، الرومان، - 225 -، - 228 -، - 229 -، - 231 -، - 232 -، - 233 -،
 - 236 -، - 242 -، - 243 -، - 246 -، - 247 -، - 248 -، - 251 -، - 253 -، - 254 -، -
 - 255 -، - 256 -، - 257 -، - 258 -، - 259 -، - 260 -، - 261 -، - 262 -، - 263 -، -
 - 265 -، - 268 -، - 269 -، - 270 -، - 271 -، - 273 -، - 274 -، - 275 -، - 276 -

السينيثيين، - 188 -

الموثول، - 182 -

المور، - 189 -، - 192 -، - 240 -، - 259 -

الموريين، - 174 -، - 187 -، - 188 -

الموزولامي، - 188 -، - 189 -، - 190 -، - 113 -، - 256 -، - 257 -، - 261 -

الناسامونس، - 207 -

الفينيقيون، - 3 -، - 5 -

القرطاجيون، - 4 -، - 5 -، - 19 -، - 19 -، القرطاجيين، - 15 -، - 18 -، - 19 -، - 20 -، - 21 -، - 22 -، -

- 23 -، - 25 -، - 27 -، - 28 -، - 31 -، - 55 -، - 66 -، - 72 -، - 75 -

الليبيون(الليبيين)، - 3 -، - 19 -، - 21 -، - 29 -، - 4 -، - 19 -، - 21 -، - 33 -، - 42 -، - 54 -

- 58 -، الليبيون(الليبيين)، - 4 -، - 7 -، - 11 -، - 17 -، - 18 -، - 19 -، - 20 -، - 22 -، -

- 23 -، 24 -، 28 -، 31 -، 39 -، 40 -، 43 -، 45 -، 47 -، 49 -، 50 -،
 51 -، 62 -، 64 -، 66 -، 68 -، 72 -، 73 -، 76 -، 81 -، 82 -، 3 -،
 4 -، 6 -، 7 -، 9 -، 10 -، 11 -، 12 -، 18 -، 19 -، 20 -، 21 -،
 22 -، 23 -، 24 -، 27 -، 30 -، 32 -، 39 -، 40 -، 41 -، 43 -، 45 -،
 47 -، 49 -، 50 -، 51 -، 53 -، 55 -، 56 -، 60 -، 62 -، 64 -، 66 -،
 68 -، 69 -، 75 -، 76 -، 80 -، 82 -، 83 -، 180 -، 207 -، 208 -،
 210 -، 211 -، 222 -
 السبد، - 9
 الأسبستاني، - 73
 الأوسترياني، - 81
 الأوسينز، - 45 -، 51 -، 60 -، 75 -
 التراقيين، - 30
 التمحو، - 7 -، 50 -، 64 -
 الجرمتون، - 73 -، 190 -، 194 -، 256 -، 259 -، 258 -
 الريبو، - 4 -، 9 -
 الزويكس، - 75
 السلوقيين، - 12 -، 69 -
 الشردن، - 4
 العاليين، - 21 -، 30 -، 60 -
 الفراعنة، - 4 -، 6 -، 9 -، 50 -
 الكهك، - 7
 اللغوريين، - 30
 الماسينز، - 64
 المشوش، - 7 -، 10 -، 11 -، 47 -، 50 -، 51 -، 73 -
 المصريون، - 9 -، 25 -، 73 -، 6 -، 60 -
 النوميدي، - 21 -، 23 -، 25 -، 27 -، 28 -، 29 -، 30 -، 34 -، 37 -، 38 -،
 40 -، 43 -، 47 -، 53 -، 69 -، 72 -، 77 -، 80 -، 81 -، 82 -، 155 -،
 157 -، 159 -، 163 -، 165 -، 166 -، 168 -، 170 -، 173 -، 174 -،
 177 -، 178 -، 179 -، 180 -، 183 -، 187 -، 188 -، 189 -، 191 -،
 193 -، 200 -، 201 -، 210 -، 218 -، 221 -، النوميدي، 226 -، 231 -، 232 -،
 237 -، 253 -، 256 -، 262 -، 264 -، 274 -
 الهكسوس، - 72

رابعاً: فهرس الخرائط:

الصفحة	عنوان الخريطة
27	1- خريطة لمراحل الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم
45	2- خريطة لمقرات الفرقة الأوغسطية الثالثة
50	3- خريطة تبين حدود الخندق الملكي (فوسا ريجيا)
54	4- خريطة لأهم مراكز الخطوط الدفاعية
164	5- حملات القائد العسكري الروماني ثيودوز ضد فيرموس
175	6- خريطة توضيحية لموقع معركة تابسوس 46ق.م
199	7- خريطة تقريبية للمناطق التي شملتها ثورة الدوارين
206	8- موقع المعركة الفاصلة بين قوات جيلدون وأخية ماكزيل
241	9- الخريطة السياسية لبلاد المغرب التي أحدثها يوليوس قيصر عقي انتصاره على يوبا الأول وحلفائه البومبيين
252	10- خريطة توزيع المستعمرات اليوليو كلاودية في إفريقيا البرقنصلية
252	11- خريطة توزيع المستعمرات التي أسسها الامبراطور أغسطس أوكتافوس ببلاد المغرب القديم
	12- خريطة لحملات القائد العسكري الروماني ثيودوز ضد فيرموس

خامساً: فهرس المخططات:

الصفحة	عنوان المخطط
19	1- شجرة العائلة الملكية للنوميديين
185	2- توزيع قوات يوغرطة في معركة الموثول

سادساً: فهرس الجداول:

الصفحة	عنوان الجدول
62	1- توزيع المترومين على المقاطعات الإفريقية خلال الفترة الممتدة من أواخر حكم يوليوس قيصر إلى نهاية حكم الامبراطور هادريانوس
147	2- جدول لتعداد الأفيال التي استعملها النوميدي في حروبهم

250	3- جدول لأهم المستعمرات البوليو كلاودية التي تأسست في إفريقيا البروقنصلية حسب نصوص بليني والأثار المادية
-----	--

سابعاً: فهرس الأشكال:

الصفحة	عنوان الشكل
34	1. صورة لأرض مكنترة بتونس
39	2. مشهد فسيفساء لمزرعة أحد كبار المزارعين الرومان
46	3. صورة لمعسكر لمبيز للفيلق الأوغسطي الثالث
51	4. نقيشة الخندق الملكي بوادي الطين بتونس
56	5. رسم تخطيطي لقلعة ديميدي (مسعد)
64	6. تمثال نصفي من الرخام لسبتيميوس سيفيروس
64	7. تمثال نصفي من الرخام لكركلا بمتحف باردو بتونس
64	8. صورة للوح انتصار الملك مرتباح
77	9. صورة لجندي لوبي ضمن جيش الفرعون أختاتون
77	جنود لوبيون يتدربون ضمنالجيش الفرعوني
85	10. صورة للامازونات محفوظة بمتحف هيون (عناية)
102	11. نموذج لسفينة ثلاثية عسكرية نوميديّة
102	صورة لرأس سفينة على عملة بوغود الأول ملك موريطانيا
102	12. صورة لفرسان نوميديون على عمود تراجان
111	صورة لفارس نوميدي جريح (كانوسا)
111	13. صورة للكاليغا التي كان يرتديها الجندي
113	14. صورة لخنجران بُنيان عشر عليهما بقرطاجة
117	15. صورة لرأس رمح عشر عليه بضريح الخروب بقسنطينة
117	صورة لسيف ضريح الخروب
121	16. صورة لرؤوس سهام من الصوان
121	ليبي يحمل قوس وسهام عشر عليه باليزي
121	17. خوذة عشر عليها بضريح الخروب
123	18. صورة لعناد حربي جندي نوميدي ومنها ترس بيضوي ورمح وخوذة
126	19. نصب تذكاري جندي نوميدي يحمل ترساً بيضوي الشكل بيده اليمني ورمح باليسرى
127	20. نصب تذكاري يظهر جندي نوميدي يحمل ترس مستديرة ورمح
127	رسم لفارس نوميدي يحمل ترس مستديرة ورمح (فارس ابيزار)
127	21. إعادة تشكيل للوجه الأمامي والخلفي للترس المستديرة
130	22. صورة لدرع نوميدي مشدود بواسطة اذرار وأشرطة

132	23. قاذبي حجر نوميديون
134	24. أسرة لوبية في طريقها نحو مصر يلاحظ الرجل يحمل البومران
136	25. بوق نوميدي عشر عليه بضريح الخروب
140	26. عملة للاقليد هيمصال الثاني ويظهر على أحد وجهيها الحصان في حالي عدو
143	27. عربة تجرها الخيول من الرسوم الصخرية للطاسيلي
169	28. تمثال نصفي للاقليد يوبا الأول
169	29. تمثال رأسي للقائد الروماني بومبيوس
176	30. توزيع قوات القيصرين والبومبيين حيث نلاحظ الفيلة في الصف الأمامي لجيش بومبي وحليفهم يوبا الأول في تابسوس
186	31. صورة علوية وأخرى جانبية لمائدة يوغرطة التي مثلت حصناً منيعاً له في حروبه ضد روما بتونس
209	32. نصب تذكاري مكرس للإله ساتون يعود للفترة الرومانية
212	33. رمز المسيحية ويلاحظ فيه علانتي الفا واوميغا يرمزان لبداية العالم ونهايته
212	34. حوض تعميد للمسيحيين ويلاحظ الصليب في قاعدته بصورة واضحة
227	35. لوحة تبين مؤامرة القبض على يوغرطة
230	36. صورة ليوغرطة في الأسر الروماني
239	37. تمثال من البرونز يُخلد انتصار يوليوس قيصر على يوبا الأول في معركة تابسوس
266	38. مخطط أبرشية حسناوة شمال برج بوعريريج

ثامناً: فهرس المحتويات:

الإهداء.....	
شكر وعرّفان.....	
مقدمة.....	11-1
الفصل الأول: استراتيجية التوسع الروماني بالمغرب القديم.....	13
المبحث الأول: سياسة التوسع التدريجي ثم الابتلاع.....	15
أولاً: تأسيس مقاطعة إفريقيا 146ق.م من قبل روما.....	16
ثانياً: انشاءمقاطعة إفريقيا الجديدة 46ق.م.....	20
ثالثاً: انشاءمقاطعة إفريقيا الرومانية البروقنصلية السيناتورية 27ق.م.....	22
رابعاً: الاستيلاء على موريطانيا 40م.....	24
المبحث الثاني: التنظيم الإداري لروما ببلاد المغرب القديم.....	28
المبحث الثالث : الاستيطان الزراعي.....	30
أولاً: وضعية الأراضي في الفترة الرومانية.....	31
ثانياً: عملية المسح والكنترّة.....	33
ثالثاً: التوسع في زراعة القمح.....	35
المبحث الرابع: التنظيم العسكري.....	40
أولاً: نبذة عن الجيش الروماني.....	40
ثانياً: الجيش الروماني في إفريقيا.....	40
ثالثاً: المهام المختلفة للجيش.....	41
رابعاً: الخطوط الدفاعية (الليمس).....	48

52.....	1- الخط الدفاعي الأول.....
53.....	2- الليمس في عهد السفيريين.....
57.....	المبحث الخامس: سياسة الرومنة.....
57.....	أولاً: مفهوم سياسة الرومنة.....
59.....	ثانياً: النظام الإداري ودوره في تكريس الرومنة.....
61.....	ثالثاً: الرومنة الاجتماعية.....
71.....	الفصل الثاني: الجيش النوميدي نظامه و تجهيزاته.....
72.....	المبحث الأول: تاريخ الجيش الليبي إلى غاية الفترة القرطاجية.....
72.....	أولاً: الجيش الليبي في المصادر المصرية.....
72.....	أ- في العهد الفرعوني.....
80.....	ب- في العهد البطلمي.....
81.....	ثانياً: الامازونات والغرغونات كأنموذج عن المرأة الليبية المحاربة.....
81.....	1- الأمازونيات.....
82.....	2- الغرغونات.....
86.....	ثالثاً: دور الجيش الليبي في الفترة القرطاجية.....
88.....	1- الحلفاء.....
88.....	2- المجندون.....
88.....	3- المرتزقة.....
91.....	-ثورة الجند المأجور.....
94.....	المبحث الثاني: بنية الجيش النوميدي.....
95.....	أولاً: الجيش البري:.....
95.....	1- الجيوش الدائمة.....
96.....	- فرقة الفرسان.....

97.....	- فرقة المشاة.....
98.....	2- الجيش الاحتياطي.....
98.....	ج- الجند المأجور.....
99.....	ثانياً: البحرية النوميديّة
104.....	المبحث الثالث: التنظيم الداخلي للجيش النوميدي.....
104.....	أولاً: الرتب العسكرية والمرتبات.....
105.....	ثانياً: تدريب الجنود.....
106.....	ثالثاً: أماكن إقامة الجند
107.....	رابعاً: قيادة الجيش وتنظيمه للمعركة.....
107.....	خامساً: تجهيزات الجيش النوميدي
107.....	المبحث الرابع: تجهيزات الجيش النوميدي.....
108.....	أولاً: لباس الجندي النوميدي.....
108.....	أ-السترة والعباءة.....
110.....	ب-الأحذية.....
108.....	ثانياً:أسلحة الجندي النوميدي.....
108.....	1-أسلحة الهجوم. :.....
114.....	أ— العصا والمراوة.....
114.....	ب-الخناجر والسكاكين.....
116.....	ت-الرمح والحرية.....
118.....	ث- السيوف.....
119.....	ج-الأقواس والسهام.....

120.....	2-أسلحة الدفاع.....
120.....	أ-الخوذة.....
124.....	ب-التروس.....
129.....	ت-الدروع.....
131.....	3-أسلحة الرمي.....
131.....	أ-الحجارة.....
133.....	ب- البرومران.....
133.....	ت-المقاليع.....
135.....	ث-المنجنيق.....
137.....	4- الحيوانات المستعملة في الحروب.....
137.....	1-الحصان.....
141.....	استعمال الأحصنة في جر العربات الحربية.....
145.....	2-الفيل.....
149.....	3-الجمال.....
154.....	الفصل الثالث : الاستراتيجية العسكرية للمقاومات النوميدي.....
156.....	المبحث الأول: سلاح المال والدبلوماسية.....
165.....	المبحث الثاني: استراتيجية التحالفات.....
165.....	أولاً: تحالف الملك النوميدي هيرباص مع القنصل الروماني ماريوس.....
166.....	ثانياً: تحالف الاقليدالنوميدي يوبا الأول مع القنصل الروماني بومبيوس.....
174.....	ثالثاً: تحالف الأمير النوميدي أربيون مع الوالي الروماني سكستوس.....
179.....	رابعاً: أربيون يتحالف للمرة الثانية.....

- 180.....المبحث الثالث: نصب الكمائن واسلوب الكر والفر.
- 181.....أولاً: كمين يوغرطة في سوثول110ق.م.
- 182.....ثانياً: يوغرطة ينصب كمين لميتلوس في الموثول 109ق.م.
- 193.....المبحث الرابع: ردم الآبار واستهداف ممتلكات العدو.
- 200.....المبحث الخامس: أسلوب الحصار العسكري والسلاح الاقتصادي.
- 200.....أولاً: الحصار العسكري.
- 201.....ثانياً: السلاح الاقتصادي(السلاح الأخضر).
- 208.....المبحث السادس: المقاومة الدينية.
- 208.....أولاً: الديانة البونيقية ضد وثنية روما.
- 210.....ثانياً: المسيحية الأولى ضد وثنية روما.
- 215.....ثالثاً: الحركة الدوناتية ضد كاثوليكية روما.
- 224.....الفصل الرابع: النتائج الاستراتيجية للمقاومات النوميديّة.
- 225.....المبحث الأول: أوضاع نوميديا بعد القضاء على يوغرطة.
- 229.....أولاً: مؤامرة القبض على يوغرطة.
- 233.....ثانياً: تسوية وضعية العرش بعد يوغرطة.
- 234.....ثالثاً: تراجع الهيمنة الرومانية وتغيير سياستها.
- 236.....رابعاً: الحرب الأهلية بين ماريوس وسيللا.
- 236.....المبحث الثاني: إفريقيا الرومانية بعد يوبا الاول.
- 240.....أولاً: شمال إفريقيا بعد هزيمة تابسوس.
- 251.....ثانياً: تشجيع الاستيطان بإفريقيا.
- 255.....ثالثاً: منح حقوق المواطنة الرومانية.

255.....	المبحث الثالث: أوضاع إفريقيا بعد مقاومة تآكفاريناس.....
256.....	أولاً: نتائج مقاومة تآكفاريناس.....
256.....	1- النتائج الاستراتيجية لمقاومة تآكفاريناس.....
258.....	2- التنظيم الإداري والسياسي في إفريقيا بعد ثورة تآكفاريناس.....
260.....	3- توسيع الاستيطان.....
263.....	ثانياً: نتائج مقاومة إيدمون.....
265.....	المبحث الرابع: نتائج التحالف الديني(الدوناتى) مع الدواوين وثورات العائلة النوبيلية.....
268.....	أولاً: نتائج التحالف الدوناتى مع الدواوين.....
269.....	ثانياً: نتائج التحالف الدوناتى مع ثورات العائلة النوبيلية.....
269.....	1- نتائج التحالف الدوناتى الغيرموسى.....
272.....	2- نتائج التحالف الدوناتى الجيلدونى.....
282-278.....	خاتمة.....
309-284.....	بيبلوغرافيا المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة.....
.....	الفهارس:
320-311.....	أولاً: فهرس الأعلام.....
325-321.....	ثانياً: فهرس الأماكن والبلدان.....
327-326.....	ثالثاً: فهرس القبائل والشعوب.....
328.....	رابعاً: فهرس الخرائط.....
328.....	خامساً: فهرس المخططات.....
328.....	سادساً: فهرس الجداول.....

330-329.....	سابعاً: فهرس الأشكال.....
337-331.....	ثامناً: فهرس المحتويات.....

